T
16A
c.2

الحركة الفكرية في حلب
في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

دراسة مقدّمة الى دائرة التاريخ العربي في الجامعة الاميركية
في بيروت للحصول على درجة استاذ في العلوم

عائشة الدباغ

حزيران ١٩٥١

تصدير

لم أختر الموضوع بنفسي لأعلل اختياري له أو أبين الأسباب التي دفعتني إليه دون غيره ، لكن أستاذي = الدكتور نقولا زيادة = قد اقترحه علي ، فصادف هذا الاقتراح هوى في نفسي ، ووجّهه إلى كوني من حلب ، وهذا ما يفسح أمامي مجال الكشف عن بعض المبهمات .

فإلى الدكتور زيادة الذي أشرف على هذه الرسالة وأحاطها من عنايته وإرشاداته الشيء الكثير ، أقدم شكري وتقديري . كما أعترف للدكتور نبيه أمين فارس ، رئيس دائرة التاريخ في الجامعة بفضله السابق في توجيهي توجيها علميا .

ولا يسعني الآن أن أنوه بذكر كل من ساهم في تأمين مصادر البحث لهذه الرسالة وأخص = مكتبة السيد أسعد العينتابي = في حلب ، ومكتبتي التاريخية والسريانية فيها .

ولجميع أساتذتي في هذه الجامعة خالص شكري .

عائشة الدباغ

محتويات الكتاب

الفصل الأول ـ حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

× × ×

الفصل الثاني ـ مقومات الحركة الفكرية ـ

× × ×

الفصل الرابع ـ عبد الرحمن الكواكبي

الفصـــــل الاول

حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشـر

كلمة في موقعهـــــــا ـ

حلب الشهباء هي مركز الولاية المسماة باسمها والتي تشكلت سنة ١٨٦٦ (١) كانت تتألف من ثلاثة الوية = اللواء الاول وهو القسم الشمالي من سوريا ويشمل حلب وما جاورها من الاقضية والقرى ، واللواء الثاني وهو القسم الجنوبي من آسيا الصغرى ويشمل مرعش وما جاورها ، واللواء الثالث وهو اورفه ويدعى قديما الرها (٢) .

يحد حلب من الجنوب ولاية سوريا ومن الغرب البحر المتوسط ومن الشمال ولاية أضنه وانقره ، ومن الشرق الادارة المستقلة للواء الزور وولاية دياربكر . (٣)

أ ـ المجتمع الحلبـــــي

السكان ـ

لم تهتم الحكومة العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر باحصاء نفوس حلب ، ولم يكن الاهالي انفسهم ليشجعوا او يستجيبوا لعمل كهذا يعرفون جيدا ان نتائجه ستعود عليهم بالخسران ، فاما اخذهم للجندية ، او تكليفهم بالضرائب ، (٤) ولعل اول احصاء من نوعه جرى في حلب كان سنة ١٨٤٧ زمن ولاية كامل باشا ، بلغ عدد الذكور فيه نحوا من ستين ألفا ، ولم يحص عدد الاناث لان الرجال كانوا يانفون من ذكر اسماء زوجاتهم او اخواتهم وتقييدها في سجلات الحكومة . (٥)

ويظهر ان عدد نفوس حلب قد تضاءل بسبب فقر اهلها ونضوب منابع الثروة عندهم والهجرة (٦) ولعل مرد ذلك الى ركود الحركة التجارية ، وانتشار الامراض الفتاكة وكثرة الزلازل التي كانت تحصد في كل مرة مئات من الارواح .

---

(١) السالنامة التركية لسنة ١٣٠٤ = ٣٥ الغزي كامل " نهر الذهب في تاريخ حلب " حلب سنة (١٩٢٦) ج٣ = ٣٩٢

(٢) مجلة الشذور . الشذرة التاسعة (لا يوجد تاريخ صدور كل شذرة ، والمجلة نشأت في حلب (١٨٩٧) ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦

(٣) سالنامه ١٣٠٤ = ١١١

(٤) الغزي ١ = ٣٣٢

(٥) الغزي ٣ = ٣٦٦ الغزي ١ = ٣٣٢

(٦) الطباخ ـ راغب " اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء " حلب (١٩٢٣ ـ ١٩٢٦) ج٣ ـ ٣٧٦

وفي سنة ١٨٥٠ بلغ عدد المسلمين ٣٤ر٠٠٠ والمسيحيين ٧ر٨٠٠ والاسرائيليين ١ر٨٠٠ ، (١) فيكون المجموع ٤٣ر٦٠٠ . ولكن نرى في مصادر غيرها نتائج مخالفة فيكون فيها المجموع ١٠٠ر٠٠٠ نسمة مقسمين حسب الآتي =

المسلمون	٦٦ر٠٠٠
اتباع الكنيسة الارثوذكسية	١٩ر٠٠٠
الموارنة	٥ر٠٠٠
الأرمن	٣ر٠٠٠
السريان الكاثوليك	٢ر٠٠٠
اليهود	٤ر٠٠٠ (٢)

وارتفع هذا الرقم حوالي ١٨٨٠ " الى مائة وعشرة آلاف نسمة وقيل سبعون ألفا "(٣) ويظهر ان الحكومة أخذت بعد هذا التاريخ تقوم باحصاءات متقاربة وتهتم بتسجيل نفوس الأهلين . (٤) وقد بلغ المجموع سنة ١٨٨٣ ٩٩١٨٩ نسمة منهم =

المسلمون	٧٠٨٣٩
المسيحيون	٢٠٥٢٥
اليهود	٧٨٢٥ (٥)

اللهجات ـ

يتكلم سكان حلب العربية والتركية وبعضهم الفارسية ، ومع ذلك فهي لا تشذ عن غيرها من بلدان الدولة العثمانية التي خالط لغتها العامية كثير من المفردات الاجنبية . التي ذكرتها قوانين الدولة " كالكمبيالة والقونطوراتو وكأسماء الآلات والأدوات كشمندوفر واوتوموبيل واستيمبوت " ... ومن الألفاظ الدخيلة في لغة الحلبيين كلمات تركية وفارسية وسريانية وعبرانية محرفة أو مصحفة يطول الكلام عليها . " (٦) وأليك امثلة حسية من كلام الحلبيين نقلها يومية المعلم بخاش .

---

(١) Barker, Syria and Egypt under the last five sultans of Turkey (London) (187?) vol II p.203

(٢) Farley, The resources of Turkey, London (1863) p. 235

(٣) يني جرجي " تاريخ سوريا " بيروت ١٨٨١ = ٣٠٠ واعتقد في هذا الاحصاء ان الرقم الأول أقرب الى الصحة اذ هو شبيه بما يذكره الغزي نقلا عن كتاب اللغات التاريخية والجغرافية التركي اذ يقول انه نحو من ١٢٠ الف نسمة ـ الغزي ١ = ٢٢١

(٤) راجع اعداد السالنامة ١٢٨٥ = ٢٤٥ـ٢٤٦ ١٣٠٨ = ٢٤٧ ١٣١٠ = ٢٦٤
١٣١٦ = ١٩٣ ١٣١٧ = ١٩٧ ١٣١٩ = ٢٨٥
١٣٢٦ = ٢٢٤

(٥) الطباخ ٣ = ٤٧٠ نقلا عن جريدة الفرات عدد ٧٧٢ (١٨٨٣)

(٦) الغزي ١ = ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

" قبروا ابو المطران وكان علج وطلعوا وراه بيرصولات " .(١)

" وشفديت بيت البوخجي جمات ... " . (٢)

" وما أكلنا كلاسه بيت الشاهر بندرات " . (٣)

" وهكذا سمعت من الكاريتا " . (٤)

" ويوما اجا جكيدرلي مصطفى باشا باشة حلب .. ولا قاله فتح الله بخاش ابن عمي الى الاسكلة " . (٥)

ولا يغفل الغزى ان يورد فى تاريخه شيئاً من هذا " وهاك الموازنة الطاليسة المعلقة بهذه الدائرة وتعرف بالبوجه " . (٦)

وإن كان لهذا التسرب من سبب فأعتقد انه ناجم عن المخالطة التجارية مع اوربا وما يتطلب ذلك من معاملات ومخالطات ، ويلاحظ ان أكثرها من اصل فرنسي او طلياني ، لان لفرنسا وايطاليا علاقات تجارية قديمة متينة مع أهل المدينة .

الحياة الاجتماعية والعادات —

لا أستطيع أن اعطي فى هذه العجالة صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية فى حلب ومن عاداتها أهلها وعاداتهم مما أفرد له الغزى أبوابا طويلة فى تاريخه ، (٧) وعرض له غيره أيضا ، (٨) مما لا زال معظمه حتى يومنا هذا شائعا فيها كمراسيم الأعراس والمآتم والولادة الى غير ذلك .

غير أن بعض العادات الأوربية اخذ بالتسرب الى المجتمع الحلبي كالحفلات الراقصة التى يطلقون عليها " بالو " . " وانحزنا ليلة الأحد بيت البطرك بالوما رحنا وكان قنصل الفرنساوي وبيسة آجق باش " . (٩)

---

(١) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤١٤ — ٤١٥ من يومية المعلم بخاش

(٢) المصدر نفسه = ٤١٥ — ، ٤٢١

(٣) المصدر نفسه = ٤١٥

(٤) المصدر نفسه = ٤٢٠ — ، ٥٣٧

(٥) المصدر نفسه = ٥٣٦

(٦) الغزى ١ = ٣٣٩

(٧) راجع الغزى ١ = ٢٤٣ — ٢٨٩

(٨) Barkey I Chap. X p.p. I75---

(٩) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) = ٤٢٦ من يومية البخاش

ويظهر أن الأهلين لاسيما المسيحيين كانوا يتزاورون مع العائلات الأجنبية القاطنة في حلب ويشاركونها حفلاتها ، حتى أن الوالي نفسه لا يخلف عنها " ويعده صار بالوعد الفرنساويه . وكان باشة حلب والفريق وعلي باشا وبزيقه وآجق باشي . " (١)

ولعل من الغرابة بمكان أن يقيم الباشا نفسه وهو المسلم المفروض فيه مراعاة شعائر الدين وأوامره ، حفلات من هذا النوع ، فها هو يستعد لاقامة "بالو" بالشيخ يبرق (٢) " ويدعو بزيلوا الشيخ يبرق لان بدءه الباشا يصير بالو بالشيخ يبرق " (٣) الا أن تكون كلمة بالو تفيد معنا آخر غير معنى الحفلات الراقصة ..

الأمراض والصحة العامة —

كان اهتمام الحكومة بالنظافة قليلا قبل بروز دائرة البلدية الى حيز الوجود . وكانت جيف الحيوانات تكدس على جوانب الطريق العلوى وفي شوارع المدينة . وهذا الأهمال يؤدى حتما الى انتشار الامراض المعدية والأوبئة المختلفة في المدينة . (٤) ويضاف الى ذلك عسف الحجاج الشيعيين بعادة نقل جثث موتاهم الى بلادهم ، وكانوا ينقلون هذه الجثث دون أن يحسنوا تحنيطها ، فتزرع الوباء على الطريق . ولما كانت طرق الوقاية غير متسددة كان انتشار العدوى سهلاً وسريعاً .

وقد تفشى الطاعون عدة مرات في حلب في النصف الثاني من القرن وذلك في السنوات = ١٨٦٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٩٦ ، وذهب من ضحاياه في كل مرة آلاف من السكان. (٥) وانتشرت الهيضة المعروفة بالهواء الاصفر عدة مرات كذلك في السنوات = ١٨٦٥ (٦) ، ١٨٧٦ (٧) ، ١٨٨٨ (٨) ، ١٨٩٠ (٩) ، ١٨٩٤ (١٠) ، واخيرا ١٩٠٢ (١١)

---

(١) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٣
(٢) الشيخ يبرق مكان خارج حلب كان فيه قصر الوالي
(٣) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٣
(٤) Heuschling, <u>L'empire de Turquie</u>, Paris, Bruxelles (1860) p. 278
(٥) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) هامش ١ = ٢٤٥ من تعليق الأب توتل اليسوعي
(٦) الغزى ٣ = ٣٩٢
(٧) المصدر نفسه ٤٠٣
(٨) المصدر نفسه ٤١٥
(٩) الطباخ ٣ = ٤٨١
(١٠) الغزى ٣ = ٤٢٥
(١١) المصدر نفسه ٤٦٠

وبلغت الوفيات في وباء ١٨٦٥ ثلاثمائة نسمة يوميا . (١)

غير أن الحكومة أخذت كما يبدو تعتني بالأسباب الوقائية في وباء ١٨٩٠ الذي كان شديدا فتاكا ، أوقف دولاب التجارة ورفع سعر العقاقير الأجنبية ، فحظرت بيع الخضار والبقول الخضرة ، ووضعت في عدة أماكن من البلدة كميات كبيرة من الزبل اليابس ثم أضرمت فيها النيران لتنقية الهواء مما به من الجراثيم ، كما أوعزت الى مخاتير الاحياء بأن يطلبوا من السكان تبخير بيوتهم بالقطران والكبريت يوميا وطرح الزاج والكلس في المراحيض . (٢)

العوائد الطبية والمستشفيات —

لم يكن الاطباء الحديثون منتشرين في حلب ، فكان الناس يداوون مرضاهم على أساليب قديمة معروفة منذ مئات السنين . فاذا ما " التوت " اصبع احدهم ذهب " للمسك " (المسد) ليضع له جبيرة طبيعيا . (٣) واذا آلمته معدته قصد " القصار" ويقول العارف "يقضى شغله " .(٤) ولحصر البول ، مستحلب البزوريات يشرب " على اسم يسوع " . (٥) ولوجع العين عرق وغسل . (٦) وليس سوى الحلاق يقلع الاضراس المنخورة . (٧) ولم يدخل الاطباء الغربيون حلب الا في حدود سنة ١٨٥٢ حيث ابتدأوا يطبقون على المرضى أساليب التطبيب الحديث كما تعلموها في المدارس الأوروبية ، واخذ عن هؤلاء بعض الحلبيين فأتقنوا الصنعة ونالوا الى تطبيب الناس . (٨)

أما المستشفيات في حلب فلم تكن معروفة قبل سنة ١٨٨٢ . وفي هذه السنة ابتدئ ببناء المستشفى الوطني من أعانات جمعت لهذا الغرض ، ثم أهمل مدة بعد أن بلغ نصفه ، واخيرا افتتح سنة ١٩٠٠ وتوافد اليه المرضى الفقراء والغرباء ، وأطلق عليه اسم مستشفى الغرباء الحميدي . (٩) وعين له طبيب وجراح ومدير وكاتب وصيدلي ، وطبيب للحجر الصحي . (١٠)

---

(١) الغزي ٣ = ٣٩٢
(٢) المصدر نفسه = ٤١٧ — ٤١٨
(٣) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) = ٤١٣ من يومية البخاش
(٤) المصدر نفسه = ٤٣١
(٥) المصدر نفسه = ٥٣٧
(٦) المصدر نفسه = ٥٥٦
(٧) المصدر نفسه = ٥٤٤
(٨) الغزي ١ = ١٧٦ — ١٧٧
(٩) الغزي ٢ = ١٣٤ الغزي ٣ = ٤٥٤ خطط ٦ = ١٦٦ ، الطباخ ٣ = ٤٧٠ الا انه يحصر ١٨٨٣ ابتداء عمارته
(١٠) سالنامة ١٣٢٠ = ١٥٢

ويرد لأول مرة سنة ١٩٠٢ ذكر مستشفى للعسكرية في حلب يضم ستة أطباء وستة جراحين وكحّال ومدير وخمسة صيادلة وكاتب . (١)

وفي سنة ١٩٠٧ قامت رهبنة مار يوسف بتأسيس مستشفى في سان لويس غير ان بناءه توقف بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى . (٢)

النصارى في حلب —

يقطن نصارى حلب في احياء خاصة ، لها بوابات تقفل عشية كل يوم كي لا يداهم المحلة رجل غريب ، وكان الأمن يخيم على مناطقهم اكثرمما يخيم على سائر المناطق الأخرى التي تكثر فيها حوادث السرقة . وكان رئيسهم الديني مولج بحل المنازعات الشخصية دون تدخل السلطة المدنية (٣) ورئيس كل طائفة مكلف بأجراء عقود الزواج وتسجيل المواليد والوفيات ، وجمع الضرائب وتسليمها الى الحكومة ، وان كان بعضهم يتهم الموظفين المسلمين المكلفين بتخمين أجور الملك لتعيين الضريبة التي يجب أستيفاؤها ، بأنهم يكلفون بيوت المسيحيين بما يتجاوز حقيقة الثمن " بينما انهم يخففون الضريبة على أملاك اهل طائفتهم " (٤). غير اني لا أرى موجبا للشكاية في هذا الصدد طالما مخاتير أحيائهم هم من رجال الطائفة ، فأية مندوبية في هذا ؟

هذه الجماعات المتكتلة ما كانت لتختلط مع الأسر الاسلامية الا في القليل النادر ، فها هو المعلم نعمة الله بخاش لم يسجل في يومياته التي تتناول حوادث عشر سنوات (١٨٥٥ — ١٨٦٥) ذكر رجل مسلم اوأسرة مسلمة رغم ما ذكره من دقائق الأمور وتفاصيلها في ما سوى ذلك . فهل سهيا ؟ ام لم تكن لديه عادة يؤرخها ؟

والنصراني يرى نفسه بمعزل عن المسلم ، وكلا الفريقين يخشى الاخر ويحذره والآ فلماذا يعتبر احد القسوس في حلب ان من الخطيئة ان تعرض المرأة المسيحية وجهها لنظر المسلم (٥) وها هم مسيحيو حلب اشد غيرة على زوجاتهم من مسيحيي دمشق ولذا فهم يضيقون عليهن بالحرية (٦) . ويرى المسلمين بالمقابل يكرون في بعض الأيام من " الزيارات

---

(١) سالنامة ١٣٢١ = ١٧٩
(٢) الشرق ٢ = ٣٢٢
(٣) A.Paton, The Modern, Syrians, London(I844)P.P. 260-26I
(٤) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ١٢٠ من تقرير القنصل سكين
(٥) Paton, P. 230
(٦) Paton P. 229

كما ورد في كلام البخاش المذكور ، (١) ولعلّ سبب ما يتراءى من النفور بين الفريقين يتضح اذا ما ارجعنا بتاريخنا الى اوائل القرن لنرى الغزي يخبرنا انهم (اى النصارى) كانوا يحاولون التزي بزي الانكشارية ليحصل لهم ما يحصل لهذه الفئة من طغيان وتسلط ، الأمر الذى حدا بالحكومة الى أجبار النصارى ، وذلك سنة ١٨١٤ ، بلبس عمائم سماوية اللون ونعال حمر في ارجلهم تمييزا لهم عن غيرهم ، (٢)

ومع ذلك فقد كان للنصارى حظ في مجالس الحكومة ودوائرها ، ففي مجلس ادارة الولاية يقعد نصرانيان مع ثلاثة مسلمين ويهودي لتأليف هذا المجلس ، (٣) غير انهم يدفعون الجزية الى الحكومة كضريبة مقابل اعفائهم من الجندية ، وكانوا يكسبون التقدّم فيها ، ولذا داخلهم السرور عندما اصدرت الحكومة العثمانية سنة ١٩١٠ اوامرها بالغاء البدل العسكري وتجنيد الرعايا المسيحيين واليهود ، ثم ما لبثوا ان استاءوا " بعد ان باشر شبابها الجندية وزاولوا بعض ما فيها من المشقات العسكرية التي يصعب عليهم تحملها لعدم تعودهم عليها ، " (٤)

الاجانب في حلب —

كانت الجالية الأجنبية في القديم وافرة في حلب ، ثم تضاءل عددها ونزح منها أفرادها بعد أن أصبح الحلبيون على اتصال مباشر بالتجار الاوربيين في معاملاتهم التجارية دون اللجوء الى هؤلاء الوسطاء الأجانب المقيمين بين ظهرانيهم (٥) ومع ذلك فقد بقي عدد منهم فيها كان يتجاوز عدد من يقطنون دمشق نظرا لكون حلب أقرب منفذ لاتصال الشرق بالغرب " (٦) ، واندمج هؤلاء بالسكان وأصبحوا يعدّون كأنهم منهم (٧) ، وكانوا الى جانب عملهم التجارية يمارسون السياسة ، اى يقومون بالوظيفتين معا ، (٨) الا ان الأنكليز — نظرا لضعف تجارة حلب نسبة لما كانت عليه قبلا — قد

---

(١) راجع المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٤ ، والكلمة يراد بها العبور والتقليب او الضرب والعصيان
(٢) الغزي ٣ = ٢٢١
(٣) الغزي ١ = ٣٣٧
(٤) الغزي ٣ = ٥١٨
(٥) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) هامش ٢ = ٢٠٨
(٦) كان عددهم حوالي سنة ١٩٠٢ (٢١٤٢) شخصا سالنامة ١٣١٩ = ٣٨٥
(٧) خطط ٤ = ٢٦٧ — ٢٦٨
(٨) J. Sauvaget, Alep, Paris (I94I) P. I92

غادروا المدينة بأجمعهم كما يقول تيحسين " ولم يبق سوى الجاليات الفرنسية والطليانية ، وذلك لتشابه اقليم حلب مع اقليم بلادهم مما حدا بهم الى التوطن الدائم فاشتروا البيوت والبساتين وانصرفوا الى تعاطي تجارتهم المحلية (١)٠

والى جانب التجار الأجانب والموظفين السياسيين كان هناك أفراد الأرساليات ٠ فقد قدمت راهبات ماريوسف حلب سنة ١٨٥٥ ، وأسست مكتبا خاصا مستقلا عن الرهبنة الفرنسيسكانية ٠ (٢)

وكانت حلب تحتفل بقدوم الشخصيات الكبيرة من الاجانب بان تطلق من قلعتها مدة مدافع ، " واحد نصاوى واجه الباشا وراح شيخ بيق وضربوا له طواب مدة ١٢ "(٣) وفي مكان آخر يقول البخاش ، " والجمعة اجا جنفار نصاوى من بيروت وضربوا له طواب ١١ وملاقية كل القناصل والتراجمين والبيسقية وتزله كويسه ٠٠٠ (٤)

والأمر لا يختلف مع فرنسا ايضا اذ تطلق طلقات المدافع في حلب لأنّ نابليون نفى فسانا ، " بعدها صيروا قداس ونهار بالشيباني وراحوا كل الفرنساوية بعد القداس عاودوا لنابليون سلطان الفرنساوية لان المذكور اجاله ولد ذكر وضربوا له طواب مدة ١٠١ " ٠ (٥)

ب — الحياة الأقتصادية

مركز حلب التجاري وتجارتها —

تعود أهمية حلب التجارية الى مركزها العظيم كنقطة هامة في طريق المواصلات لاوربا ، ومحطة كبيرة للطرق الداخلية ٠ وكانت القوافل التجارية تلاقي فيها من التسهيلات ما يغرى تجارها بطرقها على الدوام ، لاسيما وتوسطها بين البصرة وبغداد واستامبول كان شيئا لا يمكن تجنبه (٦) ٠ وكان طريق حلب — البصرة — الهند (في اوائل القرن التاسع عشر هو أكثر أمنا وأسرع وأرخص من بقية الطرق ٠ (٧)

---

(١) Paton P. 259

(٢) الغزي ٢ = ٤٩٢ وهذه الرهبنة الفرنسيسكانية دخلت حلب سنة ١٥٧٠ الغزي ٢=٨٠

(٣) المشرق ٣٥ =(١٩٣٧) = ٤٢٩ من يوميات البخاش

(٤) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) = ١١٦ من يوميات البخاش

(٥) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٢ — ٤٢٣ من يوميات البخاش

(٦) SAuvaget, p. 200

(٧) Barker, vol II P. 203

وتحتل حلب هذا المركز التجاري الممتاز منذ اقدم العصور ، وكانت فرنسا والبندقية من أول البلاد الأوروبية التي عقدت مع حلب صلات تجارية وأقامت لها فيها مكاتب خاصة لهذا الغرض ، ثم تبعهم الأنكليز في القرن السادس عشر وتلاهم الهولانديون (١) . ولعل وجود خان في حلب يعرف بخان البنادقة يؤكد هذا الاتصال التجاري منذ القديم بين الطرفين .

هذه المؤسسات التجارية التي أقامتها الجاليات الأوروبية عملت على ايجاد امتزاج بين هذه الأمم وبين الحلبيين يدلنا على ذلك ما جاء في لهجات حلب العامية من كلمات دخيلة أجنبية عرضت لها في حينها .

وكان هؤلاء التجار الأجانب يقبضون على زمام الحركة التجارية بين حلب واوروبا دون أن يتيحوا وسيلة للاتصال المباشر مع الحلبيين ، الا انه في أواسط القرن التاسع عشر وكانت الملاحة البخارية قد عمت فسهلت معها طرق المواصلات ، اصبح بامكان التجار الحلبيين زيارة قواعد اوروبا التجارية ، وصارت هذه المدن بالمقابل توفد رجالها الى حلب ليدرسوا حاجة البلاد الاقتصادية ويطلعون "معاملات الايراد والتصدير" وهاجر عدد غير قليل من التجار مع أسرهم الى بلاد الافرنج فأسسوا محلات في فرنسا وفي انكلترة وكان النجاح حليفهم فصاروا وسطاء بين الحلبيين وبين الأفرنج فاقوا من وساطة الأوروبيين الموجودين في حلب . وصار لأكثر المحلات المهمة الحلبية شعب في مرسيلية ومانشستر وليفربول وفي الآستانة وفي ايطاليا فنشطت التصدير والتوريد واستغنت عن مساعدة اليد الأوروبية في السوق المحلية . (٢)

ومن محصولات حلب القطن والصوف والحبوب بانواعها والزيت والصابون والعنب والفستق والعفص ومن صادراتها الى مصر السمن والأغنام والصوف والمنسوجات " وكانت تستورد المنسوجات الانكليزية والجوخ وكثيرا من مصنوعات اوروبا والسكر وأغلبها البترول من اميركا " . (٣)

والقطن يشكل بين بقية المواد نسبة كبيرة في التجارة المحلية (٤) .

اما نسبة الاستيراد في حلب فبلغت سنة ١٨٥١ ٤٨٦ر٦٠ استرليني وسنة ١٨٥٥ ١ر٤١٤ر٠٥٩ .

ونسبة التصدير بلغت سنة ١٨٥٤ ٩٩٣ر١٣٠ استرليني وسنة ١٨٥٥ ١ر٢٠٤ر١٣٠

---

(١) خطط ٤ = ٢٦٨

(٢) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) هامش ٢ = ٢٠٨ – ٢٠٩ من تعليق الاب توتل

(٣) يني = ٣٠٠

(٤) Farley, 237

اما المصنوعات القطنية التي كانت تستوردها حلب من بريطانيا فقد ارتفعت بين سنتي ١٨٥١ — ١٨٥٥ من ٤٠٥ر١٤٦ الى ٦٨٩ر٤٤٤ استرليني • (١)

وبلغ مجموع ما استوردته حلب من بريطانيا سنة ١٨٥٥ بالليرات الاسترليفية ما يلي =

مصنوعات قطنية وغيرها	٦٠٠ر٤٠٩
سكر	٣٩٠ر٤
قهوة	٤٠٢ر٢

اما ما صدرته اليها سنة ١٨٥٥ فكان =

قمح	٠٠٠ر٢٤٠	
ذره	٢٥٠ر٣١	
سمسم	٠٠٠ر٦٠	
قطن	٠٠٠ر٢٠	
صوف	٠٠٠ر١٠٨	
طحين	٠٠٠ر١٥٠	(٢)

وبقيت تجارة حلب قليلا بسبب سوء الادارة العثمانية والاوبئة والزلازل (٣) •

الا ان الأذى الأكبر الذي حاق بها كان فتح قناة السويس سنة ١٨٦٨ التي قربت الهند من اوربا ، فتحول عن حلب مركزها التجاري الذي احتلته زمنا طويلا ، وكان من جراء هذا التحول ان انتقل كثير من تجار حلب الى بيروت والاسكندرية ومانشستر ومرسيلية وغيرها • (٤)

ويبدو أن الحاجة التجارية دعت تجار حلب الى المطالبة بانشاء بنك في مدينتهم فقدموا الى مستر سكين عريضة بهذا الشأن مستندين الى انه =

---

(١) Farley, 238

(٢) Farley, 2§9

(٣) راجع عن الزلازل الغزى ٣ = ٣٢٩ — ٣٣٤

(٤) خطط ٤ = ٢٧٠

١ـ ان الوضع التجاري في حلب يستدعي معونة نظام بنك مرتب •
٢ـ ان تأسيس فرع بنك في حلب يخدم هيئة التجار ويساعد في منفعة العاصمة •
٣ـ وبما ان الامر كذلك فمن الاوفق ان ينفذ هذا المشروع دون تاخير ملحوظ • (١)

وقد علق ستارسكين على العريضة بعد ان اعترف بصحة مواقع التجار قائلا ان كل تاجر مرغم على ارسال دراهم الى الخارج ، وبما ان كمية البضائع المستوردة هي اكثر من المصدرة فبفضائل روح التجار يقل استعدادهم العادية الامر الذى يجردهم من الشجاعة للاقدام على توسيع أعمالهم اذ يخشون عدم امكانية استبدال العملة او تحصيلها • ويزيد قائلا = ان انشاء مصرف في حلب يقضي على الصعوبات التي يلاقيها التجار فوق انه ينشط الاعمال ويوسع دائرتها • وبما ان كمية التصدير والاستيراد تتجاوز هنا (اى في حلب) ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ في السنة فهذا ما يضمن مادة طيبة لمؤسسة جديدة • ان فكرة انشاء مصرف هي حقا مدهشة •(٢)

ويدعم سكين بالاضافة الى حججه السابقة النظام الصرافي القائم في حلب بالذات فيصفه بأنه من اشد الاشياء التي تلحق الضرر بالتجار هؤلاء الذين يسلمون اموالهم الى صرافي المدينة الذين لا يتجاوز عددهم ١١ او ١٢ والذين يقبضون كليا على زمام الحركة الصرافية اذ يحولون الشيكات ويستبدلونها دون ان يدفعوا عنها فائدة او غرامة (٣) •

<u>الصناعات والحرف ـ</u>

كانت صناعة حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشيطة • وكانت تصنع فيها الاطالس والاقمشة الحريرية والقطنية والعباءات وغير ذلك • والجدول الاتي يبين عدد الانوال وكمية البضائع المصنوعة سنة ١٨٥٦ =

---

(١) Farley, 240
(٢) Farley, 241
(٣) Farley, 242

المادة	نوعهـــــا	عدد الانوال	سعر القطعة بالقروش	مجموع السعر بالقروش
اغباني	قطن وحرير	٥٠	١٢ر٠٠٠	٦٠٠ر٠٠٠
اطلس	حرير	١٥	٧٠	٢٥٢ر٠٠٠
خام	قماش قطن غير مصبوغ	٢٠٠	٢٠	٨٨٨ر٠٠٠
عبسي	صوف منسوج مع قطن	١٠٠	٢٥	٥٢٠ر٠٠٠
مناديل	محارم قطنيـــه بيضاء	٣٠٠	٣٠	٥ر٧٦٠ر٠٠٠
مناديل	قطن ملون	٣٠٠	٢٠	١ر٨٢٠ر٠٠٠

وغير ذلك كثير بحيث يكون مجموع الانـوال ٥٥٦٠ وعدد القطع المصنوعـــة ٢ر٣٢٨ر٨٠٠ والسعر العام المجمـوع ٦٩ر٢٩٢ر٠٠٠ (١)

اما حوالي سنة ١٨٦٢ فكان فيها ما لا يقل عن ١٠ر٠٠٠ نول (٢) وكانت هذه الانوال موزعة على الاحياء ، يقـوم من كل منها عدد يشتغل فيه سكان المحله . ففي محلة المغاربلـة (وهي من احياء حلب القديمـة) يوجد ثلاث " كرخانات " لطبع المناديل ، واربع قيساريات لحياكة الاقمشـة . الاولى فيها نحو عشرين نولا ، والثانيـة فيها خمســة انوال ، والثالثة فيها اربعة انوال ، والرابعة فيها ثلاثـة انوال (٣) .

وصناعة السجاد قديمة جدا في حلب ، ثم خبا نشاطها فترة الى ان جددها سنة ١٩٠٣ " يحيى بك الآى بك الجندرية الدمشقي من بني الشمعة " اذ فتح في منزلــــه مكانا لنسـج السـجاد . وكان لا يوجد من يتقنه فيها سوى شخص او شخصين . واستعان يحيى بك هذا بصناع من البلاد الشامية ، كما خصص للنسـاء مكانا . وما هو الا زمن قليل حتى ظهر من المعلمين بارعون في هذه الصناعـة التي فشت في اكثر محلات حلب ، وصار السجاد الحلبي مما يتفاخر فيه اهال الولـع (٤) .

وهناك ايضا صناعة الورق وهي قديمـة يدل على وجودها اسم حي الوراقـه غير انني لم اعثر على ما يؤيد وجود هذه المعامل لصنع الورق في القرن التاسـع عشـر .

---

(١) Farley, 236

(٢) المكان نفسـه

(٣) الغزي ٢ = ٣٧٠ — ٣٧١

(٤) الغزي ٥ = ٤٦١ — ٤٦٢

وقامت الى جانب حياكة النسيج بعض الصناعات الزراعية — كصناعة الصابون بسبب كثرة الزيتون • وتراوحت عدد طبخات الصابون قبل الحرب العامة بين ٤٠٠ — ٤٥٠ طبخة والطبخة وزنها ثلاثة آلاف وستمائة اقة • (١) وتعود شهرة حلب في صنع الصابون الى عهود قديمة ، ولا يزال فيها حتى اليوم حي كبير يعرف باسم المصابغة •

وكان لتأسيس مكتب الصنائع في حلب سنة ١٩٠١ فضل كبير في تقدم الصناعة واكسابها شكلا فنيا منظما وأول فيه الطلاب انواع الصنائع من نجارة وخياطة • وعمل احذية ونسج اقمشة غزلية وجوارب • (٢) ولست ادري فيما اذا كان هذا المكتب هو نفسه الذى اشار اليه الطباخ بقوله " فى رمضان من هذه السنة (١٨٦٨) افتتح في الشهباء مكتب للصناعة ادخل اليه مقدار ١٠٠ من ابناء الفقراء وصاروا يشتغلون فيه في صناعة الاحذية والاقمشة الحريرية والصوفية "(٣) فلعله المكتب الذى أسس سنة ١٨٦٨ واهمل فترة ثم اعيد فتحه سنة ١٩٠١ •

وفي سنة ١٩٠٣ اتسع في المكتب الاعدادى الملكي معرض عام " لتشهير البضائع التجارية والصناعية الوطنية كالمنسوجات القطنية والحريرية والقصبية الفضية والمصنوعات الحلويية والغلات الزراعية والحيوانية والمصنوعات الفضية والذهبية والسراجية والحديدية والنحاسية والنجارية والترابية والدباغية والحلوية من حلب واكثر البلدان الكائنة في ولايتها ••• والبضائع التى سارت فيه تحسب السبق وصارت محل اعجاب الجميع هي منسوجات حلب " (٤) •

واذا استعرضنا أسماء الاسر الحلبية التى وردت في يوميات المعلم نعوم بخاش نعثر على اسماء مختلفة تشير الى صنائع مختلفة كقوتونجي وحائك وحداد وخياط وغيرها كثير • ويرى الاب توتل اليسوعي ان هذا مصداق لقول المؤرخين من الهيأة الاجتماعية ان الغير المسلمين من الدول الاسلامية كانوا يتعاطون الصناعة والتجارة والصرافة والمهن الحرة " • (٥) الا انني اعتقد ان صناعة النسيج والحياكة كان يزاولها المسلمون كما يزاولها المسيحيون ، وبعضهم كثيرون

---

(١) الطباخ ٣ = ٤٣٥
(٢) خطط ٦ = ١١٦ الغزي ٣ = ٤٥٥
(٣) الطباخ ٣ = ٤٦٢
(٤) الغزي ٣ = ٤٥٩ الطباخ ٣ = ٤٩٧ — ٤٩٨
(٥) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) ٤٩١

لا يزالون حتى اليوم يحكون على الاتوال البدائيـــة مشــــوبات حلب المحليـــة •

الزراعـــــــــة —

تتوسط حلب ســـــهولا زراعيــة واسـعة تمتد على مسافات شاسعة تزرع فيها الحبوب بانواعها والخضار والبقول ، ويوجد فيها بكثرة اشجار الزيتون والتين والفستق الشهير (١) • ويقول كرد علي نقلا عن دوار ان " ضواحي هاتين المدينتين [دمشق وحلب] كانت خاصة بزراعة شجرة القطن وهذه الحقول البديعـــة توجب حيرة السياح • " (٢) غير انني لم أستطع ان اتأكد من المصادر عن مدى نجاح زراعة القطن في حلب في القرن التاسع عشر هذا ومن المعروف انه دخل حلب خلال هذا القرن بعض المزروعات الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل ففي سنة ١٨٠٤ زرعت البندورة فيها لاول مرة وقد " احضر بذره من مصر احد التجار من حلب فانجب واخصب غير ان الحلبيين لم يألفوا اكله في اوائل ظهوره بل كان بعضهم يشمئز منه حتى ان بعض البسطا كان اذا رآه او ذكر من حضره يحلق بالشهادتين توهما منه انه من الخضر المحرمة التي اخترعها الفرنجي(٣) ولا يزال حتى اليوم يعرف بحلب باسم " الفرنجي " وفي سنة ١٨٦٨ " صدرت ارادة سنية بجواز زرع التبغ بشرط ان يأخذ الزراع رخصة من ادارة الرسوم • " (٤)

الضــــرائب —

ما أكثر ما كان الشعب الحلبي يشتكي من الضرائب المفروضـة عليه ، هذه الضرائب التي كانت تجبى بطريقة اعتباطيـة والتي كثيرا ما يلجأ الموظفون المسئولون عن جبايتها الى اساليب تستنزف الاهالي وتحملهم على السخط والنقمة • ولكن انى لهم ان يعبروا عن تذمرهم او ينفصوا عن نقمتهم وسيف الاستبداد العثماني مسلط عليهم والمراقبون او الولاة ظالمون متعسفون • وما يكاد الاهلون يتخلصون من دفع ضريبة معينة الا ويطلع عليهم الانبا بزيادة جديدة " وسمعت انه صار على رطل التتن غروش ١٠ كمرك مهما كان من صال ودون كله سوا • " (٥)

---

(١) راجع الغزي ١ = ١١٤ — ١٣٧ عن النباتات في حلب
(٢) خطط ٤ = ١٠٥
(٣) الغزي ٣ = ٣٨٩
(٤) المصدر نفسه = ٣٩٦
(٥) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٤١ من يومية النقاش •

ولعل احسن مرجع لمعرفة الضرائب في القرن التاسع عشر ما جاء في سجلات القنصلية البريطانية في حلب بقلم القنصل سكين " الرسومات او الضرائب على مواد الموازين والمقاييس وعلى غير ذلك من المبيعات سوى القطن يبلغ مجموع ما يختص منها ١١٣٠٠ • و الترابيعة هي ضريبة ١٥ بالمئة على البيوت ويبلغ مجموع ما يختص منها ٨٩٠٠٠٠ غرش وكلا الطلبين مضروبان على سائر طبقات الناس (١) • ومشايخ الحارات هم المكلفون بجباية هذه الضريبة من الاهلية سنويا وسلفا ولا تجبى على طريقة الالتزام •

" وهناك ضريبة جديدة وضعت على اساس قيمة المشروبات الكحولية بمعدل ٢٠ بالمئة تؤخذ ليس فقط على ما يتاجر به بالسوق ولكن على ما يحفظ منها في البيوت " نظـــرا لان الاهلين يلجأون الى تقطير الخمرة في بيوتهم لاستعمالهم الشخصي " لتصريح " بيعهـــا بكثرة في الاســـواق • ولا يعفى الاوربيون من دفع هذه الضريبة ايضـــا كسائر سكان البلدة • ويرى سكين ان تقدير هذه الضريبة سيخلق مشاكل جديدة ناجمة عن دخول الجباة بيوت الناس " للتحقيق عن كمية المشروبات المخزونـــة ••• ومن ثم الباب مفتوح لمشـــاكل مزعجة خاصة في هذه البلاد حيث حرمة البيت وكره دفع الضرائب مع وجـــود بين معاداة الاشـــخاص (٢) •

ومن الضرائب ايضا ما يسمى البدلية وهذه تؤخذ عن الرعايا المسيحيين واليهود مقابل اعفائهم من الخدمة العسكرية • ولسنا نعرف بالضبط ما يدفعه كل شخص منهم ففي مكان يذكر البخاش " وطلبوا مني ٨٥ لاجل البدلية " (٣) وفي مكان اخر عزواها بهبـــط الى ستين " الاحد دفعت البدلية للقدلفت (٤) السريان عن يوسف تنبكجي ٦٠ " (٥) ونصارى حلب يقرون مبدأ هذه الضريبة الا انهم كانوا يتذمرون من علييقها • اذ كان عليهم دفعها في كل سنة سواء خرج المسلمون في قرعة التجنيد ام لم يخرجـــوا • (٦) •

اما البدل العسكري الذى يدفعه من يستنكف عن الخدمة العسكرية من سائر الناس فقط خفض سنة ١٨٦٧ من مائة الى ثمانين ذهبا عثمانيـــا (٧) •

---

(١) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) = هامش ١ = ١٢٠ من يومية البخاش

(٢) المكان نفســـه

(٣) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٣٠ من يومية البخاش

(٤) والقدلفت كان يسلمها للوكيل الطائفة لكي تدفع لخزينة الحكومة " المصدر نفسه " هامش ا ٤٣١ من تعليق الاب عوسل •

(٥) المصدر نفســـه = ٤٣١ ٦) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) هامش ١ = ١٢٠ عن سجلات القنصلية البريطانية في حلب — ٧) المشرق ٣ = ٣٩٣

وكان الى جانب الضرائب المحدودة اعانات تجبى من الاهلين في مناسبات متباينة فقد ارادت الدولة العثمانية محاربة اليونان لمنعها من التحرش بكريت سنة ١٨٩٦ ولما كانت مالية الدولة في عجز فانها فرضت على المملكة اعانة سمتها اعانة التأسيسات العسكرية ولحق حلب منها ١٤٧٧٥٠ قرشا " (١)

وفرضت الحكومة ايضا سنة ١٨٩٧ اعانة وقتية سمتها " اعانة لمهاجري مسلمي كريد المهاجرين " كانت تؤخذ من المسلمين وقدرها اربعين قرشا بارة على كل شاه ذبح ، وثلاثين على كل معزاة ومائة وعشرين بارة عن كل بقرة (٢) .

وفي سنة ١٩٠٥ ورد الامر بفرض ضريبة جديدة على الناس اسمها " ويركو شخصي " يدفعه الى الخزينة كل ذكر بالغ صحيح الجسم . ويراعى فيها الشخص المكلف على ان يكون حدها الادنى خمسة عشر قرشا في السنة ، وحدها الاقصى مائتا قرش (٣) .

النقـــــود —

كانت العملة المتداولة في ايدي الحلبيين وفي تعاملهم مع الخزينة العثمانية هي العملة التركية . وتتألف العملة التركية من مسكوكات ذهبية وفضية ونحاسية واليك قائمة بها =

الذهبيـــة	الفضيـــة	النحاسيـــة	
٥٠٠ قروش	٢٠	٤٠	
٢٠٠	١٠	٢٠	
١٠٠	٥	١٠	
٥٠	٢	٥	
٢٥	١	١	(٤)

(١) الغــــزي ٣ = ٤٣٧
(٢) الغـزي ٣ = ٤٤٥
(٣) المصدر نفسه = ٤٦٤—٤٦٥
(٤) سالنامه ١٢٨٥ = ١١٥ — ١١٦

يضاف الى ما تقدم ما ورد ذكره مرارا في يوميات البخاش كخمس ٪ ٢٠ [لعلها عملة عسكرية] جكوه ٢٦ [لعلها عملة ايطالية] ، قمرى ٪ ٤ ، الطي ٪ ٦ (١) •

وكان اسعار العملة في ارتفاع وهبوط • فشارة يصير سعر المجيدى الفضي ٢٢ قرشا (٢) وذلك حوالي ١٨٥٩ ، وتارة ٢٦ قرشا وثلاثة ارباع القرش (٣) حوالي ١٨٦٠ وطورا يهبط الى ٢٠ قرشا (٤) حوالي ١٨٦٣ •

والليرة الذهبية تتراوح ايضا بين صعود وانحدار • سعرها العادى ١٠٠ قرش لكنها ترتفع احيانا الى مائة واربعة وثلاثين قرشا ونصف القرش كما حدث حوالي ١٨٦٠ • (٥) عندما ضج الاهلون ولا سيما فئة التجار من هذا الارتفاع وراجعوا الوالي شارحين له الاضرار التي تحيق بالتجارة والصناعة والاجور ، طالبين ارجاع العملة الى سابق قيمتها ، فأمتنع الوالي أولا من أجابة مطالبهم ، زاعما ان رجوع اسعار النقود الى أصلها مع بقاء أسعار البضائع على حالتها الراهنة مما يوجب ضرر الفقراء " • وارتأى ان يزاد في الاوزان لكي يكسب الفقير من البضائع قدر ما يخسره من النقود (٦) •

---

(١) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٥٥٤ — من يوميق البخاش والكلمات بين المعقوفتين من شرح الاب توتل راجع كذلك المشرق ٣٧ (١٩٣٩) تتمة هامش ٢ في الصفحة ٥٩ = ٦٠ وذلك لمعرفة اسماء النقود الاخرى •

(٢) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) تتمة هامش ٣ من الصفحة ٥٩ = ٦٠ نقلا من سجلات القنصلية البريطانية في ٢١ تشرين الاول سنة ١٨٧٨ •

(٣) المشرق ١ = ٩٣

(٤) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) ٤٧

(٥) المشرق ١ = ٩٣

(٦) المكان نفسه • وكتب الاب توتل تعليقا على يومية البخاش نقلا من سجل القنصلية الانكليزية في ١٨٧٨ ما يلي = " ••• ان النقود المستعملة ••• اما قطعة القرش او القرشين الفضة فالعشرون منها تسوى المجيدى • البشلك قيمته ٥ قروش والمتاليك ٦ قروش • وليس من نقود نحاسية بايدى الناس سوى قطع خمس بارات كل ثمانية منها تسوى القرش و القائمة هي ورقة قيمتها المطبوع عليها ١٠٠ قرش اما صرفها فهو ٣١ غ " المشرق ٣٧ (١٩٣٩) تتمة هامش ٣ من الصفحة ٥٩ = ٦٠ •

وهكذا يبدو ان بقية القطع الفضية والنحاسية قد اختفت من ايدى الناس وان سجل القنصلية قد سها عن ذكرها • وعلى كل فلسنا نعلم ان كانت هذه اللائحة تمثل النقود التي كانت متداولة في عهد البخاش ، او في عهد رسالة القنصلية ؛ وان كنت ارجح الاولى نظرا للجملة التي يستهل بها الاب توتل المثال =" اما العملة المستعملة في ذلك العهد فقد يفيدنا عنها سجل القنصلية الانكليزية في ١٨٧٨

الاوزان والمكاييل والمقاييس —

اخذت حلب منذ عام ١٨٤٧ تستعمل رطلاً يزن ثمانماية درهم يقسم الى ١٢ وقية (١) وعندما تضاعفت اسعار النقود فى حلب سنة ١٨٦٠ امر الوالي تلافياً لما قد يخسره الفقراء من فرق العملة — ان يساوى الرطل مائتا درهم " وان يقسم الى عشرة آراق كل اوقية مايه درهم " (٢) ٠

وعدلت هذه الاوزان مرة اخرى فى سنة ١٨٦٨ ووسمت بطابع البلدية (٣) ٠

وعدل الشنبل كذلك تبعاً لتعديل الرطل سنة ١٨٦٠ واصبح يزن اربعة وخمسين رطلاً من الارطال الجديدة (٤) ٠

اما المقاييس فمنها الذراع وهو على انواع منها " ذراع القماش يساوى ٦٩ سانتمتر و ٥ مليمتر ٠٠٠ وذراع الجوخ يساوى ٦٨ سانتمتر ٠ " (٥) وهناك ايضاً ذراع المعمار او النجار والمهندس ٠

الغلاء والاسعار —

اكتسحت حلب فى القرن التاسع عشر عدة موجات من الغلاء يعود سببها على الاكثر الى انحباس المطر او البرد الشديد ، او تلاعب المحتكرين ، او مداهمة الجراد ، وفى بعض الاحيان كان الناس يشتكون من ارتفاع اسعار الاقوات فيخشى المسؤولون حدوث فتنة " انه لحدث جدير فى هذه البلاد حيث الفقر قليل ٠ ان تحدث فيها الفتنة في سبيل الخبز وذلك لم نسمع به الى يومنا كان الناس يتزاحمون عند الافران وليس ازدحامهم ما يدعو الى الطمأنينة " (٦) وبعد ايام تمضى هذه التجمهرات عن مظاهرات يتهددون بها من قيل عنهم انهم احتكروا القمح وذلك لان سعر الشنبل من الحنطة قد بلغ ١٥٠ قرشاً ٠(٧) وحينما ارتفع سعر الحب فى سنة ١٨٧٩ بيع رطل الخبز باثني عشر قرشاً بدل قرش ونصف وارتفع سعر بقية المأكولات معه كالرز والعدس والبرغل واللحم، واضطرب الفقراء فثاروا فى احد الايام ومشى

(١) الغزى ١ = ٩٣
(٢) المصدر نفسه = ٩٣-٩٤
(٣) الغزى ٣ = ٣٦٩
(٤) الغزى ١ = ٩٥ يعادل الغزى بين نسبة الاوزان القديمة الى اوزان اليوم راجع ج ١ — ٩٧
(٥) الغزى رقم ١ = ٩٧
(٦) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) هامش ١ = ١٢١ عن رسالة من القنصل سكون فى ٣١ مارس ١٨٥٩
(٧) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) = ٢٠٣

منهم جمهور الى السوق الكبير ... واخذوا يخطفون المأكولات (١) .

واذا ما " فرجها الله " وهطلت الامطار هبطت الاسعار وارتاح الناس وطمر زايد كثير بالليل الله فرجها لان الحنطة وصلت الشنبل ١٠٠ ما في والخاروف غرش ١٠ والسمنة ٤٠ والباجه ١٠ والخبز ٤ ونصف الرطل فالله فرجها الشنبل بالمطر ورخص كل شي " (٢)

وفي مكان اخر يقول الغزي " في هذه السنة ١٨٦٨ كان الجدب مستوليا على حلب وبرها بحيث لم ينبت فيها حبة ولا نزل من السماء قطرة واشتد الغلاء حتى بيع رطل الخبز بتسعة قروش ونصف القرش بدل قرش وربع القرش واستمر الحال الى دخول سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) " (٣) .

ويعد قولنا ان البرد الشديد يسبب احيانا ارتفاع الاسعار ما يذكره الغزي بحوادث سنة ١٨٦٣ حيث " حدث في حلب غلاء شديد وبرد قارس اده هش العقول " (٤) . وما ذكره الطباخ في حوادث سنة ١٨٧٨ اذ يقول حصل في تشرين برد شديد تضاعفت بسببه اسعار المأكولات فبيع الشنبل من الحنطة الذي يبلغ وقتئذ ٧٥ اقة بمائتين وخمسة وسبعين غرشا ثم وصل الى ثلاثماية ... وبيع الرطل من الخبز باثني عشر قرشا ثم تضاعف الى اربعة عشر قرشا = وبيع الرطل من السمن بخمسة واربعين قرشا ثم فرجها الله ورخصت الاسعار وتعرف هذه السنة الى يومنا هنا بسنة الغلاء " . (٥)

وعندما هاجم الجراد حلب سنة ١٨٩٠ وقضى على كثير من المزروعات ارتفعت اسعار القوت (٦) .

وحينما ارتفعت الاسعار بعيد اعلان الدستور بسبب قضاء الجراد على الخضر والمحصول الصيفية اجتمع جمهور عظيم من عامة الناس وهاجوا وماجوا ضحوة يوم وتراكضوا في الاسواق يصيحون ما

---

(١) الغزي ٣ = ٤٠٥
(٢) المشرق ٣٦ = (١٩٣٨) ١٢١ـ٢٢٢ من يوميــة البكاش
(٣) الغزي ٣ = ٤٠١ ـ ٤٠٢
(٤) المصدر نفسه = ٣٩١
(٥) الطباخ ٣ = ٤٦٤
(٦) الغزي ٣ = ٤٩٩

يجدونه في الدكاكين والخانات من الاموال والاقوات صائحين معربدين " طنا منهم ان الحوسة تبيح لهم هذا العمل " • (١)

وكان يرافق تخريب المزروعات من قبل الجراد ان يعمد المزارعون الاغنياء الى احتكار الحبوب فيحبسونها عن البيع فترتفع اسعارها ارتفاعا فاحشا ويبلغ شنبل الحنطة مئة وعشرة قروش بدل ثمانين قرشا • وبعد مدة تفقس بيوض الجراد فيزداد ارتفاع الاسعار حتى يباع شنبل الحنطة بمئتي وخمسين الى مئة وثمانين ، وتتبع اسعار الاقوات بعضها فيرتفع الزيت من ١٥ الى ٣٠ والسمن من ٣٥ الى ٧٠ قرشا • (٢)

ويرتفع شنبل الحنطة الى ١٠٠ اذا " رسّم " الباشا على الحنطة ومنع ورودها من الخارج فتتجمهر الاسلام •(٣)

ولا يسع المسؤولين تجاه هذه الحالة الا تدارك الامر اما بالايعاز الى الجنود باطلاق الرصاص تهديدا وتخويفا (٤) ، او يعمد الى اطلاق " اليسق " فيبيح استيراد القمح من الخارج (٥) ، او تعين موظفا مهمته حمل تجار القمح على بيع قسمة من قمحهم باسعار مقبولة • (٦)

اما بقية الحاجيات كالفحم مثلا فقد تراوحت اسعارها للرطل بين رطل ونصف سنة ١٨٥٦ (٧) فالى ٥ فالى ٧ ٪ في سنة ١٩١١ • (٨) وتراوحت الجبنة بين ٨ ونصف للرطل سنة ١٨٥٦ (٩) وبين ٧ ٪ سنة ١٨٥٨ (١٠) وبين خمسة وثلاثين قرشا سنة ١٩١١ (١١)

---

(١) المشرق ٣ = ٤٧٥

(٢) المصدر نفسه = ٤٧٦

(٣) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٣٤ من يومية البخاش

(٤) المشرق ٣ = ٤٧٥

(٥) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٣٤ من يومية البخاش

(٦) المصدر نفسه هامش ١ = ١٢١ من رسالة للفصل سكين

(٧) اضبارة رقم ١ محفوظة في المكتبة المارونية في حلب • رسالة من القس مخايل كلداني الى المطران مطر •

(٨) من مذكرات مخائيل الصقال محفوظة عند ابنه الدكتور انطون الصقال في حلب

(٩) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٦ من يومية البخاش

(١٠) المصدر نفسه = ٥٦٠

(١١) من مذكرات مخائيل الصقال

والفستق الحلبي تراوح الرطل بين ٪ ٦ سنة ١٨٥٦ (١) وبين ٢٢ سنة ١٨٥٨ (٢) وبين ١٠ سنة ١٨٦٤ (٣) .

وأرى ان اقتصر على هذه الأمثلة ولو عرضت لتدرج اسعار المأكولات والطبوسات خلال نصف قرن لطال بي المقال .

ج — التنظيمات الادارية

حلب في ركاب الدولة العثمانية —

كان على حلب شأن غيرها من ولايات الدولة العثمانية أن تقوم بواجبها تجاه سياسة هذه الدولة ، فتجند الجنود وتجبي الضرائب لطرد عدو او قمع عصيان .

فحينما اعلن النفير العام في البلاد العثمانية لمحاربة الروس في حرب القرم خرج من حلب خمسمائة متطوع (٤) . وقامت في حلب يوم حاصرت ايطاليا الدردنيل سنة ١٩١١ ارغاما لتركيا على تسليم طرابلس مظاهرة ضد ايطاليا لتصوب عن الدردنيل ، وعلى أثرها صدر الأمر بإجلاء الطليان عن حلب سوى من كان منهم راغبا ، وسوى الأرامل والعمال . ومن يقبل الدخول في التابعية العثمانية . (٥)

ولم يقف القيام بالواجب عند هذا الحد بل تعداه الى المساهمة في المشاريع العامة . ففي سنة ١٩٠٠ حينما ازمعت الدولة على انشاء الخط الحديدي من الشام الى المدينة جمعت الاعانات من وجهاء حلب وتجارها . وقد نشرت جريدة الفرات ان ما دفعه اهالي الشهباء في هذا السبيل بلغ الفي ليرة عثمانية . (٦) .

---

(١) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٧ من يومية البخاش

(٢) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ١١٤

(٣) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) ٢٠١

(٤) النهر ٣ = ٣٨٨

(٥) المصدر نفسه = ٥٣٪ — ٥٣٢

(٦) الطباخ ٣ = ٤٩٧

غير ان ذلك لم يكن يعني رضى الحلبيين عن دولتهم الحاكمة. وقد تجلى شيء من شعورهم السري ضدها سنة ١٩١١ عندما ثار الارناؤوط في جبال مكدونيا ضد تركيا ، وكان احد علماء حلب قد افتاهم بجواز قيامهم على الدولة ، فوقعت الفتوى بيد الحكومة وهي مرسلة بعد تواقيع من قبل تلاميذ ذلك المفتي فالقي القبض عليهم جميعا وارسلوا الى الاستانة وحكم عليهم بالنفي الى جزيرة رودس (١) .

جاء في رسالة من الصيوسكين قنصل انكلترا العام في حلب ما يؤيد هذا ايضا اذ قال " ومما يجدر بالذكر ان كره ابناء العنصر العربي في هذه الجهة من البلاد السورية (يعني حلب) للضباط الاتراك وجنودهم ليس باقل شدة من تعصبهم ضد المسيحيين .. وهم يحسبون كل جندي تركي كعدو لوطنهم .. كما انه يظهر ان المسلمين سكان شمالي سوريا يعللون آمالهم بالانفصال عن جسم السلطنة العثمانية وتأليف دولة عربية جديدة تحت سيادة شريف مكة .. " (٢) .

ويبدو ان القنصل المذكور كان يتوقع قيام ثورة داخلية ضد الاتراك تذكيها بواعث شتى لاسيما وقد ألف الحلبيون الثورات عندما تضيق بهم الآفاق ، اذ يقول القنصل المذكور في موضع اخر من الرسالة " ان حامية حلب لا يتجاوز عددها الفي جندي فلو حدثت فتنة عظيمة كانت هذه القوة عاجزة عن اخمادها اذ يجتمع على كل جندي تركي نحو ثلاثين عربيا مختلف مهارتهم في استعمال السلاح = " (٣)

<u>الولاة —</u>

تعد حلب بين ولايات الدولة العثمانية من الصف الاول . كان يؤمها الوالي وهو يحمل رتبة وزير او مشير او باشا . وصورة الولاة الذين تعاقبوا على حلب خلال القرن التاسع عشر كصورتهم في اي بلد اخر من بلاد الدولة العثمانية . فالرشوة ، والسطو على اموال الغير ، وهضم الحقوق من الامور المألوفة في سيرتهم . و " أكل البقجة " ايضا من العادات المتبعة في الحين عند وصول كل باشا او كل رئيس وزراء اليها . فقد كان على كل وجيه في المحلة ان يرسل هدية تسمى عادة " البقجة " تحتوي على مجوهرات وحرائر وحلي وغيرها . وقد كتب مرة والد احد الوجهاء من دمشق الى ابنه في حلب ، " سيكون رئيس الوزارة بينكم عن قريب ، هيئ " البقجة " .

(١) الغزي ٣ = ٥٣١

(٢) الخازن — فيليب وفريد " مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان " تعريب. جونية (١٩١٠ الى ١٩١١) . المجلد الاول = ٢٢٦ من رسالة الصيوسكين بتاريخ ٣١ تموز ٨٥٨

(٣) المكان نفسه .

وهذه النقمة تساوي عادة مئة ليرة استرلينية واحيانا اكثر • ويجمع هذه الاموال تؤخذ من الشعب اذ لا يوجد في تركيا شيء غير هذا لانماء ثروة الحكام • (١)

وسيرة هؤلاء الولاة تكاد تكون واحدة • ويلاحظ من لائحة الولاة وسني تعيينهم (٢) ان اقامة اكثرهم كانت لا تطول في حلب ، وقد لا يمكث بعضهم سوى بضعة ايام يحول بعدها الى ولاية اخرى •

فهذا رشيد باشا الشرواني ، وقد عين سنة ١٨٧٤ فلم يلبث غير بضعة ايام وصرف عنها الى ولاية الحجاز (٣) وهذا مصطفى ذهني باشا الذي ولي حلب سنة ١٨٩٥ ثم نقل وولي حلب رائف باشا (٤) •

وسلك بعض الولاة في الحصول على المال مسلك الظلم والطغيان (٥) حدثني احدهم في حلب ان بعض الولاة كان قد امتص دماء الحلبيين لكثرة ما طالبهم به من أموال فصبروا على ذلك طويلا ثم كتبوا الى المراجع العليا يطلبون تحويله ، فما كان منه عندما ألمّ بالخبر الا ان دعا كبارهم ووجهائهم الى منزله ، وبعد تبادل الحديث والنكات قام الى خزانته ففتحها فاذا الاموال مكدسة فيها بشكل عجيب ، فأشار اليها وقال = حينما قدمت حلب كانت هذه الخزانة فارغة وقد املأتها كما تعلمون من أعطياتكم وأموالكم ، وسأفرغها عند تحويلي الى ولاية اخرى ، لكن الوالي الذي سيخلفني سيجيء فارغ الخزانة ايضا وسيعمد لا محالة على خطتي في املائها • فماذا ترون ؟

لست ادري مبلغ هذه الرواية من الصحة غير انها تمثل ان صحت جشع الولاة في حلب وابتزازهم أموال الأهلين • الا ان الدولة في بعض الاحيان كانت تلجأ الى التحقيق الرسمي في شكوى موجهة ضد الوالي فتعزله ذرا للرماد في اعين الامة وايهاما لها ان الدولة جادة في طريق الخير والحق وهذا ما حصل لحمدي باشا الذي ولي حلب سنة ١٨٥٥ فمكث فيها مدة " وكثرت شكوى الناس منه فندبت الدولة لفحص أحواله رجلا يقال له امين افندي محاسبه جي فحضر الى حلب وفحص احواله فثبت لديه ظلمه وتجاوزه على أموال الدولة فانهى بعزله فعزل"(٦) •

---

(١) Barker I P.P. 342-343

(٢) راجع ملحق رقم (١)

(٣) النهر ٣ = ٤٠٣

(٤) المصدر نفسه = ٤٢٦ ويذكر السالنامة في السنة نفسها ايضا حسن فهمي باشا • سالنامه ١٣١٦ = ٧٥

(٥) راجع الطباخ ٣ = ٣٧٥ — ٣٧٦

(٦) النهر ٣ = ٣٩٠

وإذا ما أسعد الحظ حلب بوالٍ طيب بادر الجواسيس الى الاخبار عنه ورفع التقارير الى الاستانة فلا تطول اقامته اذ يخشى السلطان عاقبة الاصلاح فيعزله ، ولعل رائف باشا يقدم خير مثال في هذا الصدد . كان رائف باشا وزيرا شهما قويا أمينا عين لولاية حلب سنة ١٩٠٠ وأقام فيها أشهرا خمسة (١) وكان أن حمل بعض كبار الأتراك المقيمين في حلب على هذا الوالي ونقموا عليه منعهم من تدخلهم في شئون الحكومة ، ومن الاستبداد في معاملاتهم مع الناس فوشوا به الى السلطان ، وكان هذا في الوقت نفسه يحذره ويخشاه اذ سبق وعين في ولاية بغداد معاونا لمدحت باشا ، وكفى بهذا سببا يدفعه للوقوع تحت اتهام السلطان وسوء ظنونه (٢) . ولست أرى في هذا المعرض خيرا مما قاله كرد علي في خططه " فاذا رأت (الدولة العثمانية) رجل جد من ابنائها يحاول أن يعلمها الصواب في المعاملات ، لا تلبث ان تريحه بكل شيء ، وكان حظ الولايات في كل دور من أدوار العثمانيين ولاسيما في العهد الحميدي ان يبعث منهم من يسعى الى التخلص من اصلاحهم ومراميهم ولسان الحال يناديهم لا تحب ان تخرج عن مألوفها الباطل المجمع على بطله وتؤثر ان تموت فيه على سلوك سبيل التجدد " . (٣)

غير أن حلب لم يعدم حظها من ولاة قلائل قاموا بالعدل بين الناس وبأعمال من العمران خلدت آثارهم . فثريا باشا ، وكان من اطول الولاة اقامة (١٨٦٢ — ١٨٦٦) وقد احدث في المدينة اصلاحات نال بها الشكر منها تبليط بعض الطرقات ، وادخال العربات الكروسات ، ومد سلك التلغراف ، وحماية الصناعة والعدل في الناس " (٤) وكامل باشا (١٨٧٧—١٨٧٩) في السالنامة ١٨٧٨—١٨٧٩) الذي يشيد به كرد علي بحسن سيرته بعد مدحت باشا اذ يقول " ... وكامل باشا في حلب ممن كانوا بسيرتهم معلمين للحكام ووضعوا لهم أصول الادارة وحرصوا حقيقة على امتاع الناس بالعدل واعمال العمران ، فكانوا حجة على الدولة بأنها تستطيع الاصلاح اذا ارادته على قلة الرجال لديها على شرط ان تتركهم يعملون بوجدانهم وعقولهم ."(٥) وفخري باشا ابن ناشد باشا (١٩٠٩ — ١٩١٠) وهو " وال حسن السيرة لولا ولعه بالميسر " (٦) ومظهر بك بن بدري بك (١٩١١) وهو من خيرة شبان دولة تركيا ومفخرة ولاتها علما وعملا ونشاطا . " (٧)

---

(١) من هذه الآثار مخفر السبيل ومرج الساحة والجادة الكبرى الممتدة من مزار السهروردي الى محطة الشام والجسر العظيم المضروب على نهر قويق في هذه الجادة . النهر ٣ = ٤٥١

(٢) النهر ٣ = ٤٥١ — ٤٥٢

(٣) خطط ٣ = ١٠٦

(٤) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) = ٤٠٦ الاب توتل

(٥) خطط ٣ = ١٠٦

(٦) النهر ٣ = ٥١٧

(٧) المصدر نفسه = ٥٣٢

ويعمد الولاة أحيانا اذ يشعرون بتعسفهم وطغيانهم الى تفريق تجمعات الناس في الشوارع خوفا من ثورة او فتنة كما حدث مرة اذ بنى مستر قنصلت العهد الألماني مركبا ، وكان من المقرر أن يجرى فى نهر قويق فى يوم محدد . وما أن ازف النهار الموعود حتى هرع الناس للتفرج على المعرض الذى يجرى مثله لأوّل مرة في حلب ، لكن الباشا خشى من ثورة تنجم أثر هذا التجمع فأرسل الى القنصل (قنصل بريطانيا) يطلب منه الكف عن عرض القارب واخراجه بالسرعة الممكنة . (١)

القناصـــــل —

تمتع قناصل الدول الأجنبية في حلب فى ظل الحكومة العثمانية بنفوذ كبير ويدل المصادر التى بين ايدينا ان القنصل كان يبعث الى ترجمانه باخراج المساجين من الحبوس اذا ما توسل هؤلاء بالقنصل او طلبوا وساطته ، واذا ما تلكأ الترجمان عن ان " يعين ويطالع واحد من الحبس " عوقب . (٢) .

وقد حدث مرة ان لاذ شخص ما بالقنصل هربا من الوالي الذى يطلبه لمعاقبته فأبى هذا تسليمه رغم الحاح الوالي " وطلبه الباشا ما ارسله جبرا " . (٣)

كان هذا نفوذ القناصل الفرنسيين رغم ما يرويه باركر عن نفسه مما جاء في كتابه " ان قناصل فرنسا وروسيا لم يحظوا بالأهمية والاعتبار التى حظيها بها السيد باركر ، رغم المكانة الممتازة التى كانت لفرنسا وروسيا فى حلب خلال أزمنة متفاوتة " (٤) .

وفى بعض الاحيان كان نفوذ القناصل يتجاوز حد اخراج المساجين او حماية الفارين من وجه العدالة الى مداخلة فعليه فى سياسة الدولة الداخلية كما جرى فى حادثة الوالي انيس باشا (١٩٠٠ — ١٩٠٢) فان هذا الوالي حينما قدم حلب امتنعت قناصل الدول عن السلام عليه واظهروا للسلطان عدم رضائهم عن تعيينه بحجة انه " هو الذى اغرى الأمة فى ولايته دياربكر حين كان واليا عليها بالقيام على الأرمن وقتلهم " فلم يكن من السلطان الا أن أوعز الى أنيس باشا بأن يلازم بيته لاشعار اخر . وبعد مدة طويلة وافاه الامر السلطاني بالخروج ومباشرة العمل . عمد السلطان الى هذه الحيلة ريثما يسترضي السفراء وينال موافقتهم على تعيين الوالي الجديد بعد أن ساءه وهاله

---

(١) Barker X P.P. I73-I74

(٢) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ١٠٨ من يومية البخاش

(٣) المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٥٤٧ من يومية البخاش ويغلب هذا كان قنصل فرنسا من ١٨٥١—١٨٥٤ المشرق ١٣ = ٤٠٦ من تعليق الاب مويسل

(٤) Barker I P. 63

الى عدم الاحتفال بعزله لما يتراءى في ذلك من وهن سطوته واخلال شرف سلطته في أعين الناس . (١)

د وائر الحكومة ومجالسها —

العدلية والشرعية = القضاء في حلب

قسمت حكومة حلب سنة ١٨٦٧ معاملتها الى اثني عشرة منطقة " سمت كل واحدة منها قضاء " اتخذ له مجلسا من مختاريه واختيارييه (٢) وكان أعضاء هذه المجالس يسألون في الأمور المتعلقة بأحيائهم ثم يرفعون وجهة نظرهم الى مجلس الادارة الذى ينظر عادة في " الأمور العمومية المتعلقة بأحوال المأمورين ومصالح الولاية " (٣) ولم يكن بادىء الأمر لهذا المجلس اولغيره اختصاص في الوظائف كان احيانا " يتطفل على وظيفة القاضي " فيقوم بتسوية الخلافات بين المتخاصمين ، وبالمقابل يأتي القاضي يترأس المحكمة الشرعية التى كانت تنظر في الحقوق المالية والجنايات . (٤) والقاضي يحول عادة من مدينة الى اخرى كل عام ، اما المفتي فعلى المولد والموطن ، ولهذا يكون هم الاول الحصول على الثروة بأقصر مدة ممكنة قبل مبارحة البلدة ، واما المفتي فيعمد الى بيع فتواه . والمفتي عادة يساعد القاضي لكنه لا يحضر دوره " بل مجانبا له ومقاطعه " (٥) .

غيرانه في سنة ١٨٧٨ شكلت في حلب محكمة البداية واختصت بالنظر في " فصل الخصومات في مدينة حلب ابتداءً واعادة المحاكمات التى تصدر من الاقضية التابعة لولاية حلب " (٦) كما حصر عمل المحكمة الشرعية بالنظر في الاحوال الشخصية . (٧) ولهذه المحكمة دخل خاص من الدعاوى وتستوفي حاجتها الباقية من صندوق المال ، غير ان كاتب العدل يتقاضى مبلغا معينا بنسبة معلومة بالمائة ليقوم بنفقات دائرته ورواتب موظفيه (٨) كما هي الحالة اليوم .

اما سير الدعوى فقد كان يعرقله شهادة الزور ، والرشوة ، وسوء الحكم (٩) . وكان خاسر الدعوى يعفى من المصاريف الامر الذى يشجع على المرافعات . (١٠)

---

(١) الغزي ٣ = ٤٥٣ — ٤٥٤
(٢) المصدر نفسه = ٣٩٣
(٣) الغزي ١ = ٣٣٧
(٤) المصدر نفسه = ٣٥٥
(٥) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) هامش ١ = ٢٠٧ نقلا عما كتبه القنصل سكين
(٦) الغزي ١ = ٣٥٣ — ٣٥٤ الطباخ ٣ = ٤٦٤
(٧) الغزي ١ = ٣٥٦
(٨) المصدر نفسه = ٣٥٤
(٩) المشرق ٣٧ (١٩٣٩) هامش ١ = ٢٠٧ نقلا عما كتبه القنصل سكين .
(١٠) المكان نفسه

غرفة التجارة ومحكمتها —

شكلت هذه الغرفة سنة ١٨٨٥ (١) وكانت محكمتها تنظر في الدعاوى التجارية المختلفة . كالافلاس وغيره ويظهر ان محكمة التجارة كانت موجودة قبل تشكيل الغرفة التجارية اذ ورد ذكرها في وقت مبكر (٢) كما يبدو أن المشاكل التجارية والخصومات والمخالفات كانت رائجة نظرا لانها " هي المحكمة الوحيدة التي تقضي مداخيلها بنفقاتها او تزيد عنها " (٣)

ادارة البريد والبرق —

كانت حلب مرتبطة بالبريد مع العاصمة ، ومع اوربا لاسيما فرنسا ومع أكثر البلاد العثمانية كديار بكر واورفه ودمشق وبيروت واسكندرية ودير الزور . وهناك ايام محدودة لسفر البريد الى هذه المناطق واوبته منها (٤) .

دائرة الاوقاف —

تعتبر حلب من أكثر البلاد العثمانية بيوتا ومؤسسات عامة موقوفة لاعمال البر والاحسان ، او للتعليم والدرس او للصلاة والاعتكاف " حتى كادت تكون نصف عقارات حلب واراضيها وقفا بحيث صارت تدعى حلب الوقف " (٥) ولعل مرد ذلك الى شراء أهلها او الرغبة في تخليد الاسم ، او التخلص من دفع التكاليف . وكان لها لجنة يترأسها المفتي ، تقوم بالاشراف على المساجد والمدارس وترميم ما تهدم منها ، وتدقيق دفاتر المتولين . (٦)

ادارة الريجي —

لما تشكلت ادارة الريجي سنة ١٨٨٣ أسس لها فرع في حلب لمراقبة التبغ والتنباك (٧) وقد دخل التنباك في شركة الحصر سنة ١٨٩٢ وارتفع سعره بسبب هذا (٨) .

---

(١) سالنامة ١٣٠٩ = ٢٠
(٢) سالنامه ١٢٨٥ = ١٠٦
(٣) الغزي ١ = ٣٥٥
(٤) راجع مواعيد سفر البريد وعودته في سالنامه ١٣٠٨ = ٢٥١ — ٢٥٢
(٥) الغزي ٢ = ٥١٠ — ٥١١
(٦) الغزي ١ = ٣٥٠ — ٣٥١
(٧) سالنامه ١٣٠٩ = ٢٠
(٨) الغزي ٣ = ٤٢١

دائرة أملاك الدولـــــة — (١)

تأسست سنة ١٨٨١ (٢) تقوم لجنتها التي يرأسها القاضي بمهام تسجيل الأملاك على اسم مشتريها ومراقبة معاملة البيع وانتقال العقارات الى الورثة . وتستوفي على ذلك رسومات معينة تودعها صندوق المالية .

دائرة البلديـــــــة —

تم تشكيل مجلسها سنة ١٨٦٦ . وظيفتها الاشراف على النظافة العامة في البلدة . ومراقبة باعة المأكولات وتحديد العداد الابنية في الارض وفي الجو . (٣) وقبل تأسيسها كانت مهمة الاستنارة في الليل تلقى على عاتق الأهلين . قال الحراش في يوميته " سمعت ان تجمعوا اهل الطابع كبارهم وبصموا أن لا احد يطلع بعد العصر بلا ضو او فنر والذى يخرج بلا ضو يوخذ يحبسوه . وختموا كلهم " (٤)

وتداخيل هذه الدائرة تجمع من الرسوم المختلفة التي فرضتها بلديات الدوم على الباعة المتجولين والمسالخ والقبان . وكان دخلها قبل الحرب العامة يتراوح بين سبعة آلاف وعشرة آلاف ليرة ذهبية عثمانيـــة (٥) .

دائرة الاشغال العامـــــة — (٦)

تأسست حوالي سنة ١٨٨٤ ، يرأس لجنتها الوالي ، وظيفتها " بناء الجسور والقناطر وتعبيد الطرق وغير ذلك من الأعمال ." ؟ (٧) غير انها لم تقم كما يظهر بشيء غير تعبيد الطرق الذى كان يشتغل فيه ايضا الذكور البالغون من الاهالي بين سني ١٧/٦٠ اربعة ايام في السنة " بنفسه أو بدلا أو مالا " (٨) . ففي سنة ١٨٦٧ مثلا شرع بتعبيد طريق الاسكندرونه " وقد فرض على كل بالغ مقدار اربعة ايام اما بنفسه واما ببدل نقدي عن كل يوم عشرة قروش " (٩) . ولم تتحسن هذه الدائرة الا في سنة ١٩١١ حيث تم تنظيمها على النسق الاوربي واصبح يرأسها رئيس المهندسين وتتألف من مهندسين وملاحظين وكتاب ، وباشرت القيام بانشاء الجسور وغيرها بصورة فنية (١٠) .

---

(١) تعرف باسم الطابو او ادارة الدفتر الخاقاني . الغزي ١ = ٣٤٨

(٢) سالنامة ١٣١٠ = ٦١ يذكر الطباخ انها تأسست سنة ١٨٦٦ اذ يقول " في هذه السنة (١٨٦٦) حررت الاملاك في حلب وصار لها دائرة مخصوصة عرفت بالطابو " الطباخ ٣ = ٤٥٨

(٣) الغزي ١ = ٣٤٦

(٤) الشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤١٩ من يومية البخاشي

(٥) الغزي ١ = ٣٥٢

(٦) يسميها الغزي النافعة . الغزي ١ = ٣٤٩

(٧) الطباخ ٣ = ٥٤٣

(٨) المكان نفســـه

(٩) الغزي ٣ = ٣٦٦

(١٠) الطباخ ٣ = ٥٤٣

ادارة الديون العموميـــــة —

انشـأت لتستوفي رسوما معينه من المسكرات والمخدرات والحرير وصيد الاسمـاك واستخراج الملح من سبخة الجبول وغير ذلك لايفاء ديون الدولـة (١) .

ادارة الاملاك السلطانيـــة — (٢)

وهي تنظر في أملاك السلطان عبد الحميـد الخاصـة وتديرها (٣) .

دائـرة الشـــرطة —

تشكلت في الولايـة سنة ١٨٧٨ (٤) وكان عدد أفراد الشرطة حوالي سنة ١٩٠٠ لا يتجاوز الخمسين (٥) .

نظـارة النفـوس —

تقوم بما تقوم به الآن دوائر سجلات النفوس من قيد أسماء المواليد والوفيات والاخبار عن الشبان الذين يؤهلهم سنهم لدخول الجندية (٦) . تأسست سنة ١٨٨٢ . (٧)

دائرة المعارف —

تشكلت سنة ١٨٨٢ ، وكانت لجنتها على تخليص الاوقاف التي ليس لها كتاب وقف معمول به من المتسلطين عليها لانفاقها على مدارس المعارف . وبعد سنة ١٨٨٥ أخذت هذه المديرية بانشاء مدارس عدة من ريع هذه الاوقاف المقدوسة ، وما فاض منها كان يصرف على نفقات الدائرة . واستمرت المعارف في اتساع نطاق الى ان حدثت الحرب العالمية الاولى (٨) ويظهر ان مراقبة المطبوعات كانت منوطة بهذه الدائـرة ايضا . (٩)

---

(١) الغنري ١ = ٣٥٧

(٢) يسميها الغنري " توسيس المختلف الهمايوني " الغنري ١ = ٣٤٩

(٣) الغنري ١ = ٣٤٩ ، ٣٥٦

(٤) الطباخ ٣ = ٤٦٣

(٥) سالنامة ١٣١٩ = ١٥٢

(٦) الغنري ١ = ٣٤٨

(٧) سالنامة ١٣٠٩ = ٢٠

(٨) الغنري ١ = ١٦٦

(٩) سالنامة ١٣٢٠ = ١٣٨

ادارة الغابات او الاحراج —

تأسست سنة ١٨٨٩ (١) لتهيئة الوسائل اللازمة لقطع الاحراش ولأستيفاء الرسوم عن الأحطاب المقطوعة (٢)

البنك الزراعي —

هو حديث ايضا • تأسس في السنة التي تأسست فيها ادارة الأحراج المذكورة آنفا وذلك لاقراض الفلاحين والمحتاجين من الزراع مبالغ معلومة يستعينون بها على ممارسة أعمالهم والبنك يستوفي عن هذه القروض فوائد محدودة (٣)

دائرة محاسبة الولاية —

وظيفتها ضبط الدخل والخرج (٤)

وهكذا نرى ان اكثر هذه الدوائر قد أسست في هذه الفترة مما يسجل تقدما محسوسا لحلب في النواحي الادارية • وهناك بالاضافة الى تلك الدوائر لجان أخرى سوف اشير اليها بكلمة • فهناك اولا لجنة تحصيل البقايا ؛ وظيفتها جباية مطاليب الدولة من ذوى الاستحقاق رئيسها الوالي (٥) • اما محصل الفوائد اى المحاسب وأعوانه فيرتبطون بالاستانة ويسلمهم الصدر الاعظم لجباية الأموال الأميرية (٦) • وهناك ايضا لجنة تسجيل الاحوال لتدقيق تراجم الموظفين(٧)• وقلم الاوراق لحفظ الاوراق الرسمية وتوزيعها على الجهات المختصة (٨) • وقلم مكتوبي الولاية لتوزيع الرسائل الصادرة عن الوالي الى العاصمة أو الى الأقضية (٩) • وأخيرا " اوضة الترجمة " لاجراء المعاملات الرسمية بين القناصل المقيمين في حلب وبين الوالي • وفيها تحفظ أسماء من يحملون الجنسية الأجنبية •(١٠)

---

(١) سالنامة ١٣١٠ = ٦٢

(٢) الغزى ١ = ٣٤٩

(٣) المكان نفسه = ٣٤٩

(٤) سالنامة ١٣١٠ = ٣٣٩ — ٣٤٠

(٥) الغزى ١ = ٣٥٠

(٦) اوجين سوبلس " اهم حوادث حلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر " نشرها وعلق حواشيها الخوري بولس قرألي • ص ٦٤ تعليق الناشر

(٧) الغزى ١ = ٣٥٠

(٨) المصدر نفسه = ٣٤٤

(٩) المكان نفسه

(١٠) المصدر نفسه = ٣٤٦

الأمن والثورات –

لم يكن الأمن مستتبا في أرجاء حلب في الفترة التي نؤرخ لها ، فحوادث "التشليح" كثيرة ، وإفساد النظام شيء مألوف . وكان المسافرون أو القوافل التجارية لا تأمن مهاجمات اللصوص " وشلحوا اولاد الطنات بالف ١٥٠ ومكاري راح له فرده بالف ١٢ " (١) وفي بعض الاحيان تكون هذه السرقات قائمة الا انها تحدث القلق وتلقي الخوف في قلوب الأهلين " وقد سرق البوسته مرتين في الأشهر الأخيرة وفي الأسبوع الماضي خرج بعض الذوات الى اسكندرونه فأوقفوا على الطريق خمس مرات " (٢) ومن حوادث التشليح ايضا ان " شلحت قافلة على طريق الموصل وغيرها على طريق اسكندرونه . وخرج الكونت بطشيوليسو القنصل الفرنسي راكبا على حصانه للنزهة خارج البلد فهاجمه اللصوص وكان مسلحا فهربهم (٣) .

الا أن الحال تحسنت كما يبدو في أواخر القرن واخذت القوافل تسير بأمن واطمئنان مدة ولاية جميل باشا (١٨٨٠ – ١٨٨٦) ... وكانت القوافل اذا حملت القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والبضائع لا تخشى معارضا ولا تجد في طريقها لقطاع الطريق اثرا " (٤) وذلك لما عرف عن هذا الوالي من هيبة ووقار وادارة حسنة وسهر على أمور الشعب .

وأما ما يتعلق بالثورات الداخلية فقد شهد هذا القرن عددا منها . وكانت تندلع على الأغلب عندما تبدأ ظواهر الظلم غير المحتملة من الوالي ، وحينما ترتفع أسعار الخبز او يبدأ فقده او حينما تزداد الضرائب ويثقل وطأتها على الشعب (٥) ويوافق هذا ما يقوله الطباخ " والذي نراه ونستقرئه في تاريخ الحلبيين انهم كانوا اذا جاعوا قاموا واذا ظلموا ثاروا ويأبى تاريخهم ان نرأس به وان نقيم عليه (٦) .

---

(١) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٣٦ – ٢٣٧

(٢) المصدر نفسه تابع هامش ١ في صفحة ٢٣٦ = ٢٣٧ تعليق الناشر على مذكرة البطاش لأسبوع ٥ ت ت سنة ١٨٥٩

(٣) المصدر نفسه هامش ١ = ٢٣٧ تعليق الناشر نقلا عما جاء في سجلات مركوبلي

(٤) الطباخ ٣ = ٤٦٥

(٥) Barker I, P. 302

(٦) الطباخ ٣ = ٤٤٠

وقد كثرت الثورات في النصف الاول من هذا القرن الا انها لا تهمنا كثيرا لان ثورة حلب الكبرى حصلت في ١٧ تشرين الاول سنة ١٨٥٠ وأسبابها توضحه لنا الفقرة الآتية " ... اجتمعت بعض من اهل ضواحي الاسلام .. وتداولوا مع بعضهم مرتبطين ان يمنعوا أمر الدولة العليه في اعطاء أنفار ليكتبوا نظام في العسكرية " (١) . وقد تطور هذا التمرد وانقلب ثورة دامية وجهت ضد المسيحيين وكنائسهم وأموالهم ولم تقتصر على سبب جوهري فقد جموع مسلمي حلب في هياج عنيف ضد مواطنيهم النصارى ؟ وقت طبولهم (أي المسلمين) المزينة المجبولة بالصياح والتكبير والاغاني صارخين الله اكبر ظ لعليه (ضد المسيحيين) اليوم يوم الضحية ايوم الضحية يوم النصر والغلبة على الكافرة من كان مسلما فليلحقنا " (٢) حتى أن مصادر النصارى أنفسهم لا تعطي سببا لهذا التعدي الذي لم تنج منه بيوت المسلمين أنفسهم وذكائهم فبطش بها الثوار ونهبوا ما وصلت اليه ايديهم (٣) ومن فارمتهم قام بعضهم بتخبئة اخوانهم المسيحيين عندهم . (٤) كما ساهم قنصل فرنسا في تقديم الاسعافات الى الجرحى والمصابين مع ما يلزمهم من مأكولات " وكساوى " مما دعا المارونيين الى اللهج بالثناء عليهم "بالحقيقة " وبالحقيقة الذي ظهر من هولاء الابطال شيء يفوق الوصف وما دامهم فرع من دولة فرنسا الفخيمة المشهورة في العالم بحاميتها واسعافاتها للمسيحيين فلا بد من الافصاح تعو على اصول السجو(٥).

وتقدر سجلات القنصلية البريطانية خسائر المسيحيين بـ ٢٨٠٠٠ كيس(٦) بينما يقدرها اوريني " ما يوف عن مبلغ خمسين الف كيس ما عدا الخراب الذي تم بالحريق والهدم والتكسير يوف عن عشرين الف كيس ايضا "(٧) وبعد تهدئة الامور أمرت الدولة بتعويض هذه الاموال عليهم واعادة الاشياء المنهوبة " فابتدى بتوارد جانب الباش اشياء فطسيو فرش ولحف"(٨) غير انهم لم يقبضوا سوى ٢٥٠٠ كيسا وكل كيس فيه ٥٠٠ غرش . (٩)

وتختلف الروايات ايضا في تقدير الخسائر بالارواح . يقول اوريني " فهذه المصائب الجسيمة والكوز التي أفضحها هو لاء القوم هي التي أشغلتهم عن قتل المسيحيين لانهم بوجهها لم يقتلوا من النصارى سوى سبعة انفار وجرحوا نحو ثلاثماية نفر ... ولتاريخه ادعاه قد توفي

---

(١) اوريني = ٧٩ — اما كرد علي في خططه فيزيد على النظام طلب الاهلين الغاء الفرده ايضا . خطط ٣ = ٧٨ ـ ٧٩
(٢) المصدر نفسه = ٨٢
(٣) الطباخ ٣ = ٤٣٩
(٤) اوريني = ٨٥
(٥) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٢٦ من مخطوط محفوظ في المكتبة المارونية في حلب لبولس اوريني الماروني نمره ٤٢٧ (اطلعت على هذا المخطوط في المكتبة المذكورة) .
(٦) المصدر نفسه ٢٢٧
(٧) اوريني = ٨٥
٨) المصدر نفسه = ٨٩
٩) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٢٧ من سجلات القنصلية البريطانية

من المجروحين سبعين نفرا ." (١) ولا يذكر ارويين بعد هذا شيئا عن القتلى فيكون المجموع ٧٧ قتيلا وبعض الجرحى . بينما ينقص الطباخ هذا العدد الى " رجلين من غير قصد " (٢) ويرفعه كرد علي الى خمسة عشر من المسيحيين ، مع ان قتلى الحلبيين " نحو خمسمائة رجل كلهم من الرعاع ومن العسكر نحو ذلك " (٣) بينما يقول الغزي ان قتلى النصارى كانوا " خمسة نفر " (٤) .

هكذا انطفأت الثورة وذهبت الضحايا ، وعوقب المشاغبون دون أن يجني الحلبيون منها شيئا الا فوت الارادة السنية " اخذ النظام من اهل البلد " (٥) رغم كل ما جرى ..

وبعد ثماني سنوات عرى الجو المسيحي الاسلامي عاد الى التكهرب بسبب سابق ، فقلقت الافكار وساد الناس فكرة قرب حدوث ثورة او فتنة . فهذا المعلم بخاش يقول " وكنا خائفين من قومة البلد ومرعوبين لأنّ بطرس الطويل سب الاسلام بالمباقسة وقال دين محمد مات والنصارى بعدهم يقتلوا المسلمين وبده يدق الناقوز . " (٦) ويؤيد هذا ما جاء في مجموعة المحررات السياسية في رسالة من المسيو سكين قنصل انكلترا العام في حلب بتاريخ ٣١ تموز ١٨٥٨ " وقد جاء السوق رجل يدعى بطرس الطويل من طائفة الروم الكاثوليك شاكّ السلاح واخذ يحرض المسيحيين باعلى صوته على مهاجمة المسلمين . وكان ان بعض هؤلاء انذروا سرا أسرة كريمة اوروبية مرتبطة معهم بروابط الصداقة بقرب حدوث مذبحة ونصحوها بالالتجاء الى محل أمين .. فازدادت مخاوف الناس من جراء هذه الاشاعات " وعمد المسئولون الى اتخاذ التدابير اللازمة لمنع قيام الفتن فعززت الجنود ، وقبض على بطرس الطويل ونفي ، ومنع تداول السلاح بين أيدي الناس وأوعز الى كبار رجال الاحياء ببذل مساعيهم لتهدئة الامور فكللت هذه التدبيرات بالنجاح وتبددت غيوم القلق من الافكار " (٧) .

ويبدو من الرسالة نفسها ان صدى ثورة كريد كان لها أكبر الأثر في ايغار الصدور بين الحلبيين أنفسهم وإثارة العداوة بين المسلمين والمسيحيين ، يضاف اليه نقمة بعض أعيان المسلمين على الحكومة التي يعتقدون أنها جائرة بحقهم اذ تتدخل في شؤونهم الخاصة .

---

(١) ارويس = ٨٥
(٢) الطباخ ٣ = ٤٣٩
(٣) خطط ٣ = ٧٨–٧٩
(٤) الغزي ٣ = ٣٧٧
(٥) ارويس = ٩٦ وبالمناسبة يحدثنا الغزي ان الذخيرة قد اعوزت الحلبيين في هذه الثورة فانصرفوا الى تكية الخسروية ونزعوا عن قبابها ما كان يغطيها من رصاص ربما يبلغ مئة قنطار بالوزن الحلبي فصبوه بندقا لاجل الرمي " . الغزي ٢ = ١٢٣
(٦) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ١١١ من يومية البخاش
(٧) المحررات السياسية ١ = ٣٢٥ – ٣٢٦

وأصبحت الحكومة العثمانية منذ ذلك الوقت تخشى نشوب حوادث الثورات أو الاضطرابات التي تحدث خارج حلب الى المدينة ، فأصبحت تعمد سلفا الى جمع أعيان البلدة وعلماء ورؤساء طوائفها ، وتحثهم على الوفاق والمسالمة وتحذرهم من عاقبة المخالفة ، كما حدث في ثورة الأرمن في جهات الزيتون قرب مرعش سنة ١٨٩٦ اذ أبلغتهم أن " الواجب على كل فرد من أفراد الرعية العثمانية أن يلزم جانب السكون والحياد ولا يتعرض الى ما لا يعنيه فان الحكومة وحدها هي المسؤولة عن اخماد كل فاشرة (كذا) وقطع دابر كل فساد ." (١)

صدى حوادث الستين —

سرت أنباء مذابح الستين الى حلب ، وسرت معها أخبار مقتل المسيحيين فساد الهلع الى قلوب نصارى حلب وأوجسوا خيفة من المسلمين . وهذا احد هم نعوم البخاش يعبر عن خوفه بما جاء في يومياته " الأربعا سمعنا ان الدروز اخذوا زحله وقتلوا مقدار نصارى وبحوهم .. قد راعين الدروز وبنا على سمع هذه الخبرية تزينوا الاسلام " (٢) . ويبدو ان مسلمي حلب قد فرحوا لخبر انتصارات الدروز " فزينوا " في وجوه نصارى بلدتهم ، ولست ادري ان كان ذلك حبا في الدروز ام نكاية وشماتة في النصارى . وقد بدأ مسيحيو حلب يخشون تأزم الحالة ووقوع الشر واصبحوا " مرعوبين من الاسلام كثير وصيروا جمعية ولموا ليرات وقدموا لمن يطلع من يده حل وربط وبرطلوا ان لا تقوم الاوباش تفسد بالبلد وبدى الحكم يدور عسكر بالبلد طوال الصيف ليل ونهار الله يجيبها على خير " (٣) .

وجاء في رسالة من دور " ان الانباء الواردة من حلب تحدث عن القلق والهياج السائدين فيها ومن عجز حكومتها عن حدوث اضطرابات مريعة فيها وخارج اسوارها . ويخشى من أن وصول أنباء دمشق يفجر شعور النقمة فيها " (٤) وفي رسالة اخرى من المذكور يخشى هدوء الحالة ويخشى وصول اخبار المذابح الى حلب " وتقول الانباء الحديثة الواردة من حلب ان حوض الامن فيها لم يعكر صفوه بصورة تقلق البال وان أخبار المجزرة لم تبلغها حتى الان ." (٥)

---

(١) الشرق ٣ = ٤٣٦

(٢) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٥٠ من يومية البخاش من اسبوع ٢٧ حزيران سنة ١٨٦٠

(٣) المصدر نفسه = ٢٥١

(٤) المحررات السياسية ٢ = ١٤٩ من رسالة دور الى السير بولفر (وزير بريطانيا المفوض في الاستانة اثناء حوادث الستين .) تاريخ الرسالة ١٤ تموز سنة ١٨٦٠

(٥) المصدر نفسه = ١٥٠ من رسالة دور الى اللورد روسل (وزير خارجية بريطانيا)

ولعل هدوء الحال في حلب راجع الى عقلاء المدينة ووجوهها الذين حالوا دون قيام الرعاع باحداث الشغب فسلمت بلدتهم مما ابتليت به بقية انحاء سورية (١)، او يدل على أن الذين " يرطلهم " جماعة النصارى لكي لا " تقوم الاوباش تفسد بالبلد " قد " طلع بايدهم حل وربط " ..

غير أن هذا لم يمنع حدوث بعض القلاقل بين المسلمين والمسيحيين • ولست أدرى ان كان مرجعهم يعود الى "امتلاء القلوب " والضغينة التي يحملون آثارها من ثورة سنة ١٨٥٠ ام لحوادث الستين دخل في تحريك نار العداوة • فقد كتب سكين الى بولفر " أن جميع سكان تولاهم القلق في ليل ٢٤ الجاري من جراء الاعلانات الملصقة على ابواب الجوامع تحريضا للمسلمين على ذبح المسيحيين ، وقد طافت الجنود شوارع المدينة الليل بطوله شاكة سلاحها • اما المسيحيون فقد خبأوا اموالهم في اقبية دورهم ، وبعضهم نقلها الى بيوت المسلمين الواثقين بهم فاصبحت الشوارع مقفرة والمخازن مقفلة " (٢) •

وفي مرة ثانية يحصل أعتداء من قبل نفر من المسلمين على المسيحيين فتتدخل الشرطة لصالح الفئة الاولى ، ويكون النتيجة ان يلتجئ الاكليروس الى قناصل الدول طالبين تدخلهم في الامر فيجيب الوالي طلبهم ويعد بالاقتصاص من الفاعلين " بتأليف لجنة يشترك فيها نواب القناصل والمطارنة " للتحقيق في الامر ، غير أن الوالي يماطل " ويحقق القناصل عقم توسطهم للمسيحيين فيأبون الاشتراك في هذه اللجنة ويهددون برفع الامر الى سفاراتهم • (٣)

ويظهر ان هذه الاضطرابات قد أستمرت تهدد الامن بحلب مما حدا بحامية دمشق الى ارسال طابورين من دمشق اليها • (٤) •

---

(١) خطط ٣ = ٩٤

(٢) المحررات السياسية ٢ = ٤ تاريخ الرسالة ٢٨ نيسان سنة ١٨٦٠

(٣) راجع الحادثة في المحررات السياسية ٢ = ٥٩ — ٦٢ من رسالة من سكين الى بولفر بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٨٦٠

(٤) المصدر نفسه ٢٩١ من رسالة القائد بوفور (قائد البعثة الفرنسية التي جاءت لبنان ودخلت الداخل اثناء حوادث الستين) الى وزير الحربية •

ح - حلب الحديثة

صدى اعلان الدستور في حلب —

كان لاعلان الدستور في حلب رنة فرح وغبطة شملت أكثر الطبقات والطوائف ، وكيف لا يبتهجون وقد وردت بعد بضعة أيام من اعلانه برقية بصدور العفو عن المنفيين أصحاب الجرائم السياسية " وكان منهم بحلب " زهاء خمسين منفيا ، واطلاق المساجين السياسيين ، هؤلاء الذين كانت سجون حلب تضم منهم حوالي عشرين شخصا جلهم من الأرمن . وجرى احتفال خروجهم بخطب " حماسية " ألقيت في جموع الموظفين الملكيين والعسكريين " وخوطبوا بالاخاء وبنوة الوطن والتوجع والاسف على ما كان من حبسهم واضطهادهم ظلما وعدوانا في أيام الاستبداد الحميدي " (١) . وبعد أيام احتفل ضباط العسكرية وغيرهم باحيا ليلة في ألقيت فيها الخطب الحماسية وموضوعها " التنويه بالحمد والشكر على العمل بالقانون الاساسي ورد مجلس المبعوثان وانتشار راية الحرية والعدل والمساواة بين جميع العناصر العثمانية .. وهي أول خطب ألقيت في حلب بعد قرون طويلة لم ينقل الينا التاريخ في اثنائها أن أحدا ألقى في حلب خطبة سياسية على رؤوس الاشهاد فيها بيان خطأ سلطان او خليفة او أمير " (٢) .

غير أن الشعب الذي لم يتعود على هذا النمط من الحياة بعد ولم يألف الحرية قبل اليوم ، بل لم يدرك مفهومها الحقيقي قد استغل بعض غوغائه هذه الظاهرة فعد من أعمالهم " الفسق والفجور " وعدم المبالاة بالحكومة .. لفهمهم أن الحرية التي نودي بها هي عبارة عن الرخصة لكل انسان أن يفعل كل ما يريده دون قيد أدبي أو دنيوي ." (٣)

وبعد أيام تأسس في حلب فرع لجمعية الاتحاد والترقي العثماني في سلانيك ، والحقت بمنتدى يجتمع فيه الاعضاء للمذاكرة ، ويقبل للجمعية كل من يحلف يمين الاخلاص لها .(٤)

---

(١) الغزي ٣ = ٤٧٠ — ٤٧١
(٢) المصدر نفسه = ٤٧٢
(٣) المصدر نفسه = ٤٧٢ — ٤٧٣
(٤) المصدر نفسه = ٤٧٣ — ٤٧٨

وكادت خطب الجامع الكبير أن تقتصر على الحرب على نغمة الحرية والاتحاد والعدل والمساواة وفي خطبة منها حض الخطيب الأمة على الانتخاب لمجلس المبعوثان الا من كان كفوءا لذلك وعرف بالعلم والصلاح والتقوى والاستعداد . (١)

واخذ الشعب الحلبي على أمرها يتهيأ لانتخاب اعضاء هذا المجلس ، فاحصي ذكور الولاية ووجد ان عدد الذين يتجاوزون الخامسة والعشرين من اعمارهم هم ٢٨٤١٠٢ نسمة ، وهكذا فعدد النواب الذين يجب انتخابهم عن ولاية حلب ستة اي نائبا عن كل خمسين الفا من الذكور تقريبا . (٢)

وصدرت على أثر اعلان الدستور الرخص من نظارة المعارف بالسماح لعدة صحف اخبارية بالصدور فصدر كثير منها " واقبل الناس عليها ولا اقبال الجياع على القصاع " نظرا لتعذر قراءة الصحف ايام عبد الحميد . (٣) .

<u>تقدم حلب — خطوات نحو المدنية</u>

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر اصلاحات شاملة في أكثر مرافق الدولة في حلب ودخل المدينة شيء كثير من مظاهر المدنية كالمؤسسات العامة من مدارس — سأتكلم عنها في فصل قادم — الى مستشفيات — وقد أتيت على ذكرها سابقا — ، الى ظواهر اخرى سأعرض لها الآن .

فحوالي سنة ١٨٦١ شرعت الحكومة بتمديد الاسلاك البرقية في حلب . (٤) وفي سنة ١٨٦٣ شاع استعمال البترول في المطابخ المسماة (لمبات) (٥) . وبعد بضع سنوات اي في سنة ١٨٦٠ عدلت الاوزان التي كان يستعملها الناس ووسمت في طابع البلدية . (٦) وفي السنة نفسها فرش كثير من ازقة حلب بالبلاط " على نسق الجلون " لأول مرة " (٧) .

---

(١) الغزي ٣ = ٤٧٧
(٢) المصدر نفسه = ٤٨٤
(٣) المصدر نفسه = ٤٨٧
(٤) المصدر نفسه = ٣٩٠
(٥) المصدر نفسه = ٣٩١
(٦) المصدر نفسه = ٣٩٩
(٧) المصدر نفسه = ٤٠٠

وكان البريد أولا يتردد بين حلب واسكندرون على يد قنصل فرنسا المقيم في حلب فأنيط أمره في هذه الفترة بالحكومة العثمانية (١) .

ونالت النظافة والاهتمام بالصحة العامة نصيبهما من هذا التقدم . فغطيت سنة ١٨٩١ كثير من مجاري المياه القذرة في حلب بعد أن كانت مكشوفة تنشر منها الروائح الكريهة ، هذا عن تشويهها مناظر الشوارع (٢) .

وكان الحلبيون كما يبدو من سياق الحوادث يطمعون من أكبر موظفي الدولة في مدينتهم يرجون اصلاحا أشمل وأعم . وهكذا أسرع ذوو العقول الناقدة منهم الى المشير الجوال الذي أوفده السلطان سنة ١٨٩٦ عقب حوادث الأرمن وشغبها الى الولايات الشاهانية " ليفحص عن وجوه الاصلاح الذي تحتاجه كل ولاية " وقدموا اليه التقارير المتنوعة " الحافلة بالفوائد الآيلة لاصلاح احوال الولاية ، ويحسنون امورها من تأسيس مكاتب علمية وصناعية وتجارية وزراعية وافتتاح طرق ومعابر واحضار معامل واوائل وتخفيض رسوم وتكاليف واحداث غيرها وتأليف ضابطة من العلل الثقلاء وغير ذلك ." (٣) ولم يخف على الحلبيين فيما بعد أن الغرض من هذا الاصلاح الصوري كان التمويه على الدول الأوربية التي تطلب حماية الأرمن فان شيئا من هذه الاقتراحات لم ينفذ رغم وعد المشير بذلك . (٤)

ومن الأمور المستحدثة ايضا تركيب بعض الدواليب الهوائية سنة ١٨٩٩ ، وصف " الكيزان " تحت الأرض لجريان المياه غير أنها لم تنجح . كما تم في السنة ذاتها عمل خريطة لمدينة حلب لأول مرة عني بتصحيحها مهندس الولاية ، وجاءت هذه الخارطة على غاية من الاتقان . (٥)

واستحضر استاذان اجنبيان سنة ١٩٠١ آلات خاصة لحفر آبار شبيهة بالارتوازية ، غير ان المشروع فشل وسافر الاجنبيان بما معهما من آلات . (٦)

وتحقق سنة ١٩٠٦ حلم الحلبيين بوصول الخط الحديدي من حماه الى حلب ، فخرج يوم الاحتفال منهم جموع كثيرة لمشاهدته . (٧)

---

(١) الغزي ٣ = ٤٠١
(٢) المصدر نفسه = ٤٢٠
(٣) المصدر نفسه = ٤٣٨
(٤) المكان نفسه =
(٥) المصدر نفسه = ٤٥٠
(٦) المصدر نفسه = ٤٥٥
(٧) الطباخ ٣ = ٤٩٩ ـ ٥٠٠

وأدخلت بلدية حلب مصابيح لوكس لأوّل مرة سنة ١٩٠٧ ، ووضعتها فى شوارع المدينة وساحاتها لانارتها ليلا ٠(١) كما استجلب فى السنة ذاتها " مطحنة افرنجية عظيمة قوة محركها ٥٨ حصانا تنقي الحبوب وتغسلها وتطحنها وتنخلها وهي تدور بقوة تسمى النار القشور " (٢) ٠ وشهدت حلب لأوّل مرة فى هذا العام ايضا سباق الخيل (٣) وبعد سنتين استقدم أحد تجار حلب المسيحيين من اوربا سيارة " ليشغلها بين حلب واسكندرونه " (٤)

وشهد الحلبيون الطائرة لاول مرة فى سماء مدينتهم سنة ١٩١٢ قادمة من استانبول تحمل استاذين فى فن الطيران ، فخرج ألوف السكان وكبار موظفى الحكومة المدنيين والعسكريين مع وجهاء البلدة للتفرج عليها ٠ (٥) ويحلل الغزى هدف الدولة من هذا العمل بأنها كانت ترمي الى " أعلام الشعوب العثمانية بان الدولة مهتمة بترقية الفنون العسكرية كأحدى الدول المعظمة ، وانها أنتبهت من رقادها ونفضت عنها غبار التواني والتكاسل اللذين كانت عليهما ٠ " (٦)

=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=

)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(=)(

)(=)(=)(=)(=)(

=)(=

)(

---

(١) الغزى ٣ = ٤٦٨

(٢) المصدر نفسه = ٤٦٨ — ٤٦٩

(٣) المصدر نفسه = ٤٦٨ الطباخ ٣ = ٥٠٠

(٤) الغزى ٣ = ٤٨٨

(٥) المصدر نفسه = ٥٣٥

(٦) المصدر نفسه = ٥٣٦

الفصل الثاني

منشوءات الحركة الفكرية

١ – **الطباعة** –

ان أول مطبعة عربية انشئت في الشرق أسست في حلب في العشر الأول من القرن الثامن عشر ، (١) ثم أهمل أمرها . وظلت حلب خالية من المطابع الى سنة ١٨٣٦

---

(١) المشرق ٣ (١٩٠٠) ٣٥٥ – ٣٥٧ الأب شيخو

المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٩١ الاب شيخو

اما البستاني فيقول أن تاريخ انشاء هذه المطبعة هو سنة ١٦٩٨ . بطرس البستاني شبطرس " ادباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث " بيروت سنة ١٩٣٧ . هامش ١ = ١٥٠

واما ابراهيم عبده فيعين سنة ١٧٠٢ تاريخا لها . عبده – ابراهيم " تطور الصحافة العربية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية " القاهرة سنة ١٩٤٥ = ١٧

والارجح ان سنة ١٧٠٢ هي التاريخ الصحيح لانشاء هذه المطبعة اذ يقول زيدان ان احد محامي حلب يملك نسخة من كتاب طقسي مطبوع فيها بالبونانية والعربية سنة ١٧٠٢ . زيدان – جرجي " تاريخ آداب اللغة العربية " مصر سنة ١٩١٤ . ج ٤ = ٥٦–٥٧

واما حروف هذه المطبعة فمختلف فيه . فمنهم من يقول انها حروف عديدة بخارست احضرها الى حلب البطريرك اثناسيوس الرابع . ومنهم من ينفي هذا الزعم اعتمادا على ما في حروف بخارست وكتب حلب من اختلاف . ولعل اثناسيوس هذا قد استصحب معه الى حلب الكاهن الذى عهد له امير الفلاخ ليحفر له حروفا عربية ، او أنه أتقن بنفسه هذا الفن فعلمه قسما من الحلبيين ومهما يكن من امر فقد اسس هذا البطريرك مطبعة طبعت له بعض الكتب الدينية طبعا جليا نضرا وان كان غير متقن . المشرق ٣ (١٩٠٠) ٣٥٥–٣٥٧ شيخو .

وقد بطلت هذه المطبعة بعد وفاة منشئها سنة ١٧٢٤ .

شيخو – لويس " الاداب العربية في القرن التاسع عشر " بيروت سنة ١٩٠٨ ج ١ = ٢

حيث أسست مطبعة بلفنتي (١) . وفي سنة ١٨٥٧ تم تأسيس المطبعة المارونية (٢) ، وكانت مطبعة صغيرة ستيمة الحروف (٣) انشأها المطران يوسف مطر وهو من اساقفة حلب الذين خدموا الآداب العربية في القرن التاسع عشر (٤) .

اما انتاج هذه المطبعة فيكاد ينحصر في الكتب الدينية ، وان تكن قد طبعت الى جانبها بعضا من الكتب الادبية والمدرسية ودواوين الشعر والقواميس ، (٥) ولا زالت هذه المطبعة قائمة حتى اليوم .

مطبعة الحكومة او مطبعة الولايـــــة

لا يعلم تاريخ تأسيسها بالضبط ، وكل ما بوسعنا ان نقوله انها كانت قائمة عندما صدرت جريدة الفرات الرسمية ، فقد كانت تطبع بها (٦) . وجريدة الفرات هذه صدرت سنة ١٨٦٧ . اول مدير للمطبعة جبرائيل افندي . (٧) ، واكثر ما كان يطبع فيها الاوراق الرسمية (٨) الحكومية والصحف والسالنامات .

---

(١) لم يذكرها سوى البستاني في ادبياته ولكن دون ان يحدد السنة . ويذكرها ايضا شيخو ناقلا عن الخوري نيقولاوس كيلون الحلبي فيقول = ان هذا الاخير قد اطلع على بعض كتب دينية طبعت في حلب على الحجر ، لا بالحروف ، وذلك في مطبعة بلفنتي . فان هذا كان قد استحضر مطبعة حجر فطبعت ولم يعرف تواريخ الكتب التي طبعت فيها . ويعلق شيخو على هذا قائلا " وفي مكتبتنا رسالة رعائية للناصف الرسولي بوجفا اوفرنيسه طبعت على الحجر في حلب سنة ١٨٣٦ " .
المشرق ٣ (١٩٠٠) ٣٥٧ ، وهامش ١ = ٣٥٧
(٢) المكان نفسه ، الطباع ٣ = ٤٤٣ (يرجح انه نقل عن المشرق)
(٣) المقتطف ٧ (حزيران سنة ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس
(٤) المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٨٩ شيخو
(٥) راجع المشرق ٣ (١٩٠٠) ٣٥٨-٣٥٩ للاطلاع على انتاج المطبعة المارونية في القرن التاسع عشر
(٦) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس المشرق ٣ (١٩٠٠) ٣٥٩ شيخو
النحولي — انيس زكريا " اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر" بيروت (١٩٢٦) ٧٩
(٧) راجع السالنامه ١٣١٦ = ١٢٧ لمعرفة عدد موظفي المطبعة كمترجمين ومنضدي احرف وموزعين وغير ذلك .
(٨) المشرق ٣ (١٩٠٠) ٣٥٩ شيخو

المطبعة العزيزيـــــــة —

لم أعثر على تاريخ تأسيسها ، وأرجح انه كان بين سنتي ١٨٧٧ و ١٨٧٩ اذ وردت في المقتطف العبارة التالية " وبعد ثلاث سنين سعى بعض ادبا* حلب فجلبوا مطبعة سموها بالعزيزية وطبعوا بها ... جريدة الشهبا* .." (١) واشار طرازي كذلك الى طبع جريدة الشهبا* بها (٢) (جريدة الشهبا* أسست سنة ١٨٧٧ وعطلت سنة ١٨٧٩) •

هكذا يتضح ان غاية هذه المطبعة أدبية اذ قام على تأسيسها فئة أحصت بكتب الأدب لكن انتاجها كان قليلا •

مطبعة الفوائـــد —

كانت تطبع فيها مجلة الشذور التي صدرت سنة ١٨٩٧ (٣)

وما أن أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وأطلقت حرية الصحافة حتى أنتشرت المطابع في حلب انتشارا كبيرا • حدثني السيد نجيب كيدر صاحب مطبعة المعارف التي أنشئت أنذاك ان كل صحيفة من صحف ذلك العهد كانت تعمد الى شرا* مطبعة متى أصبحت من تمنيها المقدرة أو نالها حظ من الرواج •

وقد أنشئ* في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٠٦ و ١٩١٣ ست مطابع (٤) •

ب - الصحافـــــــة (٥)

الجرائـــد —

كان في حلب حتى عام ١٩٠٠ ثلاث صحف فقط ولكن ما أن أعلن الدستور وبدت طلائع الحرية في البلاد حتى ظهرت صحف عديدة أقبل الناس عليها " اقبال الجياع على القصاع "(٦) وشجعها على الصدور أن الحكومة اصبحت تمنح الرخص دون تقاضي رسوم أو استيفا* بدل امتياز • الا أن أكثرها ما كان ليصدر أكثر من ٣-٤ مرات او شهور ثم يتوقف اما لنضوب المادة من قرائح اصحابها او للافلاس " •

---

(١) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس

(٢) طرازي — الفيكونت فيليب دى "تاريخ الصحافة العربية" بيروت (١٩١٣) ج ٢ = ٢٠٠

(٣) الشذرة الاولى (١٨٩٧) • صاحبها عبد المسيح الأنطاكي • لم اعثر في مصادر اخرى على ذكر لها •

(٤) راجع ملحق رقم (٤)

(٥) راجع بشأن صحافة الحلبيين في الخارج ملحق رقم (٥)

(٦) الفرى ٣ = ٤٨٧

جريدة الفرات — (١)

صدرت سنة ١٨٨٧ (٢) ، وهي أول جريدة صدرت في حلب باللغتين التركية والعربية . وهي رسمية أسبوعية كانت تنشر أخبار الولاية وأوامر الحكومية وإعلاناتها والحوادث الداخلية والخارجية . ثم أضيفت إليها اللغة الأرمنية اعتبارا من السنة الثانية في العدد خمسين وبعد العدد المائة عادت الى الصدور باللغتين الأوليين (٣) .

أسست هذه الصحيفة في زمن والي حلب جودت باشا المؤرخ التركي الشهير ، وتولى تحريرها مكتوبجي الولاية حالت بك . وأسندت مناط بمكتوبي الولاية مدة يتداولون رأيهم عليها من رجع المطبعة . وتولى الترجمة فيها عبد الرحمن الكواكبي مدة خمس سنوات ، ثم أنيطت حوالي سنة ١٨٨٢ بكامل الغزي وبقيت في عهدته عشرين عاما . ألغيت هذه الصحيفة حينما أعلن النفير العام للحرب العالمية الاولى . (٤)

كانت في أول عهدها ضئيلة الانتشار قليلة التداول بين أيدي الناس ، لا يطالعها سوى رجال الحكومة وأرباب المصالح . وكانت الى ذلك ركيكة العبارة سخيفة التركيب . وإليك فقرة نشرتها سنة ١٨٦٨ عندما عين ناشد باشا على ولاية حلب .

" لقد أجتمع يوم الاثنين الماضي في دائرة الولاية كل من أعاظم الحضور من الذوات الكرام وصفت العساكر النظامية وأخذت الموسيقة في الترنم . وقد فتح الامر العالي المتضمن مأمورية صاحب الدولة والاجلال ناشد باشا والي الولاية وقرئ بصفات التعظيم والتكريم . ثم بعد ختام التلاوة ابتدا بالدعوات الخيرية لدوام سلطنة الذات العلية الملوكية . وأمن كل من حضر على ذلك الدعا بأصوات حسنة عنّ طنينها للسما " (٥)

---

(١) أود أن أشير هنا الى المساعدة القيمة التي قدمتها لي مكتبة السيد أسعد العينتابي في حلب في الاطلاع على أعداد هذه الصحيفة وجميع صحف الفترة التي أؤرخ لها .

(٢) سالنامة ١٣٠٥ = ٣٥ الغزي ٢ = ٣٩٣ الطباخ ٣ = ٤٥٨ بينما يجعل طرازي تاريخ صدورها (١٨٦٨) . طرازي ـ قسطاكي الياس " تكوين الصحف في [illegible] " القاهرة (١٩٢٥) ج ١ = ١٠٢ . ويخلط طرازي في الامر فيجعلها تارة (١٨٨٧) . طرازي ١ = ٦٩ ، وتارة (١٨٦٨) طرازي ٢ = ٤ ، وتارة (١٨٦٩) وأنها جريدة غدير الفرات (١٨٦٧) طرازي ٣ = ٥٢ ويوافقه على هذا البستاني في أدباء العرب إذ يقول " ... غدير الفرات الرسمية ١٨٦٧ ثم الفرات الرسمية ١٨٦٩ " جلمش ١ = ٢٩٠ . وغدير الفرات هذه كانت تصدر مع الاتحاد كملحق لجريدة الفرات ، صدر منها مقدار ثلاثين عددا ثم احتجبت وكانت تسمى أحيانا علاوة فرات . الطباخ ٣ = ٤٥٦

(٣) الغزي ٣ = ٣٩٣ الطباخ ٣ = ٤٥٨ — ٤٥٩

(٤) الغزي ٣ = ٣٩٣ — ٣٩٤ طرازي صحافة ١ = ٦٩ — ٧٠

(٥) طرازي صحافة ١ = ٨١

ولم تختلف الفرات وهي الناطقة بلسان الحكومة عن الاشادة بجليل اعمال السلطنة العظيمة ومدح منشأتها ، (١) باسلوبها السقيم وعباراتها المفككة . الا انها تقدمت بعد اعلان الدستور فاصبح مقالتها وكثرت مباحثها وحسنت عباراتها ، واخذت تنشر المقالات المتنوعة من سياسية واجتماعية وزراعية واقتصادية مما تهم مطالعته للتاجر والكاتب والصانع والموظف وغيرهم . (٢)

يقول زيدان ان الحلبيين " اسبق الشرقيين الى انشاء الصحف السياسية العربية (٣) "

ولا ادل على هذا القول من انشاء صحيفة الشهباء التي كانت تنشر اخبار حروب الدولة العثمانية مع اعدائها ، وعلاقات دول اوربا مع الباب العالي وغير ذلك من الانباء .

الشهباء

والشهباء صحيفة أسبوعية عربية خالصة ظهرت في ١٠ ايار سنة ١٨٧٧ لصاحب امتيازها الحاج هاشم العطار (او الخراط) (٤) ثم أشترك فيها مخائيل الصقال وعبد الرحمن الكواكبي . غير ان الوالي كامل باشا " المعروف بكراهية صحف الاخبار " عطلها بعد أيام قلائل ثم عادت الى الصدور .

أما سبب تعطيلها فيعود الى ان الصحيفة كانت قد نشرت في عددها العاشر شيئا تضمن تذمر ابناء الوطن " من المعشر المشاهد من بعض الايرانيين في الممالك العثمانية " فعدت الجريدة الحادثة بمفاضلة من ابناء الوطن دون ان تقيد الايرانيين بلفظة " بعض " لكيلا يحمل التهجم على عموم الملة الايرانية ، الامر الذى حمل مجلس الادارة على أعطاء امر التعطيل الا أن الجريدة تعتبر أن سبب توقيفها هو اساءة الظانين بها في أنشاء من منها بسوء . وذلك انه صادف في الوقت الذي صدرت فيه الصحيفة ان تشكل في حلب حزب للحرية سمي بحزب "ابناء الشهم " ، غايته " تحقيق السياسة بمراقبة الاجراءات (كذا) واستخدام النفوذ الادبي في تنزيه الوطن عن المحن بتخفيف تعديات ذوى الغايات " ويظهر ان الكثيرين من المواطنين قد انضموا الى

---

(١) راجع الفرات عدد ١١٧٨ ، السنة السادسة والعشرون ، (١٩ ايلول ١٨٩٢)

(٢) طرازي صحافة ١ = ٦٩ـ٧٠

(٣) زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية ٤ = ٦٤

(٤) الغزي ٣ = ٤٠٤ طرازي صحافة ٢ = ٢٠٠ البستاني ادباء . هامش١ = ٢٩٠

(٥) راجع الشهباء عدد ١٢ (حزيران ١٨٧٨) . يخيل لي ان في الامر بعض الالتباس اذ ان كلمة " بعض " قد وردت في الفقرة التي شرحت سبب مداهمة الجريدة عن حقوق ابناء الوطن ضد الايرانيين المعتدين وبذا لمت الجريدة قد خصت بكلامها الفئة المعتدية فقط فلامجال لحمل التهجم على عموم الملة

هذا الحزب ، فاحدثت هذه الشائعة " اضطرابا (كذا) في الدوائر وهواجس في الخواطر " . اقول ان تأسيس هذا الحزب وافق أصدار الصحيفة فخيل القوم أنها تنطق بلسانه فأوقفوها في العدد الثاني ، فعطلت عدة شهور ثم عادت للظهور بشروط قاسية فحملتها في سبيل درء الشبهة عنها ، وتأدية الرسالة التي اخذت على عاتقها القيام بها . غير أن التعطيل اصابها ثانية ، فاحتملت ذلك ايضا لان " سوء الوقت ألزمها حمل المقت " (١)

الاعتـــــدال –

صدرت في ٢٥ تموز سنة ١٨٧٩ لصاحبها عبد الرحمن الكواكبي (٢) بدلا من الشهباء الانفة الذكر (٣) . وهي صحيفة أسبوعية ظهرت بوجهين عربي واخرين تركيين . " خدمها للفائدة بين سكان ولاية حلب الذين يغلب فيهم العنصر التركي " . اما هدفهما ورسالتها وخطتها فيتضح مما ورد في افتتاحية العدد الأوّل منها وهو لا يعدو النقد بتصرفات الحكومة ، وفضح سوء ات الموظفين ، وسد ما تحتاجه البلاد من اصلاحات " وتشمر كل مسا يقتضيه تهذيب الاخلاق وتوسيع دائرة المعارف من أبحاث علمية وسياسية وغيرهما .. " (٤)

أما بعد سنة ١٩٠٠ فقد كثرت الجرائد في حلب . وبغية الاقتصاد اورد هاهنا ما يلي مدرجة في جدول .(٥)

اسم الجريدة	سنة انشائها	اتجاهها
مكتبي	١٩٠٥	نشر افكار المعلمين والدفاع عن حقوقهم والبحث في كيفية التدريس الابتدائي وكافة الاشياء المتعلقة بالمعارف (٦)
حلب الشهباء	١٩ ايلول ١٩٠٨	سياسية هدفها خدمة ابناء الوطن والجامعة العثمانيـــة (٧)
صدى الشهباء	١ ك ١ ١٩٠٨	علمية أدبية سياسية تجارية اخبارية زراعيـــة . يجل صاحبها الصحافة لانها في الأمّة بمنزلة المعلم والمرشد والمربي . (٨)
التقـــدم	١٩٠٨	هدفها القول الحر ، مديح المخلصين والحمل على المستبدين الظالمين ...

(١) الشهباء ، عدد ١٢ (حزيران ١٨٧٨)
(٢) الغزي ٣ = ٤٠٦ الا انه يذكر ان صاحب امتيازها هاشم الخراط ورئيس تحريرها الكواكبي طرازي صحافه ٢ = ٢٠١ البستاني ادباء هامش ١ = ٢٩٠
(٣) الاعتدال ، العدد الاول
(٤) المصدر نفســه
(٥) عن مجموعة صحف مكتبة الميقاتي . واشير في الوقت نفسه الى المساعدة التي قدمها لي السيد نجيب كيد رئيس مطبعة المعارف في حلب عن المطابع والصحف التي عاصرها . طرازي صحافه ٣ = ٢ ص ٥٦
(٦) راجع افتتاحية العدد الاول
(٧) راجع افتتاحية العدد الاول
(٨) راجع افتتاحية العدد الاول . تولى تحريرها كامل الغزي ، وكتب افتتاحيتها بشير الغزي .

اسم الجريدة	سنة انشائها	اتجاهها
الخطيب	٥ تموز ١٩٠٩	سياسية دأب صاحبها الطعن في الفاسد لا بتزاز المال • عاشت حوالي السنة •
الشعب	٥ اب ١٩٠٩	حيادية اخبارية • تعتقد بوجوب تعليم المرأة والسعي في رقيها فيها نشرات تجارية مأخوذة من اهم المحلات في الشهباء • مع اسعار البورصة وغيرها • شذرات وقصائد شعرية • استمرت حوالي ٣ سنوات •
مسخرة	شباط ١٩١٠	جريدة فكاهية مليئة بالنكات في مختلف الابواب • لم تعش أكثر من ٥ — ٦ شهور ثم احتجبت •
الكشكول	٢٨ آذار ١٩١٠	غايتها كما تدعي نشر الحقائق وعدم الافراط في المديح او الذم سهلة قريبة عاشت من ٣ — ٤ شهور •
الاهالي	١٢ ايار ١٩١٠	سياسية اجتماعية ، تركية عربية لكني لم اطلع سوى على قسم تركي وهو اربع صحائف •
لسان الاهالي	٢٧ حزيران ١٩١٠	تركية النزعة لكنها تقول انها خادمة للوطنية • اجتماعية اقتصادية = عالج قضايا محلية ومهاترات شخصية • عاشت ٢ — ٣ سنوات •
الاصلاح	٢ تموز ١٩١٠	فرنسية عربية تبحث عن التمثيل والصور المتحركة والاجواق الموسيقية والألعاب الرياضية •
نور الافكار	٢ نيسان ١٩١١	تركية عربية ، وطنية سياسية اجتماعية استمرت ٥ — ٦ اشهر ثم توقفت
المرسح	١٨ نيسان ١٩١١	هزلية جدلية عربية فقط • عالج قصصا على لسان الحيوانات ككليلة ودمنة •
النهار	٧ ايار ١٩١١	تركية السياسة لكن صاحبها يقول ان ابحاثها ستدور على سلامة الوطن واسعاده • لم تعش طويلا
الصدق	٢٨ حزيران ١٩١١	عربية فقط ، ادبية حرة • خطتها " نشر المقالات النافعة وانتقا • اوثق الاخبار مع موالاة الحق " • عالج مواضيع اجتماعية كتعدد الزوجات • عاشت نحو السنة •
المفيد	١ تموز ١٩١١	جريدة فارغة لم تعش اكثر من سنة •
هوبالا	٥ تموز ١٩١١	تركية عربية • فكاهية
الشمول	١٦ ايلول ١٩١١	(١)
شيبت	٢٩ ت٢ ١٩١١	ادبية فنية سياسية

(١) لم اطلع عليها بين مجموعة صحف الصيقلي • يذكرها طرازي مجلد ٢ = ٥٥ — ٥٦

المجـــــلات —

اما المجلات التي صدرت في هذه الفترة فيما اعلم ما توصلت اليه منها :

الشــذور — " او رسائل ادبية " أمبيط

أصدرها عبد المسيح الانطاكي سنة ١٨٩٧ ، وكانت تطبع أولا في مطبعة الفرائد الخاصة به ثم أصبحت تطبع في بعبدا في السنة الثانية .

مثل المجلة نوعا جديدا من التفكير اذ ضمت كثيرا من المواعظ الحكمية والمنثور والمنظوم ، وبعض الابحاث التهذيبية . بينها صاحبها بمقتطفات شعرية للمتنبي وقابل هذه الابيات باقوال ارسطو . يتناول العدد الاول منها ايضا ابحاثا في ادارة البيت مع فوائد صناعية وطبية وزراعية وحوادث الفلسفة اليونانية القديمة .

لم يصدر من الشــذور سوى اثنتي عشرة شذرة جمعت الثلاث الاخيرة منها في شذرة واحدة ، ولعل سفر صاحبها الى مصر واقامته من أمام قايته فانقطعت الشذور لكنه اصدر في مصر عوضا عنها الشهباء .

فوائـــــد —

صدرت سنة ١٩٠٩ بست عشرة صفحة تصفها بالتركية وتصفها بالعربية . اخذت على عاتقها كما تصرح " نشر المقالات المفيدة لتهذيب النفوس ودعوتها الى تحسين الاخلاق وبث روح المدنية بالامة وتنوير افكارها ورقي المعارف والصنائع والتجارة والزراعة واستقاء الاخبار الموثوقة " . كما عمدت الى نشر نبذ مختلفة من قوانين اوروبيات في اعدادها المتفرقة " بحيث من اقتنى بجمع اعداد الجريدة يكون قد اقتنى مؤلفات شتى " .

ويبدو ان المجلة حققت الى حد ما وعدت به ، اذ اطلعت في عددها الاول على مقالة تحت عنوان مدارس الاناث في حلب ، عالجت فيه تعليم البنات ، واشارت الى قلة المدارس المخصصة لهن ، وحثت المعارف على العمل على تكثيرها وتشجيعها . (١)

البرق ـــــــا •

اصدرها الخوري قسطنطين جرجس شلحت في تشرين الثاني سنة ١٩١٠ وهي مجلة علمية ادبية صناعية ، لعلها الاولى من نوعها في حلب التي بحث في المجمع واطلعه في الدين المعارف البشرية . وتسلسل المقالات في العلوم الفلسفية خلال بقية الاعداد متصلة بعلم المنطق ،

---

(١) راجع العدد الاول = ١١

وما وراء الطبيعة . ولا يفوت صاحبها ان يبحث في حفظ الصحة وتهذيب الاخلاق وفن الاقتصاد
ولا تهمل المجلة جانب المرأة ، بل تفرد لها فصولا خاصة في أعدادها (١)
وتبحث كذلك في اللغة العربية واسباب انحطاطها وكيفية ترقيها (٢) . وتتبع المجلة
الى حد طريقة البحث العلمي اذ يذكر في هوامشها احيانا بعض المآخذ التي استعان بها
الكاتب (٣) ولكن يتضح ان غايتها دينية لان المقالات الدينية متفرقة في تضاعيفها ، وتحمل
حملات منكرة على التعليم اللاديني الجديد .

هذه هي صحافة حلب في القرن التاسع عشر ، ويلاحظ ان شيئا
من الاهتمام بالصحافة قد أخذ يتسرب الى عقول الناس فاصبحوا يقدرون قيمة الصحفة ويلمسون
ما تقدمه من الخدمات في عالم الانسانية ، لا سيما اذا كان اصحابها صادقين مخلصين
لوطنيتهم . " فهي تنتشل الامة من هوة التقهقر وتنهض بها الى اقصى ذروة التقدم والنجاح (٤)
وهي الى جانب ذلك " ترجمان بين الامة تشيع اخبار العالم يتخذها العاقل عبرة
وقياسا للامور وعلى صفحاتها تبرز مخبئات الافكار الكامنة في خدور الصدور من خواطر
الرجال فتهتدي بها العامة لنجاح مقاصدها وتهذيب نفوسها وتتعدد ها على من حاد عن
سبيل العدالة ونهج الصواب تنقذ الامة من مصارع الاستبداد وتقاتها على من
يخدم وطنه من أهل الحمية به يجري دم النهضة بشرايين المخلفين عن الجهاد في سبيل
التقدم .. فهي في الحقيقة الخطيب الحاث والواعظ المرشد لمكارم الاخلاق نعمت النديم
المؤنس ." (٥)

وكانت أكثر هذه الصحافة سقيمة الاسلوب ، ضعيفة الانشاء ، سخيفة
الافكار تعتمد على المحسنات اللفظية ، وتكيل المدائح للسلطان والحكومة كيلا كبيرا . ثم
بوبت ابحاثها ، ودخلها الاختصاص . فهذه جريدة " الاصلاح " تبحث عن التمثيل
وفوائده والسينما والموسيقى . وهذه " مسخرة " للفكاهات والنكات . وهذه " المسرح "

---

(١) راجع العدد ٣ و ٤ (اذار وايار ١٩١١) ، والعدد ٥ و ٦ (اب وت ١ سنة ١٩١١)
(٢) راجع العدد ٥ و ٦
(٣) راجع العدد ١ و ٢ (ت٢ و ك ١ ١٩١٠) = ٢٣
(٤) من مقدمة جريدة الصدق العدد الاول
(٥) مجلة فوائد العدد الاول

نهج سبيل كليلة ودمنة في معالجة قصص على السن الحيوانات • ومال بعضها الى معالجة القضايا الفلسفية كمجلة الشذور والورقاء ؛ والى درس الشعر القديم وتبويبه كما فعلت الشذور • وظهرت فئة من هؤلاء الصحافيين رأوا ضرورة تعليم المرأة والسعي في رقيها فعالجوا مشكلة ندرة مدارس البنات في حلب وحثوا المعارف على سد ؟ اعمالها ؛ كجريدة الشعب ومجلة فرائد ومجلة الورقاء • وهناك من اهتم برقي الصناعات والتجارة والزراعة فانصرف الى درس موضوعات في هذه الابواب مع نشرات خاصة ؛ كما يثبت في جدول اسماء الصحف (١) •

يقول طلسارة ان عبد الحميد قد عمد الى تعطيل وطلسارة اصحابها وكتابها " قتلا ونفيا وتهجيرا حتى ان اسماك البوسفور في ايامه كان طعامها لحوم رعاياه من الصحافيين والاحرار " وقد حمل هذا الضغط الصحفيين على ترك أوطانهم والضرب في البلاد ؛ فاتت مصر وجهة بعضهم كعبد الرحمن الكواكبي واوروبا وجهة بعضهم الاخر كرزق الله حسون وجبرائيل دلال وآل مراش • (٢)

ج - المكاتب (٣)

حلب مدينة غنية بالكتب والمكاتب ؛ ويعود ولع الحلبيين باقتنائها الى أزمنة بعيدة حتى كاد ان يصبح ذلك فيهم غريزة قوية وقد عني اهل اليسار من اهلها باقتناء المخطوطات النادرة بالدليس في استنساخها الاموال الطائلة ؛ وفي تحسين جلودها والاهتمام بخزائنها الجميلة ؛ مبالغ وافرة حتى ان بعضهم انفق في استنساخ احد كتب الفقه الحنفي نحوا من مائة ذهب عثماني (٤) • ولعل ولعهم هذا يعود اما الى الرغبة الخالصة من الاستفادة من محتوياتها • واما الى الزينة والفخفخة وما الى ذلك من وسائل الاحترام والوجاهة ؛ واما الى الاعتقاد السائد ان اقتناء الكتب يورث الغنى (٥) •

---

(١) راجع فوق ص ٤٥–٤٦

(٢) طلسارة ١ = ١٠٧–١٠٩

(٣) للاطلاع على مكاتب الحلبيين في التاريخ راجع ملحق رقم ٦

(٤) الغزي ١ = ١٦٩

(٥) المصدر نفسه = ١٧١

مكاتب الاوقاف وخزائن الكتب الخاصـــة —

— المكتبـة الاحمديـــة —

انشئت في القرن الثاني عشر للهجرة ، انشأها احمد الجلبي طـه زاده ووقف عليها ما ينيف عن ثلاث آلاف مجلـد (١) . وكانت تفتح ابوابها يوم الاحد والاثنين والاربعة والخميس لكنها اقتصرت في أيـام الغزي على يومي الاثنين والخميس (٢) واشترط في كتبها الا يخرج منهـا كتاب مطلقا ومن اراد نسخ شئ فعليه ان يقوم بـه في المكتبـة يستثنى من ذلك المجاورون الذين يستطيعون بكفالة المدرس استعارة الكتب الى غرفهم (٣)

ويظهر ان أيـدى الخراب قد لعبت بمحتويـات هذه المكتبة القيمة فتضاءل عدد الكتب الى ١٤٧٢ (٤) .

— المكتبـة العثمانيـــة —

أسسها عثمان باشـا الدوركي في القرن الثالث عشر للهجرة (٥) ، وهو الـذى بنى المدرسة العثمانية المعروفة ايضا بالرضائيـة . كان فيها في الوقت الذى ألف فيها الغزي تاريخه نحو ١٥٠٠ مجلد مخطوط في بنود شتى (٦) . وقد بلغ هذا العدد ١٥٥٢ (٧) . وورد ذكره في المقتطف القيم (٨) بينما جعلـه السالنامة ١٢٤٢ (٩) .

يستفيد من هذه المكتبة الطلاب المجاورون والعموم الذين تفتح لهم ابوابها يوم الخميس من كل اسـبوع . (١٠) على أن لا تخرج الكتب منها قط وان عوم حين اللزوم بمعرفة المتولي (١١).

---

(١) طرازي " خزائن الكتب العربية في الخافقين " بيروت (١٩٤٧) ج ١ = ٢٩٠
طباخ ٧ = ٦٧ زيدان . اداب ٤ = ١٣٤

(٢) الغزي ١ = ١٧٤

(٣) الغزي ٢ = ٥٧ — ٥٨

(٤) راجعت ذلك بنفسي في فهرس المكتبة الاحمدية المحفوظة في مكتبة دار الاوقاف في حلب . وقريب من هذا العدد الذى هو ١٤٦٧ صحايه سالنامه ١٣٢١ = ٢٢٣

(٥) الطرازي خزائن الكتب ١ = ٢٩٠

(٧) راجعت ذلك بنفسي في فهرس الخزانة العثمانية المحفوظة في مكتبة دار الاوقاف في حلب

(٨) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس

(٩) سالنامة ١٣٢١ = ٢٢٣

(١٠) الغزي ١ = ١٧٤ وربما انها تفتح ايضا يوم الاثنين الغزي ٢ = ١٦٢

(١١) الغزي ٢ = ١٦٢

— مكتبة الجـــزار —

اوقفها السيد محمود الجزار للجامع الاموي الكبير • كانت تحوي على الاغلب كتبا وجداول فلكية ورياضية ، وكتبا دينية • وقد تبعثر اكثر هذه النفائس وتشتت عند اولئك الذين يستعيرونها ولا يعيدونها (١) • كانت في الاول تشتمل على نحو الف مجلد مخطوط ومطبوع ،(٢) وفي سنة ١٩٠٢ كان عدد هذه الكتب ٨٠٧ (٣) •

— المكتبة الخسروية او المولوية —

تضم كتبا شتى في الفقه والتصوف والطب والحديث والفرائض والتفسير والوعظ والصرف والنحو والبيان ، عدا عن الكتب التركية • عددها كما جاء في الفهرس هو ٩٢٦ بينما تجعله السالنامه ١٢٢٨ (٤) •

وعدا عما ذكر فهناك مكتبة المدرسة القرناصية وفيها اكثر من خمسمائة مجلد (٥)، والاخلاصية الرفاعية وعدد كتبها ١١٩ (٦) والصديقية ، ١٧٦ (٧) ، والسكاكينية ، والاسماعيلية وعدد كتبها ٥١ (٨) ، والكواكبية التي فقدت اكثر كتبها ، والبهائية وعدد كتبها ٧٠ (٩) • ثم خزانة الشيخ ابي بكر التي كانت محفوظة في منامه شمالي حلب ثم نقلت الى الاوقاف كغيرها من المكاتب •

— المكاتب الخاصــة —

خزانة مصطفى آغا كنفدا ، فيها نحو الف وخمسمائة مجلد (١٠) وخزانة محمد زكي بك (حميد باشا) وفيها نحو من ثلاثة آلاف مجلد (١١) ، وخزانة مرعي باشا الملاح التي اوقفها اثناء حياته

---

(١) رواية ابنة السيد محمود الجزار
(٢) الشوى ١ = ١٧٤
(٣) سالنامة ١٣٢١ = ٢٢٣
(٤) سالنامة المصدر نفسه
(٥) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس لكن اسمها ورد القرصانية • والسالنامة تذكر ان عدد كتبها ٢١ سالنامه ١٣٢١ = ٢٢٣
(٦) راجعت ذلك بنفسي في سجل المكتبة
(٧) " " "
(٨) سالنامة ١٣٢١ = ٢٢٣
(٩) المصدر نفسه
(١٠) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس
(١١) المصدر نفسه

الى المدرسة الخسروية ، وخزانة الحاج عبد القادر الجابري مفتي حلب التي نقلت بعضها الى الاوقاف ، ومكتبة آل المدرّس جمعها الحاج حسين المدرس ، ثم خزانة قسطاكي الحمصي الذي اقتنى مكتبة مستحق الاعتبار ، واضاف اليها مكتبة خاله جبرائيل الدلال التي كانت تضم ٥٠٠ مجلد ، وكانت خزانته غنية بالمطبوعات والمخطوطات النادرة التي ما ضنّ بها يوما على الاصدقاء والادباء واهل البحث " (١) ، وخزانة الخوري قسطنطين جرجس شلحت وقد جمع مكتبة غنية بالمخطوطات النفيسة ما يعود تاريخه الى القرن السادس الهجري ، وبعض هذه المخطوطات نسخها بخطه الجميل من اصولها في مكتبات حلب (٢) . اما الخوري جرجس منش فقد ضم مخطوطات مكتبه ومطبوعاتها الوافرة الى المكتبة المارونية (٣) .

واخيرا مكتبة السيد اسعد الكيالي " وقد جمع فيها معظم مطبوعات الشرق العربية مع بعض المخطوطات الدينية القديمة العهد البديعة الكتابة بينها ما كتبه المحققون بيد هم فتضاعف قيمته " (٤) . وتضم مكتبته بضعة الاف مجلد اكثرها بالعربية وبعضها بالتركية والفارسية كما تضم مجموعات لبعض الصحف العربية التي هي فيها بصورة خاصة بالحصول على الاعداد الاولى منها مما صدر منها في البلاد الشرقية . ويقول الطرازي ان عددا منسخ الفين وخمسمائة صحيفة بينها عدة صحف محررة بلغة الافغان (٥) .

ومن اهم محتويات هذه المكتبة =

١ـ الجزء الثالث من الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن عربي . مخطوط تاريخه ٦٢٦ هجرية ، وعليه اجازة بخط الشيخ محي الدين لزوجته بنت مدبن البداتية تاريخها ٦٢٦ (هـ) .

٢ـ الجزء الثاني من جامع الاصول لاحاديث الرسول . ل (ابو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري . مخطوط تاريخه ٧٩٦ هجرية .

٣ـ كتاب القانون في الطب ـ للشيخ الرئيس ابي علي بن سينا . طبع برومية ١٥٩٣ ميلادية .

---

(١) طرازي . خزائن الكتب ٢ = ٤٧١ ـ ٤٧٢

(٢) المصدر نفسه = ٤٧٠ ـ ٤٧١

(٣) المصدر نفسه = ٤٦٧

(٤) المشرق ١٩ (١٩٢١) ٧٥٦ الاب شيخو

(٥) الطرازي ١ = ١٧٦

اما الصبغة التي تغلب على هذه المكاتب بصورة عامة : فهي الصبغة التقليدية القديمة . واليك ما تمكنت من احصائه منها :

كتب مقدسة غير اسلامية	٦
قرآن	٢٦
دراسات حول القرآن وشروح	٢٣
صلوات	١٦
قراءآت وتجويد	٢٥٢
تفسير	٢٦٧
فقه	٦٥٦
تصوف	٣٥٧
آداب البحث والمناظرة	٢٩٠
علم الحديث	٢٦٠
فتاوى	١٥
كتب اللغة	٤٧٩
أدب ودواوين	٥٨٥
فلسفة وحكمة ومنطق	٤٣
تاريخ وسير	٢٧٣
جغرافيا	١٣
رياضيات وفلك وطبيعة	١٤٢
طب وتشريح	٦٠ (١)

المكاتب الطائفية — (٢)

تأتي المكتبة المارونية في طليعة هذه المكاتب . أسسها المطران جرمانوس فرحات ، فيها اليوم من المخطوطات العربية ١٠٣١ مخطوطا ، وبعد ان كان ١٩١٢ ٧٣٥ مخطوطا كما أشار الى ذلك الخوري ابراهيم حرفوش حينما قدم حلب بمهمة دينية وقام على تنضيد المكتبة بنفسه . وكانت المطبوعات الشرقية تبلغ يومئذ ٣٠٠ مجلدا (٣) ; اما المطبوعات الاجنبية فكان عددها ٣٣٢ مجلدا باللغة اللاتينية و ٢١٩ باللغة الايطالية و ١٦٢ باللغة الافرنسية (٤) .

(١) عن فهارس المكتبة الأحمدية والعثمانية ومكتبة الصيرفي

(٢) حققت بنفسي ما ورد في هذا المقال بزيارة المكاتب الطائفية جميعها في حلب

(٣) المشرق ١٧ (١٩١٤) ٢٢ الخوري ابراهيم حرفوش

(٤) المصدر نفسه

ويرتقي عهد مكتبة السريان الكاثوليك الى القرن السادس عشر حيث غذاها البطاركة والمطارنة بذخائر نفيسة ، الا أن حريقا هائلا قضى عليها سنة ١٨٥٠ فذهب بكثير من مخطوطاتها السريانية والعربية واللاتينية واليونانية (١) . ولما عهدت مطرانية حلب سنة ١٨٦٢ الى السيد جرجس شلحت ، جدد مكتبة السريان هذه ، وجمع فيها عددا وافرا من الكتب المخطوطة والمطبوعة (٢) وبلغ الأولى ٢٧٠ مخطوطا منها ٣٤ في التاريخ (٣) .

وحينما أحرقت مكتبة الروم الارثوذكس سنة ١٨٥٩ جددها المطران كيرلس وأضاف اليها الكتب المخطوطة والمطبوعة من عربية وأفرنجية . وتشتمل مكتبة الروم الأرثوذكس على أكثر من ستمائة مجلد اغلبها مخطوط (٤) .

وأما مكتبة الروم الكاثوليك فقد اصيبت بحريق هائل اثناء فتنة ١٨٥٠ في حلب فاطفت عليها ثم جددها المطارنة وأهل الفضل ، وهي تحوي خمسين واثني عشر مخطوطا (٥)

٦ - المدارس

المدارس الدينية الابتدائية — الكتّاب — دار القرآن الموقوفة —

في حلب كما في غيرها من بلدان الدولة العثمانية كانت المعاهد التعليمية من نوع المدارس الدينية التقليدية التي يجري التدريس فيها وفق اساليب قديمة لم تعدل ولم تتطور منذ عدة قرون . وكان هناك أولا معاهد تعليمية خاصة بالصغار تهدف الى تعليم مبادئ الدين والقرآن الكريم وهذه اما خصوصية يقوم على ادارتها افراد يتقاضون "الخصوصية" عن كل ولد يعلمونه الى جانب القرآن بعض مبادئ الخط والحساب . وهي كانت منتشرة في كل محلة من احياء حلب ، وبعضها خاص بالبنات . واما وقفية يجري فيها التعليم مجانا لان استاذها يأخذ راتبه الشهري من الوقف الذي عينه لهذا الغرض ، (٦) وأحيانا ينص في شروط الواقف مقدار راتب مؤدب الاطفال من الوقف ، ويمنعه من اخذ اجرة على تعليمه " سوى الحلوان المرسوم لامثاله " . (٧)

---

(١) طرازي خزائن الكتب ٢ = ٤٦٨ — ٤٦٩ زيدان آداب ٤ = ١٣٦
(٢) المصدر نفسه = ٤٦٨ — ٤٦٩ عن السلاسل التاريخيه في اساقفة الابرشيات السريانية ص = ٢٤٣
(٣) زيدان آداب ٤ = ١٣٦
(٤) طرازي خزائن الكتب ٢ = ٤٦٨ عن مجلة النعمة بدمشق مجلد ٢ = ٤٠٧
(٥) المكان نفسه زيدان آداب ٤ = ١٣٥ من هذه الكتب ٦٣ في التاريخ والسير
(٦) راجع لمعرفة الغرف التي يعلم فيها الاطفال في الجوامع الموقوفه الغزي ٢ = ٤٦ ، ١٧٨ ، ٣٤٣ ، ٣٧٠ ، ٤١٢ ، ٥٠٣ .
(٧) المصدر نفسه = ١٨٦

وكان عدد الكتاتيب الاسلامية في حلب سنة ١٩٠٠ ٦٥ كتابا تضم ٢٩٣٤ من التلاميذ (١) .

المدارس الدينية العاليــة —

وهناك ثانيا معاهد عالية خاصة بالكبار ، تهدف الى تعليم العلوم الدينية والشرعية المختلفة مع " العلوم الآلية الضرورية لها والموصلة اليها " (٢) ، وهذه تعرف باسم " المدرسة " بوجه عام وكانت اما ملحقة بالمساجد واما مستقلة عنها . انشأها بعض محبي العلم والخير لتقوى بها سلسلة العلم والعلماء" في مدينة حلب . وقد ادرك الغزي من هذه المدارس المفتوحة الابواب للعلماء "والمتعلمين المجاورين = المدرسة العثمانية ، والشعبانية ، والقرناصية ، وكانت هذه الثلاث تعد في مقدمة المدارس ويأتي بعدها = المدرسة السيافية ، والاسماعيلية ، والخسرويــــة والبهائية (٣) . وخصصت المدرسة العثمانية ثلاثين حجرة منها لثلاثين رجلا من طلبة العلم من اهالي حلب اوغيرها . وجاء" في شروط وقفها أنه يجب على المجاورين أطلاق اللحى "وان يلازم المجاورين حجرهم ليلا ونهارا ، ويقرأون الدرس بالمدرسة مع المطالعة والكتابة في حجرهم والصلوات الخمس بالجامع " (٤) والخسروية هي " أول جامع ومدرسة وتكية بنيت في أيام الدولة العثمانية من تهسل رحالها على النسق الرومي " . فيها ثمان حجرات للمجاورين من طلاب العلم (٥) . أشترط فيها أن يكون الامام والمدرّس من المذهب الحنفي (٦) .

يقول كرد علي أن عدد الطلاب المنتسبين الى هذه المدارس في حلب اليوم (اى أيام تأليف كتابه) هم مائة وخمسون " يرجى ان يكون منهم علماء يحيون مندرسون " (٧) .

---

(١) سالنامة ١٣١٩ = ١٤١

(٢) الحصري — ساطع " حولية الثقافة العربية " القاهرة (١٩٤٩) ص = ٣

(٣) الغزي ١ = ١٦١ — ١٦٢

(٤) الغزي ٢ = ١٦١ وراجع كذلك للتفصيل في المدارس الدينية وشروط المجاورين ورواتبهم
الغزي ٢ = ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٩٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٧ .

(٥) المصدر نفسه = ١١٧ — ١١٨

(٦) المصدر نفسه = ١٢٠

(٧) كرد علي خطط ٤ = ٨٣ تاريخ طبع الكتاب (١٩٢٥ — ١٩٢٨)
المدرسة الخسروية هي المدرسة الدينية الوحيدة اليوم داخل نظام الدراسة المعترف الذي مدته ست سنوات تتبع نظام المدارس الحكومية من عطل واعياد وعطل مدرسية وفصل الطالب الذي يرسب في صفه اكثر من سنتين . يتقاضى التلاميذ رواتب معينة ، ومن يتغيب يحسم من راتبه ، يطلق على هذه المدرسة اليوم اسم الكلية الشرعية . رواية قيم دار كتب الاوقاف في حلب .

أما المواد التي تدرس في هذه المدارس العالية فهي العلوم النقلية من قواعد وأسلوب وفصاحة ومنطق وما وراء الطبيعة وفقه اللغة والهندسة والفلك وغيرها • (١)

على أن فضل هذه المدارس الدينية كان قليلا ، لان المجاورة فيها كانت غير محدودة المدة • ولم يكن على طلاب العلم رقيبا • يتتبعون تدرجهم في التعلم ، فكان معظمهم يقضي مدة حياته دون ان يستفيد الفائدة المرجوة • وجاء قانون التجنيد العثماني في أيام عبد الحميد ضغطا على أبالسة الد أستثنى المجاورين من الجندية ، فكان يكفي ان يدون اسم الرجل في سجلات المدرسة لكي يعفى من الخدمة حتى ولو لم يداوم أو يسوء د وامها ، الأمر الذي زاد همة الطلبة تثبيطا ودعا الى فتور العزائم في طلب العلم الصحيح • ويقول الغزي انه لم يدرك مدة حياته نابغة من مجاوري هذه المدارس نبغ بالعلوم والفنون سوى نفر قليل " لم يحملهم على الانقطاع الى العلم حامل سوى نفوس شريفة ادركت فضيلة العلم فخلت للاشتغال به عن كل لذة " • (٢)

<u>المدارس النظامية الاجنبية والطائفية</u>

والى جانب هذه المدارس الدينية الاسلامية ، كان في حلب نوعان آخران من المعاهد التعليمية = المدارس الاجنبية والمدارس الطائفية الوطنية • والمدارس الاجنبية لعبت في العهد العثماني دورا خطيرا في البلاد العربية فقد كانت الارساليات الدينية تؤم البلاد وكل واحدة منها تعتمد على حماية دولة اجنبية تسعى في نشر لغتها وبث روحها بين الناشئة • (٣) وكانت فرنسا انشط الدول في هذا الباب • وأسست ا رسالية العازارية مدرسة في حلب يتلقى فيها التلاميذ من كل الاديان التعليم الابتدائي مجانا • (٤) وكان للآباء الفرنسيسكان مدرسة في حلب انشئت منذ عهد بعيد • (٥) وتاريخ انشاء هذه المدرسة التي تسمى ايضا تسرّة سنتا اومعهد الاراضي المقدسة او الشيبيني ، مختلف فيه فقد روى لي ناظر المدرسة المذكورة انها بقيت من ١٨٥٣ — ١٩٣٧ في محلة الشيبيني ثم انتقلت ، بينما اعطاني الأب فيليب بيلوتي السرياني المعلومات التالية " المعهد الشيبيني ... وضع أسسه البطريرك الاورشليمي لودفيكو بياتسي يوم كان رئيسا لدير حلب سنة ١٨٥٨ ؟ (٦) وكتب الاب توتل " جاء في سجلات الآباء

---

(١) Heuschling, P. 283

وأعتقد أنه لم يكن عن وجود علوم الدين مدرجة رغم أن المؤلف لم يشر اليها •

(٢) الغزي ١ = ١٦٢

(٣) الحصري = ١٢

(٤) لم أتمكن من معرفة تاريخ هذه المدرسة

(٥) المشرق ١٣ (١٩٣٧) ٤٠٤ الاب توتل اليسوعي

(٦) من خطاب القاه الاب فيليب بيلوتي في قاعة النادي الكاثوليكي في حلب في ١٥ ت ١ سنة ١٩٥٠ •

الفرنسيسكان في ١٠ ت ١ سنة ١٨٥٩ ، تأسست مدرسة تره سنتا الكبرى . كان قبلها مدرسة صغرى مفتوحة منذ ثلاثين سنة " (١) وكان هذا المعهد يدرس الايطالية والعربية والفرنسية بصورة اجبارية والانكليزية والالمانية بصورة حرة . واصبحت التركية أجبارية ايضا بعد سقوط عبد الحميد . " وقد انجب هذا المعهد اغلب مشاهير حلب ورجال حكوماتها وعلماء مفكريها وكبار تجارها منذ اواسط القرن التاسع عشر " . (٢)

وكان للرهبنة اليسوعية مدرسة للبنات في حلب تضم نحو مئتي تلميذة (٣) .
وأنشأ البروتستانت في حلب مدرستين أولاهما سنة ١٨٤٨ والاخرى سنة ١٨٥٢ (٤)
وكان لراهبات مار يوسف حوالي سنة ١٨٨٢ ثلاث مدارس تحوي ثلاثمائة تلميذة (٥)
على أن تأثير هذه المدارس الاجنبية تعدى الطلاب الذين ينتمون اليها الى مدارس الجماعات المسيحية نفسها لأنها تزود مدارسهم الطائفية بالكهنة والمعلمين والكتب المدرسية ، وتتجاوز ذلك احيانا فتوجه مناهج الدروس واساليب التدريس . (٦)

وحوالي سنة ١٨٩٨ أنشأ الروم الكاثوليك مدرسة في حلب (٧) ، وكان لهم فيها من قبل ثلاث مدارس (٨) .

أما مدرسة الروم الارثوذكس ، ويطلق عليها اسم روم الفسافسة فقد أسست في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ بموجب فرمان من السلطان العثماني يحدد فيه الكتب التي تدرس واللغات (٩) ، ولا يتدخل في الامور الدينية لان الدولة العثمانية كانت تعتبر كل طائفة دينية أو مذهبية جماعة قائمة بنفسها تتمتع امتيازات خاصة بها يمارس رئيسها الديني بالاتفاق مع مجلس ملّي الأمور الدنيوية والشرعية . وكانت أمور التعليم من جملة الشؤون المرتبطة بهم .

---

(١) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) هامش ٢ = ٢٣٥
(٢) من خطاب الاب فيليب بيلوتي المذكور
(٣) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٣ شاهين مكاريوس
(٤) المكان نفسه
(٥) المكان نفسه
(٦) الحصري = ١٢
(٧) شيخو لويس " الاداب العربية في القرن التاسع عشر بيروت (١٩٠٨) ج ٢ = ٦٢
(٨) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٣ شاهين مكاريوس
(٩) اطلعت على الفرمان المجدد سنة ١٨٨٢ في ادارة المدرسة في حلب ، وفيه اشارة الى الفرمان الاول الذي منح سنة ١٨٠٠ .

ثم جددت رخصة هذه المدرسة حوالي سنة ١٨٨٢ ، وحدد فيها درجة التحصيل التي هي ابتدائية وشدية على أن يكون مجانيا . تدرس فيها الكتب العربية المختلفة كمباني الادب وديوان الفارض ومقامات الحريري والحساب والجغرافية والقواعد والتعليم المسيحي وكتب القراءات اليونانية والمزامير (١) ولها شروط خاصة طويلة . وكذلك أسست مدرسة للبنات وجددت حيثما جددت الاولى ، الا أن برنامج التعليم كما يبدو من أسماء الكتب واقتصارها على عدد محدود منها هو أخف من برنامج الذكور .

ويعتقد أن مدرسة الروم الارثوذكس قد أدت خدمة كبيرة للمسيحيين في حلب بنشرها العلم بينهم كما حدثني مديرها الحالي من أن المطران مكاريوس سابا وهو من الطائفة الروم الكاثوليك قد تخرج منها ، مما يدل على رفعة شأنها وعلو مكانتها في القرن التاسع عشر .

والمدرسة المارونية أسست في حلب سنة ١٦٦٦ بواسطة الخوري اسطفان الدويهي واشتهر من تلاميذها المطران جرمانوس فرحات والقس اوغسطين مازار . كما درس فيها غالب كهسول حلب وشيوخها (٢) وكان عدد تلاميذها في سنة ١٨٥٦ يتراوح بين ٧٠ — ٨٠ وتدرس فيها اللغة الطليانية ، وعدد التلاميذ الذين يدرسونها ١٢ (٣) . اما مدرسة المارونية للبنات فلا يعلم تاريخ تأسيسها بالضبط . أخبرني المطران رسالة ؟ مطران الطائفة المارونية انها تأسست سنة ١٩١٤ على يد راهبات الفرنسيسكان (٤) الا أن ذكرها قد ورد ايضا سنة ١٨٥٦ في سجلات المطرانية المارونية مما يدل على أنها أقدم من التاريخ المذكور (٥) . وأعتقد لهذا أن راهبات الفرنسيسكان قد أخذن بالاشراف عليها اعتبارا من سنة ١٩١٤ . جاء في رسالة القس كلداني الى المطران مطر " ... لان مدرسة البنات ازداد نشاطاتها بواسطة ما صرفته بشانها واما بخصوص المكان فانه أنكرى لبيت ديراويين ومجبيين علينا باستحقاق الاجار تسلمهم المكان وسيادتكم توهم بان تترقب حوش ... " الا أن هذه " الحوش " التي وجدوها لا تتسع لاكثر من ثلاثين تلميذة في الوقت الذي يبلغ عدد التلميذات فيه سبعين . ولهذا يقترح الكاتب بان تقتصر المدرسة على العدد ثلاثين فقط من ابناء الطائفة (٦) ، وذلك لكي يسهل على المعلمات العمل وتحصل الفائدة

---

(١) فرمان التجديد المحفوظ في ادارة المدرسة

(٢) سجلات المطرانية المارونية بحلب . تقرير عام عن ابرشية حلب المارونية موضوع سنة ١٩٣١

(٣) رسالة من القس ميخائيل كلداني الى المطران مطر مؤرخة في ٢٠ حزيران ١٨٥٦ محفوظة في المكتبة المارونية . رقم (٨) رقم الاضبارة (١)

(٤) سجلات المطرانية المارونية بحلب . تقرير عام عن ابرشية حلب المارونية موضوع سنة ١٩٣١

(٥) قرأه علي مطران الطائفة المارونية في حلب من سجلات المطرانية .

(٦) يبدو من هذا أن المدرسة كانت تقبل من غير ابناء الطائفة ولهذا يقترح الكلداني الاستغناء عنهن موقتا .

المطلوبة من جهودهن التعليمية " المعلمات اللواتي ليس عمال يصير الترهيب اللازم في العلم لأن من طرف المعلمات متعذبين حيث ما عالين تقدر توجد معلمات غير المحمودين من سيادتكم فاذا كان عدد ٢٠ حسبما شارحين يتلن علمهم احسن ويطلع منها نتيجة "(١) •

اما مدرسة السريان فلا يعلم تاريخ تأسيسها بالضبط وقد راجعت بهذا الخصوص مطران الطائفة ورجال كهنته ، ومعلما تولى التدريس فيها مدة طويلة وهو القس باسيل ايوب • ولعل مرد ذلك لاحتراق السجلات بين جملة ما احترق في الكنيسة حوالي سنة ١٨٥٠ • وكل ما جاء بصددها ان جرجس شلحت قد انشأها وسماها مدرسة الترقي للذكور وجعل منها قسما للبنات وكان يلقي فيها بنفسه بعض الدروس (٢) الا انني أعتقد انها كانت موجودة قبل سنة ١٨٥٥ اذ يذكرها المعلم بخاش في يومية بمناسبة ما اقترح عليه من التعليم فيها •(٣) وجاء في النشرة السريانية الكاثوليكية لابرشية حلب انها انتقلت سنة ١٩٠١ الى مكان جديد تولى زمامها فيها شلحت المذكور ثم غيره الى عام ١٩١٢ ، وفي هذه السنة تم استدعاء اساتذة اكفاء لتعليم اللغة العربية والفرنسية والتركية والحساب • وتابعت المدرسة نهضتها المباركة في معارج النجاح الى ان كانت سنة " الويلات الجسام " (١٩١٤)•(٤)

اما مدرسة البنات فيظهر انها أسست عام ١٨٩٩ اذ يرى الخوري قسطنطين شلحت المذكور ان المستقبل سيكون غيره في ايامه اذ يبدو له عيشا جارفا محطما الاوضاع الحاضرة = •• وانه سوف يكون للفتاة الموقع كما هو للفتى المعروف ، فان لم يحصل على سبقه في العلم وقعت الخسارة الفادحة وذل الخذلان والاهمال • وهكذا برزت مدرسة البنات الى الوجود وانتقى لها معلمات شرعن بالعمل التدريسي ثم سلمت الى الرهبنة الافراميسة ثم الى رهبنة مار يوسف ، وبقيت كذلك الى الحرب العالمية الاولى حيث انقضت عليها صاعقة تركتها " خبرا بعد عين " (٥)

وفي عام ١٩٠٣ كان عدد المدارس غير الاسلامية حسب الترتيب الاتي وكلها ابتدائي رشدية ه

---

(١) رسالة من القس مخائيل كلداني الى المطران مطر مؤرخة في ٢٠ حزيران ١٨٥٦ محفوظة في المكتبة المارونية رقم (٨) • رقم الاضبارة (١)

(٢) الحمصي قسطاكي " ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر " حلب (١٩٢٥) ص= ١٢١

(٣) راجع المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤١٤ من يومية البخاش

(٤) النشرة ٣ (نيسان وايار ١٩٥٠) ٩٨—٩٩

(٥) النشرة ٤ (حزيران وتموز سنة ١٩٥٠) ١٣٤ — ١٣٧

اسم الطائفة	عدد المدارس	توضيح
الروم الارثوذكس	٢	احداهما للصبيان والاخرى للبنات
الروم الكاثوليك	٥	واحدة منها للبنات
الارمن	٢	واحدة للبنات
السريان الكاثوليك	١	للصبيان
الموارنة	١	للصبيان
الارمن القديم	٤	اثنتان منها للبنات
البروتستانت	٢	احداهما للبنات والاخرى مختلطة
الطائفة الموسوية	١٠	واحدة منها للبنات (١)

المدارس الحكومية — ويبدو ان رجال الفكر والحكم في الدولة العثمانية قد اخذوا يشعرون بالحاجة الى نوع جديد من التعليم يختلف عن التعليم الديني في مادته وأسسه ومواده ، تعليم يساير روح العصر واحتياجاته ولذا اصدر الباب العالي قانونا في شهر اب سنة ١٨٤٦ يتعلق باصلاح التعليم في الامبراطورية العثمانية ، وبموجب هذا القانون اخذت الحكومة على عاتقها الاشراف على التعليم بعد ان كان يشرف عليه العلماء من رجال الدين في كل انحاء الامبراطورية (٢) . فأسست المكاتب الابتدائية لأول مرة حسب المفهوم الجديد سنة ١٨٨١ او ١٨٨٢ (٣) . وقبلها كانت الحكومة قد انشأت المدرسة المخصوصية فاول مدرسة اميرية في حلب وذلك سنة ١٨٦١ (٤) ثم على اثر تقرير رفعه الوالي اسماعيل رحمه باشا (١٨٥٤-١٨٥٥) للاستانة بين فيه حالة المعارف المنحطة في حلب وجهل الاهالي المطبق في امور لغتهم وقواعدها ، فهم لا يهتمون بها ، ويكتفون بتعلم قراءة القرآن في الكتاتيب ويختم قوله بان " هذه حالة لا تليق بالاهالي مع ما فيهم من الاستعداد الفطرى والفطنة والذكاء " ، ولذا يقتضى تحرى وسيلة لجدوى "تدريس العلوم العقلية والنقلية في الوقت المناسب لها " (٥) .

---

(١) سالنامة ١٣٢١ = ١٤٤-١٤٥ هذا ما ورد في السالنامة ولست ادرى لم اهمل ذكر مدرستي الموارنة والسريان للبنات .

(٢) Heuschling, p.p. 279-280

(٣) سالنامة ١٣٠٥ = ٣٥ سالنامة ١٣٠٩ # ٢٠

(٤) كرد علي خطط ٤ = ٨٢ البستاني "ادبيا" هامش ٣ = ١٥١

(٥) الطباخ ٣ = ٤٤٢

وكانت المنصورية قبلا مدرسة يدرس فيها القرآن وفن التجويد وعليها مكتبة ولما تحولت الى مدرسة اميرية اخذت تعلم فيها اللغة التركية والفارسية ومبادئ العلوم الدينية وكان اقبال الناس عليها شديدا ، وقد افاد منهم خلق كثير في اتقان اللغة التركية (١)

ونص قانون ١٩٤٦ على انشاء معاهد للتعليم الثانوي عرفت باسم (المكاتب الرشدية) وذلك في المدن الرئيسية من الامبراطورية ، واخذت هذه المدارس القانونية تهتم بتدريس القواعد والنحو والصرف والخط والانشاء والمحفوظات والتاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة الى جانب اهتمامها بالدروس الدينية . (٢)

وشعرت الحكومة التركية ايضا بضرورة انشاء مدارس عسكرية يدرب فيها التلاميذ حسب النظم الحديثة ، وذلك اثر الانهزامات المتلاحقة التي جنتها في حروبها مع الدولة الاوروبية ولما كان تعليم العلوم التي تتطلبها الفنون العسكرية يحتاج الى مدة اطول من المدة المقررة لهذه المدارس الاختصاصية فقد بادروا الى انشاء مكاتب " الاعدادية العسكرية " لتزويد الشبيبة في سن مبكر بالمعلومات الضرورية التي تلائم الحياة العسكرية ، والتي تساعد على تلقي الفنون العسكرية في المدارس الاختصاصية العالية ، ولما لاحظوا انه من الأوفق ايضا الشروع في تعليم هذه العلوم في سن اكبر انشأوا المكاتب " الرشدية العسكرية " ومهمتها اعداد الطلاب لتلقي الدروس في الاعداديات العسكرية . (٣)

اما المعاهد " الملكية " التي لا تتسم بسمة "العسكرية " فقد انشئت بعد مثيلاتها العسكرية بمدة . ومما هو جدير بالذكر ان هذه ايضا انشئت لتكون مدارس اختصاصية تهدف الى تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مصالح الدولة المختلفة .(٤)

اما مدة الدراسة فكانت في المدارس الابتدائية ثلاث سنوات . وفي المدارس الرشدية ثلاث سنوات ايضا . وفي المدارس الاعدادية خمس سنوات في الالوية وسبع سنوات في الولايات .(٥) .

---

(١) النفسي ١ = ١٦٥ — ١٦٦

(٢) Heuschling 280, 81, 82

(٣) الحصري = ٥

(٤) المصدر نفسه = ٦

(٥) المصدر نفسه = ٦—٧

وبعد الانقلاب العثماني ابطلت الرشدية وادمجت في الابتدائية واحدث نوع ثالث من المكاتب الاعدادية ، سميت بالسلطانية " ، جعلت مدة الدراسة فيها اثني عشرة سنة ، الخمس الاولى منها ابتدائية ، كما الغيت الرشدية العسكرية (١) • ونتيجة المظاهرات الشعبية التي حدثت في امهات البلاد العربية كما يقول الحصري وافقت الحكومة على الامرين التاليين =

١ـ جعل اللغة العربية لغة التعليم في جميع المدارس الابتدائية ، على ان تدرس فيها التركية ايضا •

٢ـ انشاء مدارس ثانوية جديدة يكون التعليم فيها باللغة العربية (٢) • واعتقد ان هذا القرار قد سرى على حلب كما سرى على غيرها •

واليك لائحة بالمكاتب الرسمية التي انشئت في حلب في النصف الثاني من القرن =

اسم المكتب	تأسيسه	عدد تلاميذه	
اصلاحخانه	١٨٦٨	؟	(٣)
الرشدي العسكري	١٨٨٢	٢٠٠	(٤)
الرشدي الملكي	١٨٨٦	٩٧	(٥)
صنايع الزراعة	١٨٨٩	؟	(٦)
الاعدادي الملكي	١٨٩٨	١١٥	(٧)
رشدي الاناث	١٨٩٣	١٢١	(٨)
الفيضية	١٨٩٨	١٢٨	(٩)
السلطانية	١٩٠١	٧٥	(١٠)
حاجي موسى	١٩٠٠	٥٥	(١١)

(١) الحصري ٧ يقول الغزي أن المكاتب الرشدية الغيت في مراكز الولايات ١٨٨١ الغزي ٢ = ١٤٣

(٢) المصدر نفسه = ١٠

(٣) الغزي ٢ = ٤٨٩ ـ ٤٩٠ افتتحته الحكومة لتعليم الناشئة بعض صنائع يدوية كالخياطة والحياكة ووجدت له جهة من حلب يقوم دخلها على مصاريف انشائه ولوازمه

(٤) الغزي ١ = ٣٥٨ سالنامه ١٣٠٠ = ١٤١

(٥) سالنامه ١٣٠٠ = ١٤٢ وهذا المكتب الغي ١٨٩١ الغزي ١ = ٣٥٩

(٦) الغزي ٢ = ٤٤٣ فتحته الحكومة اولا في حلب ثم نقلته الى السلمية نظرا لضيق الارض •

(٧) الغزي ٢ = ٣١٧ سالنامه ١٣١٧ = ١٢٨ بينما يقول الطباخ ان عمارته كملت ١٨٩٢ وافتتح في هذه السنة ثم دعي المكتب السلطاني • الطباخ ٣ = ٤٨٢ ويوافقه كرد علي خطط ٦ = ١١٦

(٨) الغزي ٢ = ٤٢٣ سالنامه ١٣١٧ = ١٢٨

(٩) سالنامه ١٣١٧ = ١٢٨

(١٠) سالنامه ١٣٢١ = ١٤٢ (١١) سالنامه ١٣١٩ = ١٤٠

اسم المكتب	تأسيسه	عدد تلاميذه	
مهتاب احمد باشا	١٩٠٠	١١٧	(١)
السهروردي	١٩٠٠	٢٠	(٢)
الاسماعيلية	١٩٠٠	٥٠	(٣)
القيوشات	١٩٠٠	١٠٠	(٤)
المدرسة	١٩٠٠	٥٦	(٥)
العرفانية	١٩٠٠	٤٠	(٦)
الصنائع	١٩٠١	١٦٠	(٧)
السليمية للاناث	١٩٠٢	٣٦	(٨)
نمونه ترقي	١٩٠٣	٢٠٠	(٩)
شمس الترقي	١٩٠٣	٣٣	(١٠)
شمس المعارف	١٩٠٤	٧٠	(١١)
دفتر اميدي	١٩٠٢	٦٨	(١٢)

---

(١) سالنامه ١٣١٩ = ١٤٠ بينما يذكر الطباخ تاسيسه في زمن الوالي جميل باشا (١٨٧٩—١٨٨١)
وان عدد تلاميذه ٧١ الطباخ ٣ = ٤٧٢ نقلا عن جريدة الفرات عدد (٨٠٥)

(٢) سالنامه ١٣١٩ = ١٤١

(٣) المكان نفسه

(٤) المصدر نفسه=١٤٠

(٥) المكان نفسه

(٦) المصدر نفسه = ١٤١

(٧) الغزي ١ = ١٦٨ الغزي ٣ = ٤٥٥ كرد علي خطط ٦ = ١١٦ سالنامه ١٣٢٠=
١٤٢ ويظهر ان هذا المكتب كان قد افتتح ١٨٦٨ ودخله فئة من الفقراء • الطباخ ٣ = ٤٦٢

(٨) سالنامه ١٣٢١ = ١٤٢

(٩) سالنامه ١٣٢٢ = ١٤٨ اهمل ذكر هذا المكتب في الاعوام التالية

(١٠) المكان نفسه " " " ثم عاد فذكر في سالنامة ١٣٢٦
١٤١ وقد قدر عدد التلاميذ الى ١٠٠ والمعلمين من ٢ الى ١١ •

(١١) سالنامه ١٣٢٣ = ١٥٤

(١٢) سالنامه ١٣٢١ = ١٤٣

اسم المكتب	تأسيسه	عدد تلاميذه	
المحتسب	١٩٠٢	٨٧	(١)
اتسوب	١٩٠٢	٧٥	(٢)
طواشي	١٩٠٢	٣٢	(٣)
جهارتكيه	١٩٠٤	٦٢	(٤)
حصوى	١٩٠٧	٧٥	(٥)
قربانيه	١٩٠٧	؟	(٦)
بيرام باشا او البيرامية	١٩٠٧	٥٥	(٧)
ابي يحيي	١٩٠٧	٥٨	(٨)
الزهبية	١٩٠٧	٦٥	(٩)
الشعبانية	١٩٠٧	٣٥	(١٠)
المعانية	١٩٠٧	٥٠	(١١)
رقبسان	١٩٠٧	٥٥	(١٢)
الاتابكية	١٩٠٧	٨٢	(١٣)

(١) سالنامه ١٣٢١ = ١٤٤

(٢) المكان نفسه

(٣) المصدر نفسه = ١٤٣

(٤) سالنامه ١٣٢٣ = ١٥٤

(٥) سالنامه ١٣٢٦ = ١٣٩

(٦) المكان نفسه

(٧) المكان نفسه

(٨) المكان نفسه

(٩) المكان نفسه يذكر الطباخ تأسيسه سنة ١٨٨٣ • وكان يعلم فيه القرآن والخط ومبادئ الحساب وشيء من الفقه لا غير • الطباخ ٣ = ٤٧٠

(١٠) سالنامه ١٣٢٦ = ١٣٩ يذكر الطباخ كذلك تأسيسه ١٨٨٣ مع الزهبية

(١١) المصدر نفسه = ١٣٨ ″ ″ ″ ″

(١٢) المكان نفسه

(١٣) المكان نفسه

هذه هي المدارس التي انشأتها الحكومة العثمانية في حلب في القرن التاسع عشر ، ويضيف عليها الطباخ المكاتب الاعية = المصروفية ، وعدد تلاميذها ٧٥ ، الجودكية وعدد تلاميذها ٦١ . اكمل وعدد تلاميذها ٣٥ . ذاكرا اياها في جملة المكاتب التي أسست في عهد الوالي جميل باشا (١٨٧٩ – ١٨٨١) .(١)

ويلاحظ من اللوائح ان المدارس قد كثرت في حلب أعتبارا من سنة ١٩٠٠ وتضاعف بالتالي عدد التلاميذ الذين كانوا يؤمون هذه المدارس والحصول على المعارف الابتدائية . واليك النسبة النهائية لعدد المدارس والتلاميذ ١٨٨٦ .

المـــــدارس	عددها	عدد تلاميذها	
المدارس الرشدية	٢	١٧٢	
مدارس المسلمين	٩٠	٢٧٣٠	
مدارس غير المسلمين	٣٩	٢٢٨٠	(٢)

وكان عدد مدارس البنات في سنة ١٩٠٧ اذ بلغ ٢٣ مدرسة ، فيها من الطالبات ٧٠٠ (٣) . وكما تدل الارقام في الجدول المبين اعلاه ، اعتقد ان عدد تلاميذ الكتاتيب يدخل في هذا الاحصاء .

اما المواد التي كانت تدرس في هذه المكاتب فهي الرياضيات بما فيها من حساب عقلي وعلي وطلقات ، والهندسة والجغرافية والتاريخ والرسم وحسن الخط والكيمياء والفيزياء والمعلومات المدنية وحفظ الصحة والاخلاق واصول مسك الدفاتر والفلك والميكانيك والفقه والعقائد والزراعة .

ومن اللغات كانت تدرس العربية والتركية والفارسية ، ويضي بعضها الفرنسية والانكليزية (شمس المعارف) ، والارمنية (الاعداد الملكي) ، والايطالية (ترّه سنتا والمارونية)

وفي مكتب الصنائع تدرس الصناعات المختلفة من تجارة وخياطة وعمل احذية ، ونسج الاقمشة القطنية والجوارب وغيرها ، ويدرب التلاميذ على ذلك عمليا .

---

(١) الطباخ ٣ = ٤٧٢

(٢) سالنامه ١٣٠٥ = ٢١٥

(٣) سالنامه ١٣٢٦ = ١٣٩

اما المدارس الداخلية كالاعدادى الملكي فقد كانت تضم طلابا ليليين يقدم لهم فيها الطعام بوجباته الثلاث ، وهم اما ميسوريون يدفعون اقساطا لقاء ذلك ، او فقراء يعفون منها والنهاريون منهم يقدم لهم طعام الغداء في المدرسة بقسط او مجانا . ويقبل الى الاعدادى تلاميذ من جميع الاديان ، لكن المسلمين كانوا اكثر عددا من سواهم (١) واليك لائحة عن الليليين والنهاريين من تلاميذ المكتب الاعدادى الملكي لسنة ١٩٠١ .

الليلي		النهاري	المجموع	
بالقسط	مجانا			
٢٨	٢٣	١٦٢	٢١٣	(٢)

اما فضل هذه المدارس في الحقل العلمي والثقافي والادبي فيستفاد من تقرير كرد علي في اصلاح المعارف العمومية ، جاء فيه ان الحكومة العثمانية كانت " لا تطلب من المدارس الابتدائية والثانوية الا ان تخرج لها طبقة من الموظفين ملكيين وعسكريين يكونون اتراكا بالسنتهم لا بقلوبهم عثمانيين بقوميتهم لا باصولهم ، وقد اخذ دعاة تتريك العناصر يقاومون لغة البلاد سرا كما هي الا بضع سنين حتى اصبح معظم الدارسين في مدارس الحكومة يخرجون بعد درس عشر او خمس عشرة سنة ، وهم لا يحسنون لغتهم ولا لغة الدولة الرسمية فضلا عن اللغة الافرنسية التي كان تعلمها اذ ذاك رسميا في الظاهر صوريا في الحقيقة على مثل ما كان اللغة العربية في مدارس الحكومة ، وكان يتخرج من تخرجوا في هذه المدارس من يعاني الصناعات الحرة ، بل ان معظم من انهوا الدروس في مدارس الحكومة العثمانية نشأوا اتكاليين مغرمين بالوظائف فقط " . (٣)

اما حظ اللغة العربية في التعليم في هذه المدارس فلم يكن وافيا .. لان التعليم كان يجري باللغة التركية بوجه عام ، وقواعد اللغة العربية كانت تدرس لضرورتها في فهم الادب التركي واتقان الانشاء في اللغة التركية (٤) .

---

(١) الحصري ٢ = ٣١٧ — ٣١٨

(٢) سالنامه ١٣٢٠ = ١٤٠

(٣) كرد علي خطط ٤ = ٨٢ عن التقرير المؤرخ ٢٢ — ٢ سنة ١٩٢٠

(٤) الحصري = ٩٣

ولعلّ المدارس الطائفية او الاجنبية في حلب رفعت اللغة العربية واعتنت بها اكثر مما اعتنت المكاتب الحكومية ، لان القانون العثماني كان يجيز لكل جماعة دينية او مذهبية تعليم ابنائها باللغة الشائعة بينها ، فكان للارمن مثلا ان يعلموا باللغة الارمنية كما كان للمسيحيين العرب ان يعلموا في مدارسهم باللغة العربية . (١) وكذلك عنيت المدارس الاجنبية بتدريس لغة الدولة التي تنتسب اليها الى جانب اللغة العربية ، (٢) كما رأينا في مدرسة تيره سنطا مثلا . ولذا نبغ في القرن التاسع عشر طائفة من ادباء حلب ومفكريها المسيحيين ممن نالوا تعليمهم في هذه المدارس ، في الوقت الذي انحصرت المعاهد التعليمية المفتوحة امام المسلمين " بالمدارس الوقفية القديمة التي لم تنل اي حظ من الاصلاح ، وبالمدارس الرسمية التي تعلم باللغة التركية . (٣) اما خريجوا الاولى فكانوا يولون وجوههم قبل المناصب الدينية ، واما خريجو الثانية فهدفهم اشغال المراكز الادارية والعسكرية .

والدراسة في الخارج كانت نادرة ، وما عرف منها اقتصر على النواحي الدينية ، (٤) فكان مسيحيو حلب (وارجح منهم الكاثوليك) يؤمون روما للتزود من علومها الكهنوتية العالية ، وكان يتزود من الثقافات الاوربية من يرتاد عواصم اوربا باشغال تجارية او هربا من وجه الاستبداد العثماني .

اما اقبال النساء على التعليم فما احسبه كان رائجا . الا انه قبل ان تؤسس الحكومة مكتب رشدي الاناث (سنة ١٨٩٣) ، ومكتب السلطانية للاناث (سنة ١٩٠٢) كان بعض النساء يرتدن مدارس الصبيان . وقد ذكر المعلم نعوم بخاش في يومياته اسماء كثيرات كن يذهبن الى مكتبه (٥) . فكان الفتيات يدارسن مع اخوتهم او اترابهم الى ان يخطبن فينقطعن (٦) اما المتزوجات فيتوقفن ربما يصبحن اذا كنّ حوامل " ومرأة ديراروجيس من اليوم وقفت من القراءة حتى تولد لانها بين نفسين " (٧) . وفي اليومية اخبار عدد لا بأس به من هؤلاء الطفلات المتزوجات (٨) .

---

(١) الحصري=١١

(٢) المصدر نفسه = ١٣

(٣) المصدر نفسه = ١١

(٤) راجع المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٦ من يومية المعلم بخاش

(٥) راجع المصدر نفسه = ٤١٣ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٥٥٧ ،

(٦) المصدر نفسه = ٤٢٥

(٧) المشرق ٣٦ (١٩٣٨) ٢٥٠ من يومية المعلم بخاش

(٨) راجع المشرق ٣٥ (١٩٣٧) ٤٢٠ ، ٤٢٩ ، ٥٥٣

هـ – الجمعيـــــــات

ليس في حلب جمعيات (١) ، ولم ينشأ فيها شيء من هذا القبيل مما يصح ان يطلق عليه جمعية علمية او أدبية قبل الدستور . ولعل مرد ذلك كما يقول زيدان الى " الاستبداد والضغط على الافكار وسوء ظن الحكومة بكل اجتماع " . (٢) الا ان الغزي يذكر ان نواة للجمعية الماسونية كانت موجودة في حلب سنة ١٨٤٨ ، وان احد من يثق بهم الغزي اخبره انه رأى في هذه السنة ختما مكتوبا عليه " هذا ختم جمعية الماسون في حلب " . اما وجود هم الفعلي فيحدده الغزي سنة ١٨٨٥ ، اذ وفد على حلب مقدم منهم " ودعا اليه بعض الناس فلبا دعوته عدد عظيم من شبان الاعيان الطلاب الثلاثة وصاروا يجتمعون عند بعضهم تارة جهرا وتارة سرا " وعدد هم آخذا في الازدياد يوما فيوما . (٣) ولعل هذا ما دعا بعضهم الى القول ان الكواكبي كان ينتسب الى الجمعية الماسونية . (٤) .

ومن الجمعيات التي ظهرت في حلب قبل الدستور " جمعية النشأة التهذيبية " تأسست سرا سنة ١٩٠٧ ، ثم برزت في السنة التالية لتعرض الناشئة الحلبية على انشاء الجمعيات لبث روح الرقي العلمي والادبي . ولم تطل ايامها اذ انقلبت بعد عام اخر (٥) .

واجتمع جماعة من ادباء حلب سنة ١٩١٠ لانشاء نادي يؤدي الغرض الذي دعت له الجمعية النشأة التهذيبية ، ويضيف عليه الدعوى الى التعاون على بث الرياضة البدنية والعلوم والفنون . وعقد مؤسس رئاسته فخري باشا والي حلب آنذاك . وبرغم ما لاقاه من اقبال فقد انقفل بعد مدة . (٦)

وكان القس عوبا ايوب قد انشأ قبل ذلك اي في عام ١٩٠٩ " نادى الادب " ليصرف الشبيبة عن اللهو وارتياد المقاهي ، وليملأ وا فراغ ايامهم بالمطالعة والتعلم (٧) .

---

(١) المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤ شاهين مكاريوس
(٢) زيدان . آداب ٤ = ٨٦
(٣) الغزي ١ = ٢٢٢
(٤) حدثني بذلك ابنه الدكتور اسعد مستشهدا بمن استشهد بوجود اشارة ماسونيه محفورة على حجر كبير معلوم وتوسط قنطرة الباب الرئيسي لبيت الكواكبي . لكن الدكتور اسعد ينفي هذا عن ابيه
(٥) زيدان . آداب ٤ = ٨٦
(٦) المصدر نفسه = ٨٦ـ٨٧
(٧) المصدر نفسه = ٨٧

وفي سنة ١٩٠٩ تأسست في حلب جمعية سميت " بجمعية الاخاء العربي " كان غرضها الظاهر " التعاضد على تأييد احكام القانون الاساسي والمطالبة بحقوق الامة العربية فيما يتعلق بخدم الدولة " . اما غرضها الباطني فهو " الضرب على يد جمعية الاتحاد والترقي والوقوف لها بالمرصاد " لان عبد الحميد كان قد ذهب الى ذلك سبيلا .(١) ورغم الافواج الكبيرة من الحلبيين الذين توافدوا للاكتتاب فيها ، فقد اختل أمرها وانحلت رابطتها

وظهرت في هذه الفترة ايضا " نادي الجهاد الادبي " و " جمعية تأليف القلوب " انشئت سنة ١٩١٣ لتعني بتشويق الفقراء في ابواب التعليم . (٢) .

---

(١) الحصري ٣ = ٤٨٧ ـ ٤٨٨

(٢) المكان نفسه

(٣) زيدان ، آداب ٤ = ٨٧

الفصل الثالث

الأدباء والمفكرون

كان لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٧٩ أعظم الأثر على حلب اذ ضربت تجارتها ضربة عنيفة حولت عنها رواجها القديم · وفتكت الاوبئة والزلازل التى اصابتها فى النصف الاول خاصة على أبنيتها وسكانها · وزاد الطين بلة نزوح أكثر المرسلين عنها بحيث لم يبق فيها غير الآباء الفرنسيسيين رهبان أو ثلاثة من الجمعية العازارية · وبالرغم من هذه النوائب التى داهمت حلب فى القرن التاسع عشر فقد خرج منها بعض المشاهير · (١)

وأنا اذ أعرض لهؤلاء المشاهير من مفكرى حلب وأدبائها فى الفترة المذكورة ، لن أحاول بالبحث أولئك الذين اقتصرت تآليفهم على الناحية الدينية فقط ولم يتعد تفكيرهم اثبات صحة أسانيدهم أو الدعوة لطريقتهم(٢) · ولن أعرض كذلك لفئة الشعراء تاركة هذه المهمة لمن هم أطول منى باعا فى تذوق الشعر والحكم عليه لاسيما وان جلهم قد قصر جهده على نظم الاغانى المعروفة بالقدود · (٣)

---

(١) المشرق ٩ [١٩٠٦] ٦٦٧ الاب شيخو

(٢) من هذه الفئة ابو الهدى الصيادى (١٨٤٩ ـ ١٩٠٩) الذى اصبح مستشار السلطان عبد الحميد واحد الرجال المقربين فى دولته · كافح المذهب الوهابي بشدة لئلا يتسرب الى العراق والشام ، ولم يكن ذلك عن عقيدة او ايمان بل ارضاء للسلطان الذى كان يخشى على ملكه فى ديار العرب من الوهابيين وصاحبهم · بلغت مؤلفاته نحو الاربعين كتابا ورسالة جلها ان لم أقل كلها فى التصوف والدينيات · وليس من الثابت انه صاحبها اذ قيل ان بعض خواصه نحله بعضها ·
كرد علي (مذكرات) دمشق (١٩٤٨) ص = ٢٤٤ ـ ٢٤٥

ومن هذه الزمرة ايضا الشيخ احمد الترمانيني (١٧٩٠ ـ ١٨٧٦) · كان شيخا عالما واستاذا فاضلا ظل يدرس فى الجامع الاموى فى حلب دهرا طويلا · اما مؤلفاته فقد بلغت ١٢ جلها شروح على منظومات فى المنطق والعروض الدينيات · لكن اهمها هو الجامع فى المنطق " ولم اتمكن من الاطلاع عليه · الحمصي _ ادباء حلب ص = ٣٢ ـ ٣٣ · المقتطف ٧ (حزيران ١٨٨٢) ٤٧٤

ويليه ايضا الشيخ عبد السلام الترمانيني (١٨٢٢ ـ ١٨٨٧) وقد تقلد التدريس ايضا فى الجامع الاموى فى حلب بلغت مؤلفاته الثمانية وهي تبحث فى احكام الطلاق وعلم الحديث واحكام الخلع وحواش على البخارى وغيرها · الحمصي ادباء حلب ٣٣ ـ ٣٤

(٣) من هذه الفئة الشاعر الحاج مصطفى الانطاكي · يظن ان وفاته كانت فى ١٨٩١ · الحمصي = ٥٥

انطون المقسال — (١٨٢٤ — ١٨٨٥)

يقول عنه شيخو انه " أحد رجال النهضة الادبية الذي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر " • تلقى علومه في مدارس مالطة وعين ورقة وحلب • تعلم العربية والسريانية والانكليزية والتركية وألمّ بالفرنسية والفارسية ، وكان له مشاركة في علوم الرياضيات والطبيعية • وفي جزيرة مالطة تقدم المعارف زمنا طويلا اذ أقام يصحح الكتب العربية في مطبعتها ويدرّس العربية في مدارسها الكبرى • ثم عيّن ترجمانا للجنود الانكليزية في حرب القرم (١٨٥٤) •

كان ماهرا محسنا وشاعرا مجيدا وموسيقيا ولوعا يضرب بكل الآلات ، وله كتاب على غرار كتب " القوطة " الفرنجية • يقول ابنه ميخائيل في ابيه أنه " اجتهد في ازالة خرافات كثيرة من عقول الكثيرين " ورغّب اهل هذه الاقطار في المعارف وحبّب الى نفوسهم المجلات العلمية والجرائد فكان عاملا في تثقيف كثيرين منهم (١) • وهكذا قضى عن ٦١ عاما صرفها في خدمة الادب ونشر الصحافة وبث روح العلم وتعزيز مكانة اللغة العربية • أما آثاره فهي =

١ — كتاب الأسهم النارية • وهي رواية ضمّنها بعض الوقائع المحلية
٢ — رواية اخرى لم يصلنا اسمها
٣ — ديوان شعر • وكل هذا غير مطبوع
٤ — مقالات ادبية بالجرائد والمجلات باسم مستعار • (٢)

رزق الله حسون — (١٨٢٥ — ١٨٨٠)

ولد في حلب وتعلم فيها مبادئ القراءة والخط على شيخ مشهور بجودة خطه • ولما ترعرع أنتقل الى دير مزمار حيث تعلم اللاهوت واللغات العربية والفرنسية والتركية والارمنية والرياضيات ثم تعلم الانكليزية فيما بعد ، وبدت عليه مخائل النجابة منذ طفولته وأشتهر بجودة الحافظة والذكاء اذ يروى انه نظم الشعر وهو في الثالثة عشر من عمره • ثم هجر السلك الاكليركي الذي كان يعد نفسه له وعاد الى حلب للاشتغال بالتجارة ، ثم أرتحل الى لبنان وباريس ومصر • واخيرا حطّ في الاستانه وهناك انشأ جريدة مرآة الاحوال • ثم رافق فؤاد باشا الى سوريا اثناء حوادث الستين ليقوم بتعريب المناشير

---

(١) الحمصي = ٦ — ٨ شيخو • الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ = ١٢٠ — ١٢١
المقال — ميخائيل " كتاب لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر " مصر ١٩٠٧ ص = ٨ — ٢٥
ترجمة انطون بقلم ابنه ميخائيل ، المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٩٩ مجلة الكلمة ١٠ (١٩٣٥) عدد ١ و ٢ (٢٥ شباط) ص = ١٢ — ٢١ • عبد الله يوركي حلاق

(٢) الحمصي = ٧

والأوامر الى الشعب . وتبادل المودة والمراسلة مع ادباء عصره في بيروت ودمشق ولبنان وحلب .
ولما عاد الى الاستانة عين في نظارة جمارك الدخان فاتهمه حساده وتآمروا به بالاختلاس فسجن
ثم فر الى روسيا ، ويرجح انه تعلم الروسية فيها . وهناك اطلق للسانه العنان بانتقاد الحكومة
وألف رسالة بعنوان " قول من رزق الله حسون بري نفسه من الفلول " . ثم توجه الى لندن
حيث أنشأ كذلك مرآة الاحوال للتنديد برجال الحكومة العثمانية والتشنيع بعمالها الجائرين
وظالميهم (١) .

توفي في قطار السكة الحديدية في طريقه الى داره في قرية وندسورث بعد
ان قضى سهرة عند احد اصحابه السوريين المقيمين في لندن . وروى انه توفي بالسكتة القلبية
الناتجة عن الاضطراب الشديد " لانه بقي الى نصف الليل مع اصحابه من ابناء العرب يتأوه ويزيد
ويشتد غيظا على الاتراك ويطعن فيهم ." (٢) وقيل انه توفي مسموما (٣)

كان حسون ولوعا بالمطالعة ، ميالا الى صناعة الخط . وكان يقصد المكاتب
القديمة في دمشق وغيرها ويستنسخ من مخطوطاتها النادرة تعاليق قيمة افادت المستشرقين كثيرا
لاسيما بعد ذهابه الى أوروبا .(٤) استنسخ من نفائس الكتب العربية اكثر من عشرين اهمها
ديوان الاخطل وذي الرمة ونقائض جرير والفرزدق وصبح الاعشى والمقصور لابن دريد ، (٥)
والاناجيل المقدسة وديوان حاتم الطائي . وقيل وفاته أتم حلب لنقل مكاتبها ونسخ بعض الآثار
النادرة منها . ولا تزال بعض مخطوطاته في مكاتب انكلترا وفرنسا وروسيا . (٦)

اشتغل بالصحافة ويسميه طرازي امام النهضة الصحافية بلا مراء (٧) .
كان يملأ هذه الصحف مقالات سياسية لانه كان حرا يرغب في الاصلاح ومقالات ادبية جرى فيها
نثره على نمط عال متين كثير السجع على طريقة الاقدمين * اما شعره فهو متكلف . مؤلفاته هي =
١ـ النفثات . طبع في لندن (١٨٦٧) في نظم مترجم لقصص كريلوف شاعر الطالبة التي وضعها
على طريقة بيدبا الهندي في الكلام على ألسنة الطير والبهائم وذلك " .. بهزل يراد به الجد
ضاميا عن عتاب واستقالة من رد وصونا المضمون وتمويها وضنا بالحكمة وتنزيها .. ؟ (٨) .

---

(١) زيدان ، جرجي " تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر " مصر (١٩٢٢) ج ٢ ص = ١٢٩
المقال لعيسى اسكندر المعلوف اورده طرازي في صحافة ١ = ١٠٥ ـ ١١٠
المحمصي من ٨ ـ ١١ .
(٢) طرازي صحافة ٢ = ٢٥١
(٣) زيدان تراجم ٢ : ١٢٠
(٤) المكان نفسه
(٥) يورده شيخو باسم " المقصور " شيخو . الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ = ٤٥ ـ ٤٨
(٦) زيدان تراجم ٢ : ١٢٩
(٧) طرازي صحافة ١ = ٣٢ راجع لهذا الملحق رقم (٥)
(٨) النفثات . المقدمة = ٢

ومن نفثاته عسر وعنكبوت ، بلبل وحمارة الى غير ذلك . والضرب لا يجري على طريقة واحدة ، ففيه اشعار عادية ومنه اقوال مسجوعة :

" ومسرقوقا س له المأوى * حسوّق في الجوّ فوق الغمامة محلى * من قمّة الى قمّة يرقى *
فوصل ثم السدرة الكبرى * فظل يعزه نسرى * برأى الرياض والسفرى ... * (١)

وفي القصص أشعار له قيلت في مناسبات مختلفة ، منها هذا البيت الجميل :

من دقّ الارض أدرى بالسياسة لا   من بات يقرأ في التاريخ والسير (٢)

والبيت الآخر الذي يدلنا على أن اقامته في ديار الغرب كانت بالرغم منه :

قد بتّ مغتربا في الارض اقصاها   وفي بلاده برغم كان مرآها (٣)

وله غير ذلك بعض الابيات الجيدة المهمة التي تجمع الى بلاغة المعنى فصاحة اللفظ وجماله .

٢- أشعر الشعر . وهو نظم سفر ايوب وغيره من اسفار الكتاب المقدس . وفي رأي حسون أن ايوب وهوميروس وشكسبير أشعر الخلق كما جاء في مقدمة الكتاب . الا ان شعره هنا لا يخلو من الركاكة واضطراب الاوزان مع عدم التدقيق في مراعاة اصول النحو والصرف ، واستعمال كثير من الالفاظ المهجورة . طبع في بيروت (١٨٧٠) .

٣- السيرة السيدية . كتاب ديني

٤- رسالة في الطباعة العربية وفي تلخيص تاريخ الكتابة العربية . طبعت في لندن (١٨٧٠) .

٥- كتاب المشمرات . طبع في البرازيل اولا (؟) ثم بعناية جريدة المناظر (١٩٠٦) .

٦- ديوان حاتم الطائي . طبع على نسخة مكتبة لندن (١٨٧٢) .

٧- حسر اللثام . كتاب جدلي تم تأليفه (١٨٥٩) . لعله لم يطبع اذ لم يشر اليه سركيس في معجمه (٤)

وعرض بعض المستشرقين الى ذكر حسون في كتاباتهم " واخرهم عهدا " المسيو كليمان هوار الفرنسي في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" . (٥)

---

(١) النفثات = ٥

(٢) المصدر نفسه = ٧٤

(٣) المصدر نفسه = ٨٣

(٤) لم يشر سركيس سوى الى اشعر الشعر ورسالة الطباعة العربية والمشمرات والنفثات .
سركيس حرف الحاء . وكذلك شيخو في الاداب العربية في القرن التاسع عشر . ج ٢ = ٤٧ وعنه نقل سركيس .

(٥) زيدان . تراجم ٢ : ١٢١

فرنسيس مراش — (١٨٣٦—١٨٧٣) (١)

هو سليل بيت عريق في الادب والشعر . درس ما في خزانته من " كتب مطولات ومختصرات في النحو والصرف " وغيرها من العلوم اللسانية فتفتقت قريحته بالشعر . الا انه رأى جملة اغراره قليل فائدة نظم الشعر وهي كساد سوقه " وقلة العامة له واحتسابه من سقط المتاع " فعكف على دراسة العلوم العالية واللغات . ثم تهيأ له طبيب انكليزي ماهر لقنه الطب اربع سنوات كاملة رأى بعدها ان يسافر الى باريس سنة ١٨٦٧ (٢) ليحصل على اجازة تخوله حق ممارسة المهنة . وكان قد سافر اليها سنة ١٨٥٠ صحبة والده ومكث فيها مدة تقرب من السنة . الا ان المرض عاقه عن اتمام الدراسة فقفل راجعا الى حلب ولم يلبث ان كف بصره فيها فاخذ يملي مؤلفاته على احد اقاربه ومعارفه .

ومما هو جدير بالذكر أنه ألف اكثر كتبه وهو في حلب بعد ان فقد بصره . ومع ذلك فانه لتطمح فيها نزوعا الى روح العصر ، لعله أول من بشر بطلائعه في النهضة الحديثة اذكت فيه ذلك اسفاره واختلاطه بالاجانب واطلاعه على آدابهم . (٣)

والمراش غزير العلم ، وقد روى انه عرف له نظم على طريقة الصبيان في التاسعة من عمره . الا انه كان قليل التدقيق في اوزانه والفاظه ، ولعل هذا اثر من آثار حب انعتاقه من القيود وانفلاته من سلاسل القواعد . فقد كان يكره التزام قوانين اللغة فلم يحسن تحرير اساليبه وتنقيح عباراته على ما يقتضيه اصول الانشاء .

---

(١) وردت كذلك في جميع المصادر عدا ادباء حلب ، فقد ذكر الحمصي ولادته ١٨٣٥ ووفاته ١٨٧٤ ص = ٢٠ . وقد نقل الحمصي بعضا من ترجمة حياة المراش مما كتبه هذا الاخير بقلمه في كتاب "رحلة باريس" الا ان المراش لا يعطي سنة وفاته في الترجمة المذكورة .. ويكرر بذكر سنة الولادة ١٨٢٦ ولعلها خطأ مطبعي ، فهو ينقل — كما يعترف — عن زيدان في تراجمه ، وعن طرازي في صحافته . سركيس حرف الميم

(٢) زيدان . تراجم ٢ = ٢٥٣ — ٢٥٦

(٣) رحلة باريس = ٧ — ٩ الحمصي = ٢٠—٣٠ شيخو الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ — ٤٠ — ٤٣ وعنه اخذ طرازي في صحافته ١ = ١٤١—١٤٣ المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٩٩ شيخو، زيدان . آداب = ٢٣٦ — ٢٣٨ الدبس يوسف " تاريخ سوريا " بيروت (١٩٠٥) ج ٤ = ٦٩٣ — ٦٩٤ .

والمراش يبدو مشاركا في كل العلوم كما يتضح من ابواب تآليفه ، الا أنه كان الى العلوم الفلسفية أميل . واذا لنلمس هذه النزعة الفلسفية عند المراش اذا تصفحت كتبه ،(١) ونلمس الى جانبها عاطفة من التشاؤم تسرى في تفكيره وانشائه فقد كان ساخطا على الزمن عصريا باهله ، صنعت نظارته التي ينظر اليه بها من " اشنع الالوان وانحس الاشكال " ، وكيف يلاطش للبشر وليس فيهم الا الحسود الطامع ، ومن يحتسي الدماء في اندلاع سكره ، كيف يرضى من الارض ، ويجمع خيراتها وثروتها يملكها نزر من المغتصبين يحاربون لمنظر الالوف غيرهم الذين يتضورون في أوحال الشقاء . اسمعه يقول " رأيت الارض تضطرب كالمصروع قاذفة من افواهها لهيبا هايلا يحرق وجه السماء ... رأيت على الافق سحابا ناريا كثيفا ذا لون كأنه من صبغة الموت تقشعر منه الابدان وترهق الارواح وكله مصنوع من زفرات البشر .. رأيت راية المصائب والاوصاب تخفق على كل هامة ورياح الالام والاوجاع تعصف بكل روح حتى صرت اتمثل النوع الانساني كأنه شخص واحد ملقى على هذه الارض المخطوطة هزيلا مغلولا بالسلاسل ومصروعا بصياح شياطين الوساوس ." (٢)

والمراش شاعر حساس ، شاعر لا باوزانه او نظام القافيه ، بل بخياله وحسه الدافق ، فما اكثر صوره التي تزاحم القافيه ، لكأني به فنان ماهر يرسمها بريشة سخية . لكن القافيه لا تكون دوما سهلة سلسة ، فقد يكثر فيها الحوشي والكلمات الغريبة (٣) . كما يميل في تراكيبه الى السجع الذي يكثر احيانا فيسمج (٤) ، والى الاستعارات والتشابيه التي قلما يخلو منها أثر كتابي له ويبدو احيانا على اسلوبه ما يدل على تأثره بتراكيب القرآن او تعابيره (٥) اما تآليفه فهي =

١ــ كتاب الكنوز الفنية في الرموز الميمونية . طبع في حلب سنة ١٨٧٠ ٣٣ صفحة من الحجم المتوسط وكله قصيدة رائية على صورة روايه شعرية رمزية .

٢ــ كتاب مرآة الحسناء . بيروت (١٨٧٢) . ٣٤٩ ص من الحجم المتوسط وهو ديوانه المرتب حسب القوافي . ويغلب على الشعر مسحة قديمة من حيث الاغراض وتسلسل القصيدة . (٦) كما لا يخلو من آثار الصنعة (٧) .

---

(١) راجع رحلة باريس = ٤٨ ــ ٤٩ شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة = ٥ ، ٤١
مشهد الاحوال = ١٤ ــ ١٥ ، ١١٧

(٢) رحلة باريس من ٤ ــ ٦ راجع ايضا در الصدف في غرائب الصدف من ٣ ــ ٤ مشهد الاحوال=١:

(٣) راجع در الصدف = ٤٧

(٤) راجع الكنوز الفنية في الرموز الميمونية من ٢ ــ ٣

(٥) راجع غابة الحق ٢١ ، ٤١

(٦) راجع الكنوز الفنية من ١٣ــ١٥ ، ٢٤٢ــ٢٤٣ (٧) راجع الكنوز الفنية = ٤

٣ ـ كتاب درّ الصدف في غرائب الصدف . بيروت (١٨٧٢) ١٢٨ ص من الحجم الصغير .
وهي رواية اجتماعية غرامية يتبين منها ان المراش يؤمن بالحب ويفهمه ، ولا يرى في حب العذراء للفتى الاعرج الذي يعشقها غضاضة " فما هذا عارا ولا شنارا الا عند الجهلاء والمتعصبين " (١) فهل كان زملاؤه في عصره يرون رأيه ؟ ولكن هل للمرأة ان تعي تساهل المراش هذا وعدم انكاره عليها حقها في الحب ؟ كلا لا اعتقد ، فما هو بالمتكل الى وفائها او الواثق بصدق عاطفتها . اسمعه يقول " قلب الانثى ميال كثير نزواتها وطائش كثير تقلبها وحائر مثل احداقها ورقيق مثل خصورها .. ان الثبات في الحب مستحيل على كل ذات نهد فلا تستقر على احد الا وتنقلب الى آخر " . (٢) وهكذا تكون تقلبات قلب الانثى في نظره " سلسلة غير متناهية " (٣) .

٤ ـ شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة (مكان ؟) (سنة ؟) (٤) ٨٠ صفحة من الحجم الصغير .

من هذا الكتاب يتبين ان المراش رجل كبير القلب صادق الايمان يرى أن لا شيء " يصلح احوال الناس ويهذب اخلاقهم ويكسوهم حلل الصفات الحميدة اعظم من تلك الشريعة الطاهرة " . فبدون التعاليم الدينية " لا تقوم مدنيات الناس الحقة " لانها هي التي تكبح جماح شهواتهم الوحشية ، وتلجم طباعهم الشريرة . والويل لاولئك الذين يخرج بهم الكفر عن عقائد الايمان الشريف ، اذ يزجهم كفرهم في اشد وهدة ويسوق نفوسهم " الى نار لا تطفأ ودود لا يموت " . (٥)

ويسترسل المراش في وصف ميل الانسان الغريزي الى الديانة (٦) وشرح الوحي الذي به يؤمن كل الانسان (٧) ، وعناية الخالق التي تسير كل الموجودات . وفي هذا كله نحسب بين سطوره افكارا جديدة تستمدها في الحديث عن السيالات الكهربائية ، والموصلة

---

(١) درّ الصدف = ١٩ــ٢٠
(٢) المصدر نفسه = ٦٨ ــ ٦٩
(٣) المصدر نفسه = ٧٠
(٤) هكذا في النسخة التي قرأتها . وجاء في سركيس انها طبعت طبعة اخرى في بيروت ١٨٩٢ في صفحات عددها ٦٣ .
(٥) شهادة الطبيعة = ٢ ــ ٣
(٦) المصدر نفسه = ٥٤ ــ ٥٦
(٧) راجع المصدر نفسه = ٦٠

وقوانين النور والمعاصر في الفزيا* ، وناموس الانحادات والتنافي بين المواد الكيماوية ، ونسخ النباتات وجاذبية الارض وغير ذلك كثيرا مما لم يكن مألوفا في تأليف كتاب حلب قبل المراش . على انه لا يمكنني ان اعتبر حديث المراش واستقلالا عن النقل واستدلاله على وجودها في الانسان نزعا حديثا ، اذ لم يعالجه معالجة حديثة بل وضع الهدف الديني نصب عينه ، ثم انطلق يؤيد نظرته بالبراهين والادلة كما يريدها هدفه هذا (١) .

ه — خطبة في عروسة المكروب وراحة المتعوب . حلب ١٨٦٤ . كراس صغير في ١٥ ص .

تغلب على الكتاب نزعة تشاؤمية فلسفية اذ به يستعرض تاريخ الدول المنقرضة التي ادركتها " عواقب السقوط ولواحق الفساد والاضمحلال " كبابل ونينوى ، والدولة اليونانية والرومانية . فكلها تآلت الى الدمار " ولا عاد يوجد من ذلك الضجيج العظيم سوى صمت الليل الهادئ مختللا بولاول الحشرات التي نراها قاطنة في ماضيك الفسحات المهملة بعد صفوف فوق ذلك التمدن اللامع " (٢)

٦ — رحلة باريس . بيروت (١٨٦٧) . ٧٢ ص من الحجم الصغير .

هو وصف لرحلة قام بها في ايلول سنة ١٨٦٦ قاصدا الاسكندرونه فطرابلس فبيروت فيافا فالاسكندرية فالقاهرة فمرسيليا فليون فباريس . وهو يصف في طريقه ما يشاهده من اسواق المدن وشوارعها وابنيتها وآثارها . وهكذا اصطبغ التاريخ كما يقول البستاني " بالوان الرواية الخيالية " (٣) .

ولم يفت الراوي ان يسجل اعجابه بعظمة باريس وجمالها العجيب وكمالها الغريب الذي كان نتيجة لما " بلغ اليه العقل عندهم من التقدم والنجاح . فلا ريب ان سلطان عقل هذا الجيل في هذه الديار قد جلس الان على قمة عرش كماله واخذ يشرق على العالم انوار قوته ليفتح معاقل الطبيعة ويقلب ممالك الظلام ." (٤) ولا ينسى ايضا وصف جولات الفكر في جميع نواحي الحياة والاختراعات الحديثة التي غذا بها العالم ، والفلسفات الجديدة التي بها بشر مما لم تستطع قوة أن تقف في وجهها او تعترض سبيلها " فاي قوة اوقفت حركة الارض بعدما أدارها غاليلي على محورها واي قوة اوقفت دوران الدم في اوعيته بعد ان اجراه فكر هارفي " . (٥) وابن محسن بني

---

(١) شهادة الطبيعة . راجع ٤٢ — ٥٢

(٢) عروسة المكروب = ٦ — ٨

(٣) البستاني ادبنا* = ٣٦٥

(٤) رحلة باريس = ٣٦ — ٣٧

(٥) المصدر نفسه = ٤٧ — ٤٨

المشرق من هذا كله ؟ ان العلم عندنا مهان ، والعالم مهووس ، والمهتم بالتاريخ " حكاكاتي ومن يطلب المعرفة كمن يستجلب الخزي والعار • (١)

والمراش يدرك ان سبب رقي باريس هو وجود المدارس " التي لا يفتر تشييدها ولا يكف نظامها " (٢) •

٧ـ دليل الحرية الانسانية • (٣) طبع في حلب (١٨٦١) يقع في ٢٤ ص من الحجم المتوسط، ألفه ليفي ولنسه " النصارى في مدينة حلب " لانتقاد " التعبد بعادة الطوبسات النسائية ويظهر ان نساء تلك الفترة قد اندفعن وراء عبي الالبسة والاسراف فيها وزركشتها ، واستعمال الحلي بانواعها من جواهر تلمع على الرؤوس واقرطة تتدلى من الآذان ، وخواتم تبرق في الاصابع فيحاول المراش برسالته هذه تبيين ما فيها من مضار ادبية واخطاء " ضد شريعة الاديان والآداب معا " ، ثم يحلل اقتباسها بانها لا شيء سوى التقليد الاعمى الذي يقتاد اليه البشر عادة دون روية او اعمال فكر • وكيف انه يشرعها لنفسه فيكبل بها يديه ثم يعبدها كما يعبد اهل الاصنام اعمال ايديهم • ثم يقارن بين البسة الغربيين وازيائهم البسيطة وبين ما يستعمله سكان بصورة خاصة مما تشمئز منه نفوس الشعوب الغربية ؟ الذين قد جلسوا على افلاك التمدن والتهذيب " فتكون هذه الازياء في عرفهم مدعاة للسخرية والهزوء ، لانهم لا يشاهدون شيئا ولا يمارسون عملا ما لم يكن لهم به منافع ثم يسهب في وصف الاضرار التي تنجم عن هذا الاسراف الفارغ في المظاهر فهي تجلب طمع الحاسدين ، وتؤدي الى بوار البنات اذ يمتنع عنهن الشبان ، " الذين لا يملكون مثل هذه الحلي فيترددون في التراغيبات " وهنا الطامة الكبرى والخسارة الادبية والاجتماعية الكبيرة (٤) ومن هنا ينصرف كاتبنا الى معالجة قضية غلاء المهور التي هي نتيجة حتمية لكثرة مطالبات المرأة الكمالية • فيقول ان كثرة بذل المهر تبعد الشبان عن فكرة الزواج اذ تستنفد منهم كل ما يملكون ، هذا اذا لم يخطروا الى الاقتراض • وهذا الامتناع عن الزواج يؤدي الى نقصان " الملة " النصرانية ومن ثم انقراضها من الشهباء " في بضع سنين (٥) •

---

(١) رحلة باريس = ٤١–٤٢

(٢) المصدر نفسه = ٣٧

(٣) لا يذكره سركيس في معجمه

(٤) دليل الحرية = ١٩

(٥) المصدر نفسه = ٨ — ٩ وهنا يورد شبه احصاء من مواليد النصارى المذكور في حلب سنويا مع عدد من يموت منهم ومن يبقى بصرف النظر عن البنات •

ويعد العراش مصلحا اجتماعيا اذ يلح على الاغنياء صرف هذا المال الفائض في تعليم الفقراء وبناء المدارس او الانفاق على ما يسمى عنها " كما يفعل اهل بقية المدن المتمدنة " (١) وهذا كله لا يحوزه في نظره سوى حب الشعب لوطنه هذا الحب الذي به "صعدت الامم الغريبة الى اعلى طبقات الشرف الانساني " .

والذي به يجوز كل فرد على نفسه حرصا على النفع العام . هذا الحب للوطن هو الذي حض الغريب على الاختراع فسما العقل وبلغ " آخر مراتبه عندهم " (٢)

٨ـ المرآة الصفية في المبادي الطبيعية . حلب (١٨٦١) ٦٠ ص بحجم صغير .

وهو خلاصة علم اصول الطبيعة . يبحث فيه بحث العالم المطلع في الجماد (٣) والاجسام البسيطة والمركبة (٤) ، والانسجة والالياف والهيولى والفلاسفة الذين بحثوا في هذه الاخيرة (٥) ثم في خواص الاجسام (٦) وفي قوى الجاذبة والضغط (٧) وفي الحركة والسكون والسوائل والغازات (٨) ، ثم في النور والاجسام المنيرة والشفافة (٩) وفي الحرارة والبرودة والكهربا " (١٠) . وهكذا

٩ـ كتاب مشهد الاحوال . طبع في بيروت (١٨٧٠) يقع في ١٥٦ ص من الحجم المعتدل .

هو كتاب نستطيع ان نقول فيه انه ذو اغراض مرضية جديدة ، سلك فيه مسالك فلسفية طبيعية ، اجتماعية تجري اكثرها مجرى المقامات . ضمنها آراءه الشاعرية مع ابيات كثيرة من شعره .

---

(١) دليل الحرية = ١٢
(٢) المصدر نفسه = ١٠ .
(٣) المرآة الصفية = راجع ٤ ـ ٥
(٤) المصدر نفسه = ٦
(٥) " = ١٠
(٦) " = ١٣
(٧) " = ١٦
(٨) " = ٢١
(٩) " = ٣٥ ـ ٣٧
(١٠) " = ٤١ ـ ٤٩

اما الموضوعات التي عالجها فهي أحوال الكون من جماد ونبات وحيوان ، والانسان بما فيه الرجل والمرأة ، ثم الانسان في أدوار حياته المتعاقبة من طفولة الى فترة الشباب فشيخوخة ، ثم الاسرة فالمجتمع والبلاد والمدن ، والحرب والسلم والبغض والحب والجمال والعمل ونحو ذلك .

اما رأيه في العلم فلا يختلف عما ضمنه كتبه الاخرى فهو " ريحانة النفوس وروح قدوس . به تنشر الافكار . وتبصر الابصار . وتكشف الاسرار ... " (١) وأما العالم فلا زال ذلك القلق المحتار " لا يسكت لبه . ولا يسكن قلبه . ولا تهجع افكاره . ولا تصمت افك الذكاره . فنومه أرق . وسكينته قلق ... فيرى الدنيا مطارح متاعب . ومسارح اكاذيب ." (٢) والجهل هو ذلك العشوة العمياء ، وصاحبه " ساكن البال . رايق الحال . مرتاح اللب . خالي القلب .. " (٣) .

والمراش يكره الحروب ، وينقم على الانسان ثورته على أخيه في حروب تسقي الدماء فيها الارض . وتعم المصائب وتطغى .. ولكن " ما مصائبها الا مآربها . وما اوجاعها الا اطماعها " (٤) .

ولكن ترى هل تشفع مدنية الغرب وتقدمه في حقل الاختراعات في التخفيف من غلواء المراش ونقمته ؟ فلقد طرد الغرب الخرافات والاضاليل " فلم يعد للفلك احكام . ولا للعين سهام . ولا للجن مسارح . ولا للارواح مراسح ." و " طار الانسان على البخار واختصر مطولات البحار . وضبط رجمات القفار . واستخدم البرق رسول اخباره . والنور مصور آثاره .. " (٥)

ويصف المراش (تكتيك) الحب بدقة (٦) ويميل الى انصاف المرأة والرأفة بها أكثر من ذي قبل . ولعله قد عدل رأيه فيها بحيث اصبحت " خير الاصحاب . واطيب الاحباب ولا تطيب الحياة الا بها ولا يصحب سرور الا باصطحابها (٧) .

---

(١) مشهد الاحوال = ٥٣

(٢) المصدر نفسه = ٥٤

(٣) المصدر نفسه = ٥٦ — ٥٧

(٤) " " = ١٧ ولعل الكاتب يعرّض بحروب السبعين التي كانت مولعة بين فرنسا والمانيا انذاك . انظر في هذا المعنى ايضا غابة الحق من ١٩ — ٢٠

(٥) " " = ٣٤

(٦) شيء يؤيد المثل (احرب من المرأة تبصك اعصبا تحرب عنك) راجع مشهد الاحوال = ١٠

(٧) مشهد الاحوال = ١١١

١٠ ـ غابة الحق ٠ (١) حلب (١٨٦٥) وهو ١٦٨ ص من الحجم المتوسط ٠

هو كتاب جمع بين الفلسفة والآداب ، بث فيه المؤلف بطريقة مبتكرة آراءه السياسية والاجتماعية ٠ ففي حلم طويل ، يرى المراش ملك الحرية مع ملكة الحكمة وقد انتصروا على ملك العبودية " فسيق هذا ليحاكم امام ملك الحرية ، وحضر المحاكمة قائد جيش التمدن " و " وزير محبة السلام " وكان الفيلسوف يقوم بتوجيه المحاكمة ويسعى للجمع آرائه القيمة ٠

والظاهرة الاولى التي نطالعها في الكتاب هي معالجة المؤلف للحرية والاستعباد على نهج فلسفي جديد ٠ هذه الحرية في نظر المراش هي محدودة طبيعيا لاننا " اذا تتبعنا الانسان منذ ولادته الى نهاية امره ٠ انما نرى حريته تجري خاضعة الى ما لا ينتهي من العبوديات " ٠ (٢) فهو يخضع للمحيط طالما يعيش فيه ، ويخضع لامه ما دام يغتذي بلبنها ، ويخضع لتقلبات الجو فيحاول التخلص منه بالهجوء الى غيرها " ويلتجئ من الجوامد بيوتا لتحميه من حوادث الجو وهجير الشمس ويستنجد المعادن لوقاية ابنيته من غوايل الصواعق المنقضة " ٠ وبالاجمال فهو يخضع لنواميس الطبيعة وقواعدها في شتى مظاهرها " فلا حرية اذا للانسان " (٣) وهكذا يضع امكان الحرية طبيعيا لا ادبيا (٤) ، لكن الغاء العبودية المضرة الحديثة الفاسدة ، واطلاق الحرية مكانها " ضرب من اللزوم وقانون صوابي (٥)

هذه العبودية فكرة مستهجنة ، " والاستعباد مكروه عقلا وطبعا " واذا ما استعصى التخلص منه فالثورة مطلبا اللائق و " الاجتهاد بسحق العبيد وهدم مباني العبودية هو امر ضروري وواجب " ٠ (٦) والطبيعة البشرية التي تميزت بالحرية الابدية تأبى ان يخضع الانسان لاخيه الانسان " فلا يأكل خبزه الا بالتنهد والحسرات ولا يشرب ماءه العكر الا بالدموع والعبرات " ٠ ولا ينام على فراشه الحجري الا قلقا بالاوجاع والاوصاب " ٠(٧)

---

(١) وردت غابة الحق في تاريخ سوريا ٤ = ٦٩٤

(٢) غابة الحق = ٢٨ ـ ٢٩

(٣) المصدر نفسه = ٣٠

(٤) " = ٤١

(٥) " = ٣٩

(٦) " = ٤١

(٧) ؟ = ١٢٦

هكذا عطف المراش على الحرب الاهلية الاميركية التي وقعت في زمانه لتحرير العبيد ــ ١٨٦٠ ــ ١٨٦٥ ــ على الرغم من علمه ان فئة كبيرة في اميركا لا زالت تناهض الفكرة وتدعم دعوتها بالسلاح (١) . واسمع اي حماس يهيب بالمراش عندما يقول " اطلق هذا العبد الغريب فلا يسوغ لك استعباد الجنس البشري ... فقد بح صوته من الصراخ وذبلت عيناه مما يترجى .. اطلق هذا العبد الغريب او يطلق ذاته رغما عنك آخذا الانتصاف من جميع الناس .. ان العبودية لا تحتمل (٢) " او يطلق ذاته رغما عنك " ... هنا مجال الثورة التي يؤمن بها المراش كثورة للتخلص من الظلم والاسر . فليس غير الحرب من يضع حدا لتوجع العبيد وأنينهم " فحاربوا من ظلم واعتدى . واعتدوا له سلاسلا واغلالا " (٣) . ولم الانتظار وعلام التردد " وابواق الحرية لمعت في الآفاق و. والوية العدل خفقت في الاعالي ؟ . (٤)

هوذا المراش لم يفقد رجاء بفوز الحرية ، لا ولا زال قوى الايمان بانتصار العدل . ولعله بكلمته هذه يلمح للثورة الفرنسية التي كانت اول تباشير عهد الحرية . ومن يدري فلربما كان يأمل هبوب افكار الثورة الى بلاده ، او العدل والاصلاح الاجتماعي ، والا فلماذا كانت جهة الغرب هي الجهة التي رأى فيها ــ بعد ان استيقظ من حلمه ــ عددا من الاخضرار " يعج من جانب الافق وكأنه يهم ان يتدفق على تلك الاقطار اليابسة " ولا مس اذنه صوت ينادي من بعيد " هذه بوية الشمسا " فليبشر بقدوم الخير (٥) .

وللمراش في التمدن رأى خاص . فهو " ناموس يرشد الانسان الى تجويد أحواله الطبيعية والأدبية " وهو يبنى على دعائم خمس هي = تهذيب السياسة ، وتثقيف العقل ، وتحسين العادات والاخلاق ، واصلاح المدنية ، والمحبة (٦) .

فلكي تستقيم الدعامة الاولى لا بد للسياسي أن يتحلى بصفات عدة كأن يكون " عارفا بالعلوم الرياضية والأدبية ومتفقا بمعرفة واجبات الشرائع والقوانين " وان يكون عادلا تقيا شجاعا غير طامع (٧) . وعلى السياسة ان تساوي بين الجميع ، وان تطابق بقوانينها وشرائعها حال البلاد ، وان تراعي الصالح العام بتمهيدها سبل العلوم وتسهيلها طرق التجارة ، وتقوية الصناعة

---

(١) الخوري رئيف " الفكر العربي الحديث " . أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي " بيروت (١٩٤٣) = ١٣١

(٢) غابة الحق = ١٣٨ ــ ١٣٩

(٣) المصدر نفسه = ٤١

(٤) " " = ١٢٣

(٥) " " = ١٦٤

(٦) " " = ٧١

(٧) " " = ٧٢ ــ ٧٣

والاشغال بمكافأة المجتهدين وتنشيط المعامل ومساعدة الزراعة والسهر على الأمن (١) .

ولا يتم تثقيف العقل " الا بالعكوف على العلوم والفنون ودراسة المعارف الادبية والطبيعية " وهنا مجال واسع للبحث في العلم ومنافعه والجهل واضراره (٢) .

اما الدعامة الثالثة فهي لا تقل أهمية عن سابقتيها لأنّ أخلاق البشر وعاداتهم هي مقياس تمدنهم وهذه الاخلاق تكون خاصة او عامة =

فما لا يتفق مع التمدن كأخلاق خاصة للفرد ، السكر ، والنهم ، والفجور ، والكذب ، والغضب ، والجبن . (٣) وما لا يتفق مع التمدن كأخلاق عامة للمجموع ، حشو البيوت في الأثاث وإهمال شراء الكتب وأدوات العلم والالتفات الى زينة النساء وبهرجتهن عوض الاهتمام بمتاع العقل والآداب . وصرف الاموال على الولائم وحجزها عن اعمال البر ، وزيارة الناس في الاعراس واذلال النساء وتحقيرهن وضربهن ، وغير ذلك كثير . (٤)

وفي صحة المدينة يشترط النظافة وتعهد الشوارع والازقة وترميم الابنية وحسن تنسيقها ، (٥) .

اما المحبة ، الدعامة الخامسة للتمدن ، فيجب ان ينصب تمثالها في قلب كل فرد ، ويقدم لها هذا الفرد " بخور الافكار الطيبة والعواطف الجيدة " على ان لا تستعمل الا على قدر الواجب وحسبما تطلبه الظروف كما تأخذ رئتا الانسان نصيبهما من الهواء الذي يكفي لادامة الحياة بلا زيادة او نقصان . (٦) .

وهكذا فالمراش يعد في موسم النهضة الفكرية والادبية باكورة زكية (٧) ، ظهرت في آثاره رائحة الثورة الفرنسية . (٨) ولا بدع في ذلك فمسائل الاستبداد يبحثها بحثا صريحة ملموسة (٩) فيورد كرسالة " غابة الحق " لهذه الفكرة تقريبا ، وان كان قد سلك في معالجة

---

(١) غابة الحق = ٧٧ــ٧٨
(٢) المصدر نفسه = راجع = ٨١ــ٨٢
(٣) " " " = ٨٧ــ٩١
(٤) " " " = ٩٢ــ٩٦
(٥) " " " = ٩٧ــ١٠١
(٦) " " " = ١٠٦ــ١١٢
(٧) خوري = ١٠٦
(٨) راجع فوق ص = ٨١ــ٨٢
(٩) خوري = ١٠٦

الحرية طريقة فلسفية غير مألوفة ، الا انه على كل حال يحبذها ويؤمن بها ، كما يستهجن فكرة الاستعباد ويدعو الى محقها ، ويهيب بالمستعبدين الى مقاومة الظلم ، والثورة هي السبيل الأوحد الذي يضع حدا لآلام المتوجعين الذين يئنون في سلاسل عبوديتهم . هذا اذا لم تقلع جموع الاسياد المتسلطين بطرق اخرى . فهي ، والحال هذه ، ضرورة اجتماعية يدعمها حق الانسان الطبيعي في الحرية .

ويتضح تأثر المراش ببعض كتاب الثورة من شغفه بالطبيعة ودعواته اليها طبيعيا ما يذكرنا بجان جاك روسو اديب فرنسا الكبير (١) .

والمراش عميق التأثر بما وصلت اليه فرنسا من تقدم وارتقاء في سلم المدنية ، يراقبها مدهشة البناء والعمران ، وظواهر الثقافة العالية والعادات الحسنة . وكل هذه المظاهر اخذ يبشر بها ويدعو اليها بني وطنه عقب عودته من ديار الغرب . (٢) .

---

(١) شهري = هامش ٨ = ١٠٥

راجع لهذا ايضا = شهادة الطبيعة ، ورحلة باريس ، ومشهد الاحوال ، وغابة الحق .

(٢) أود ان اشير قبل ان اختتم بحثي عن المراش الى انني عثرت في فهرس المكتبة على عنوان " تاريخ اسكندر ذي القرنين المكدوني " بين كتب المراش . الكتاب مطبوع في المطبعة الوطنية ببيروت (١٨٦٨) بنفقة ملتزميه حنا غرزوزي وسليم نصر وعبده بقي ، وهو مترجم ترجمة كما جاء في المقدمة . فأردت ان أتحقق من نسبة هذا الكتاب الى المراش لا سيما وذكره لم يرد عند من كتبوا عنه . راجعت لهذا الغرض " سركيس " واذا به يذكره في زمرة الكتب المجهول اسماء مؤلفيها = سركيس حرف التاء . وقد حفزني لذلك علمي ان المراش كان يحب التاريخ ويؤمن بفائدته في ارشاد الامة وتوجيهها . وقد ذكر شيئا من هذا في غابة الحق = ٨٢ ـ ٨٣ . رجعت الى مؤلفات المراش جميعها لأتأكد من اسماء ملتزمي طبعها ، فلم اعثر ـ رغم كثرة هؤلاء الملتزمين واختلافهم ـ على هذه الاسماء الثلاثة ـ ويرد في المقدمة بيتان من الشعر فتشت عنهما في ديوان المراش فلم اجدهما بالرغم من ان الديوان قد طبع بعد طبع تاريخ الاسكندر . فلم استطع أن أجزم في أمر ، لكني رجحت ان الكتاب ليس للمراش وان نسبته اليه في فهرس المكتبة كان سهوا حدا اليه تجليده مع مشهد الاحوال ، وتوافق حروف الطباعة في كليهما .

جبرائيل دلال — (١٨٣٦ — ١٨٩٢)

هو جبرائيل بن عبد الله دلال (١) تلقى علومه في عينطوره ، وبعد ستة شهور غادرها الى حلب حيث أنكب على المطالعة بنفسه ودراسة العلوم والفنون العربية . وكان متمكنا من علمي الجغرافية والتاريخ ، والعلم بالخط وفن الموسيقى الذي تعلم منه الكثير ، وفن التصوير الذي درسه قليلا . وكان يحرز حصة حسنة في الرياضيات والفلسفة والطب فكان بهذا أشبه بخزانة للعلوم والمعارف . كان يعرف الفرنسية والايطالية والتركية ، أما العربية فكان له فيها باع طويل عرف بقوة حافظته فيما قرأه منها وأفاد كثيرا من تطوافه في كثير من الاقطار متنقلا بين آسيا واوربا وأفريقيا والاندلس . وفي باريس انتدبته وزارة المعارف لتحرير جريدة الصدى التي كانت تصدر بأمر الحكومة الفرنسية — ١٨٧٧ ، كما أنشأ جريدة السلام في القسطنطينية ، وكان يقول ان الجرائد هي مرآة الكائنات (٢) . وفي فيينا طلبته المدرسة الملكية ليدرس العربية فيها ، ثم عاد الى حلب وعين أستاذا في المكتب الاعدادي . كان ميالا الى الاصلاح ولعل ذلك كان من أثر اختلاطه برجال الفكر في اوربا وقد سببت قصيدته العرش والهيكل غضب أولي الامر عليه فسجن لاجلها سنتين قضى في نهايتهما مأسوفا على أدبه . (٣)

كان بينه وبين أدباء عصره مراسلات ومساجلات له =

١ — قصيدة العرش والهيكل طبعت في مرسيليا (ملحق ١) وطبعت على الحجر في باريس ١٨٦٤ تتألف من ١٥١ بيتا مليئة بالطعن في أرباب الدين المسيحي والملوك المستبدين .

٢ — ديوان شعر جمعه قسطاكي الحمصي طبع في مصر (١٩٠٣)

٣ — رسالة في التاريخ العام غير كاملة .

٤ — رسائل لغوية مخطوطة .

ولم يخلف من الآثار غير ما ذكرت وغيرها نشر في جريدتيه الصدى والسلام .

---

(١) وردت كذلك في كافة المصادر ما عدا شيخو فانه يخطئ اذ يجعله ابن نصر الله ، في حين ان نصر الله هو اخوه   شيخو . الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ = ١٢٩

(٢) طرازي صحافه ١ = ١٤

(٣) الحمصي = ١١ — ١٧   طرازي صحافه ٢ = ٢٣٠ — ٢٣٤ نقلا عما كتبه الحمصي في مقدمة كتاب السحر الحلال . سركيس = حرف الدال . زيدان آداب ٤ = ٢٤٦ — ٢٤٧
المشرق ٩ = (١٩٠٦) ٦٦٩ .

عبدالله المراش — (١٨٣٩ — ١٨٩٩) (١)

تلقى علومه الابتدائية في مدرسة الرهبان الفرنسيسيين في حلب حيث اصاب من اصول اللغة الايطالية قليلا ، وكان قد تأدب على والده فألم ببعض علوم اللغة والخط والحساب • ثم زاول التجارة ولما برز فيها انتدبه جماعة من اكابر تجار حلب لعقد شركة تجارية يقضي بها محلا في منشستر وحينما فتحت قناة السويس ادرك ما ستخسره حلب تجاريا من جراء تحول الطريق الى البصرة اليها فشرع في حل الشركة وتصفية اعمالها وانتقل الى باريس حيث اقام مدة ثم انتقل الى مرسيليا وفيها ادركته الوفاة •

لم تشغل الاعمال التجارية المراش عن المطالعة والتوسع في العلم • فقد " كان كثير الاختلاف الى مكاتب لندرة وباريس يتصفح ما فيها من الاسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطية منها فأدرك حظا وافرا من لغة العرب وتواريخهم وآدابهم وانتسخ منها عدة كتب عزيزة ورسائل اخرى كلها من غرر آثار الاقدمين ونوادر تآليفهم " • ومن الكتب التي استنسخها من باريس يتيمة الدهر للثعالبي ثم عارضها بنسخة لندن واشار الى اماكن الاختلاف بين النسختين • وافاد ايضا من اقامته الطويلة في اوربا حتى قيل عنه انه جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس واريحية العرب •

وساعد المراش باعه الطويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاديان والاخلاق والشرائع المختلفة • مع مشاركته في الطبيعيات والرياضيات والهيئة وغيرها • وجمع الى ذلك كله اطلاعا واسعا على السياسة ودقائقها وترك مقالات ورسائل في صحف ذلك العهد الصادرة في باريس ولندره والقطر المصري بانشا" واضح الاسلوب سلس العبارة اجاد فيه اختيار الالفاظ والمعاني ، وحرصا على البلاغة ودقة التركيب •

وقد أجمع معاصرو عبدالله مراش على استحسان مقالاته التي طرق فيها كافة الأبواب والتي احيا فيما كتبه منها من علم الهيئة الفاظا قديمة ذهبت باكثرها الايام الا ما ابقته الاسفار المحفوظة في خزائن اوربا •

وللمراش ايضا انتقادات لمنشورات المستشرقين منها نقد مطول على ترجمة فرنسية لكتاب مروج الذهب اجمع من قرأه انه كان جزيل الفائدة • الا انه كان يتفادى من ذكر اسمه الصريح في ذيل المقالات التي يكتبها ابتعادا عن الشهرة ورغبة عنها وكل ما بقي له رسالتان = (٢)

---

(١) يذكر شيخو وفاته سنة (١٩٠٠) بينما يجعلها الحمصي (١٨٩٩) والروايتان تحددان ١٧ ك ٢ تاريخا للوفاة

(٢) الحمصي = ١٧ — ٢٠ من مجلة الضيا" • السنة الثانية • ابراهيم اليازجي، الضياء ٢: ٢٤٤-٢٥٢

طرازي • صحافه ٢ = ٢٧٨ — ٢٨١ ويرجح انه نقل من الضيا" ايضا لان المقالة تكاد تكون صورة طبق الاصل من مقالة الحمصي مع ان طرازي لا يذكر ذلك • طرازي خزائن الكتب ٢ = ٦٠٦ — ٦٠٧ شيخو • الاداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ = ٤٣ — ٤٤ ، راجع عن نقده ترجمة مينار لمروج الذهب الضياء ٢: ٤٩١-٤٩٧، ٥٢١-٥٢٥، ٥٥٢-٥٥٩، ٦٢٤-٦٢٧، ٦٨٢-٦٨٧

١ـ فى علم الهيئة وتخطيط الارض •
٢ـ فى الاخلاق والاداب عرب فيها خواطر الدوق دلا رشفوكو •
وقام الى جانب ذلك ايضا بتعريب بعض التآليف الفرنسية • (١)

نصر الله دلال — (١٨٤١ — ١٨٨٣)

هو شقيق جبرائيل دلال المار ذكره • كان يقف على اكثر العلوم العصرية كأخيه واخص بالذكر منها الطب والفلسفة والطبيعيات والادبيات ، ويخوض الى جانب ذلك فى اكثر المعارف • كان يحسن التركية والفرنسية والطليانية (٢) • له مؤلفان =

١ـ أعار التدقيق فى أصول التحقيق • طبع فى بيروت (١٨٨١) (٣)
٢ـ منهاج العلم • طبع في حلب سنة (١٨٦٥)

لم أطلع على الكتاب الاول لانى لم أعثر عليه ، لكن الحمصي يقول ان موضوعه " ضرورة قيام الاحكام فى المجتمع البشرى لدوام عمرانه قياسا على أحوال الممالك الثلاث فى الكون وهي الجماد والنبات والحيوان " •(٤)

و" منهاج العلم " يتألف من ٨٤ ص من الحجم الصغير تقسم العلوم فيه الي مراتب تأتي تحتها أنواع ثم فروع • ففي المرتبة الاولى العلوم الميتافيزيكية ، وفى الثانية التاريخ ، وفى الثالثة الحساب وفي الرابعة علوم الطبيعة ، وفي الخامسة الكيميا ، والتنجيم والسحر ، وفي السادسة علم اللغة ، وفى السابعة مجموع الصنائع •

ثم يحدد فوائد العلم فيقول ان " الانسان المتربي بالعلم يتوسع عقله وتأخذ افكاره في ابداع وتكميل كلما يحوط بخير العموم والخصوص " (٥) ويشبه الهيئة الاجتماعية التي لم يتثقف افراده بالعلوم بالوحوش الضارية ، ويضرب على ذلك مثلا سكان امريكا قبل ان يكتشفها كولومبوس •

" فمما تقدم جميعه نستنتج كيف أن العلوم لها تأثير كلي على الجنس البشرى من حيث الاقدام وهي ضرورية لسلمه ولا يمكنه ان يستغني عنها حتى انه بدونها يكون في كل دقيقة معرضا للاضمحلال والتبدل •

---

(١) شيخو • تاريخ الاداب العربية فى الربع الاول من القرن العشرين = ٢٠
(٢) الحمصي = ٥٩ — ٦٠ المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٦٩ شيخو
(٣) جاء فى سركيس ان اسم الكتاب اعار التوفيق ••• طبع في بيروت (١٨٨٢)
(٤) الحمصي = ٦٠
(٥) منهاج العلم = ٢٧

وكيف انها تقود الانسان ادبيا الى التمدن الذى قام به نجاح العالم " (١)

" اما الجهل فهو الذى يجعل الانسان يكابد " آلاما وعذابات باطنية شديدة الحرارة من قبل الاضطرابات الدايمة والانفعالات النفسانية التى تجعله تعيسا مدى حيوته لانه لجهله التزاماته وحقوقه نحو نفسه ونحو البشر ثم ولعدم معرفته القواعد التى تجعل الانسان ان يتبع الخير ويجتنب الشر تقوى فيه الاميال الحيوانية العديمة الشبع . " (٢)

اما " التمدن فيعرف باتساع قوى الانسان فى نجاح الهيئة الاجتماعية وذلك بتحسين سيرته طبيعيا وأدبيا ومن ذلك ينتج الفوايد العامة والخاصة للجنس البشرى . اما الفوايد العامة من التمدن فهي أنه يجعل الانسان أن يتبع كل طريقة تجرى نفعا لنظرايه مجتهدا في كما يأول للخير العام .. اذ يتمسك فى كل المبادى الصالحة المبنية على قيام وامتداد ونظام الهيئة الاجتماعية كالعدل والمحبة والحقانية والخلوص . وبساطة الصفات والاحتشام والتلطف مع كل احد " واما الفوائد الخاصة فهي التي تعزيه وسط اكدار الحياة وشقائها وتسمو به الى المرتبة العليا من الكمال ومن السعادة الانسانية .(٣)

ويستمر المؤلف على هذا النحو من الاشادة بفضل العلم ومركز المتعلم مستشهدا بالتاريخ الذى لو تأملنا فيه — كما يقول — بين احوال البشر الحاضرة والماضية لرأينا ان نسبة نجاح الأمم هي بنجاحها فى العلوم والآداب وباجتهادها فى الوصول الى سعة العيش ونظامه . (٤) ولعل الدلال يعجب كل العجب بمدنية اوربا ورقيها وصيرورتها المركز المحرك للعالم ، هذا المركز الذى تبوأته بسبب اجتهادها فى العلوم . (٥)

والفصل الثالث يقطعه فى وصف لذات العلم الروحية ، اما الرابع فيتحدث فيه عن ضرورة تعليم النساء " ويقول في هذا " ان النسا يلزمهن ان يحصلن نظير الرجال على كل المريدات للمعارف لكي يصلحن لحفظ اشخاصهن وحفظ النوع اذ يعادلن الرجال فى تحسين الهيئة الاجتماعية والنجاح البشرى لكونهن شريكا تهم فى كل الاحوال . ولهن واجبات أدبية كبيرة التى لأجل معرفتها واتمامها يجب أن تعتني بتعليمهن " . (٦) لكن الدلال يرى تبعا لاختلاف وظائف الجنسين ، ان يحدد كل منهم لما يتناسب مع وظيفته الطبيعية ، على ألا يفهم من هذا وجوب اقتصار تعليم المرأة على أمور الخدمة فقط بل هو " يدل على كونها شريكة الرجل ورفيقته لا اداة لتنفيذ اوامره وسلطته (٧) . فيرى مثلا وجوب تعليمها لغتها

---

(١) منهاج العلم = ٣٠ — ٣١
(٢) المصدر نفسه = ٤٥ — ٤٦
(٣) " " = ٣١ — ٣٢
(٤) " " = ٤٨ — ٤٩
(٥) " " = ٥٤ — ٥٥
(٦) " " = ٦٢
(٧) " " = ٦٧ — ٦٨

باعتنان لكي تحسن التعبير عن أفكارها بوضوح ، وشيئا من التاريخ بدء علها لأن لا تستمع الى الخرافات والأقاصيص الوهمية بما يبث في اطفالها افكارا طالحة وشيئا جدة واخلاقا حسنة ترفع مجتمعها وتهذب نشأها . ويتضح من كتاباته أنه من انصار تعليم المرأة ، اذ يسترسل في وصف أمر المرأة الجاهلة في نفسها وفي جماعتها (١) .

الخوري ميخائيل دلال — (٢) (١٨٥٠ — ١٨٩٤)

يقول عنه الحمصي أنه " ركن من أركان العلم .. كان ثقة اماما في كثير من علوم اللسان ، كالنحو والصرف والعروض والبيان " . درس في دير الشرفة بلبنان ، ثم عاد الى حلب وسيم شماسا ودرّس في مدرسة طائفته السريانية وغيرها . كان يستعين به فرنسيس مراش بعد فقد بصره في الكتابة . وكان المراش عصبي المزاج حاد الطبع ، والشماس على عكس ذلك من طول الاناة ، فكان مجلسهما لا يخلو من فكاهات مضحكة اذ كان الشماس يفند اخطاء المراش بصراحة لا بتصريح او تورية كأن يقول " هذا معنا عند الحريري في درة الغواص " فيرشق المراش الحريري رشقات قاسية مريرة ، فيجيب الشماس قائلا " والقاعدة في جوف الفرا مخالف ما قلت فيبعث المراش الى جوف الشماس بما لا يرى عليه جوابا غير الابلاس " ثم يحمد الشماس قائلا = وهل سببك وشتمك يصير قاعدة ؟ ؟ فيضحك المراش اذ يسمع ضحك الاخرين . (٣)

أشعاره قليلة واكثرها في الزهد . اما كتبه فهي =

١ — كشف البأساء في قصة الخرساء . وهي رواية عربها عن الفرنسية . لم اطلع عليها .

٢ — الفتح العاطر في قصة الفتى المهاجر . رواية طبعت في بيروت (١٨٩٠) وهي معربة ايضا عن الفرنسية ويبدو من مقدمتها أن غاية تأليفها دينية تدعو الى " التعلم عن صغر قواعد الدين والعمل بها . وحسن الثقة بالله والاتكال عليه وحده عند حلول النوائب والاقرار بعنايته واصطناع الخير الى القريب .. حتى الى عدوه ينها الغيرة على زرع هذه المبادىء الجليلة في عقول الصغار حتى اذا تأصلت ونمت أتت باحسن الثمار . وكانت لهم خير دليل الى أقوم سبيل . وأمت الانسانية . والهيئة الاجتماعية رجالا على الوطن غيورين . وفي اقوالهم واعمالهم ديّنين . شأنهم عمل الخير والاحسان واطراح الشر والبهتان "

٣ — احسان الانسان وانسان الاحسان . وهي رواية مخطوطة معربة عن الفرنسية ، غايتها دينية ايضا

---

(١) منهاج العلم = ٦٨ — ٧١

(٢) ورد الاسم كذلك على كتبه وفي مقدمة رواية احسان الانسان المخطوطة " اما بعد فيقول العبد اللائذ بربه المتكال القس ميخائيل بن انطون بن يوحنا دلال " وفي المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٩٨ لشيخو اما الحمصي في ادباء حلب فيسميه " جرجس الدلالة او الدلال " = ١٠٣

(٣) الحمصي = ١٠٣ — ١٠٤

كما يتضح من مقدمتها " .. أنه لما أغلب شبان هذا العصر قد تهافتوا على ما به فساد الدين والعمر .. فمنهم من ابتذل قواعد الدين وأحكامه واعرض عنها الى ترهات لا تجديه سوى الندامة فأتخذ الريا ديدنا لاقواله والخبث دليلا لافعاله حتى تفاخر بما ساء منه الاعمال وبعد عنه ما يهديه الى الكمال فكسدت لديه الفضيلة وراجت الرذيلة .. "

وقد اطلق على هذه الرواية أسم احسان الانسان وانسان الاحسان " طبقا لما حوته من البصائر والعبر الحسان .. "

القس اوغسطين عازار — (؟ — ١٨٨٨)

هو شاعر في الدرجة الأولى ، ذو قريحة فياضة كما يروى عنه الا أن شعره لا يخلو من سقطات (١) له من الكتب =

١ — خلاصة المعرفة في اخص قضايا الفلسفة • طبع في بيروت (١٨٨٦) القسم الاول منه ٨٦ ص من الحجم المتوسط ويشتمل على ماهية الفلسفة وموضوعها وعلاقتها مع باقي العلوم كالرياضيات والطبيعيات والتاريخ ، وتقسيمها الى علم المنطق ، وما وراء الطبيعة ، وعلم الادب • ويبحث كذلك في تاريخ الفلسفة = في العهد القديم ، ثم في زمن العبرانيين ، ثم الهنود والصينيين والفرس والمصريين واليونانيين قبل سقراط وبعده ، والرومانيين ثم يستعرض الفلسفة الحديثة من عهد باكون وديكارت وباسكال وغيرهم

اما القسم الثاني من الكتاب فيشتمل على اربع مقالات في القضايا المنطقية والنفسية واللاهوتية والادبية •

وعلاقة الفلسفة بالتاريخ كما يراها القس في كونها " تضع اس التاريخ وذلك بمبادئها تأكيد شهادة البشر وتعلم المؤرخ ان يميز الصدق من الكذب والحق من الباطل بحقائق الشهادات المختلفة وتساعده على استقصاء واستقراء الحوادث بواسطة علم العناية الالهية والحرية البشرية وترشده الى معرفة ادبية الحوادث والنتائج العملية التي يمكن استحصالها منها " (٢)

٢ — الأدلة النظرية في وحدة النفس البشرية • طبع في حلب (١٨٨٦) •

وهو كتاب ديني تطغى عليه الصبغة الفلسفية ففي فصله الأول يتحدث عن ماهية الحياة فيقول بانها " قوة فاعلية يتحرك بها الكائن نفسه " (٣) ويأتي في ثانيه على وصف درجات الحياة التي هي

---

(١) الحمصي = ٦٢ — ٦٤ المشرق ٩ (١٩٠٦) ٦٩٨ شيخو
(٢) خلاصة المعرفة = ٣
(٣) الادلة النظرية = ٦

ثلاث = حياة نامية ، وحياة حساسة ، وحياة عاقلة ، الاولى تخص الانسان والحيوان والنبات ، والثانية تتعلق بالانسان والحيوان ، والثالثة بالانسان فقط • (١)

والفصل الثالث يبحث في وحدة النفس البشرية " وهو موضوع لتفنيد ضلال اولئك القائلين بانه توجد في الانسان انفس كثيرة ، مستدعيا كذلك بدلائل كثيرة وفقا اقوال الفلاسفة الاقدمين " • ويلي ذلك خطاب في حقيقة التمدن ، ويقسمه الى اركان ، فالركن الاول منه الدين وفيه يخالف اولئك الذين يقولون ان التمدن قائم على العلوم الطبيعية والمعارف البشرية مخالين الحقائق الالهية والوسائل الدينية ، قائلا " عزوت العلوم الطبيعية واعرضت عن المبادئ الدينية كانت منشأ الافات والشرور الملمة وينبوع الاضاليل والمفاسد المدلهمة • (٢) ولا يستبعد ذلك من رجل ديني لا ينظر الى الاشياء الا بمنظار الدين ••

والركن الثاني هو العلم • وفيه يعترف بفوائد العلم وانواعه وما اصبح له من " المقام الرفيع في عالم المدنية وما لفوائده من الصلاحية لتهذيب العقول والقلوب الانسانية " اما غاية هذه العلوم جميعا من رياضية وطبيعية فهي لـ " ترقي العقل الى ما فوق الهيولي " لكي ينصرف من حب المخلوق الى حب الخالق ، " وتنهض من حمأة الارضيات الى صفا كوثر الابديات " • والعلوم الفلسفية في رأيه هي اساس كل العلوم وتفرعاتها لانها تهدي الانسان بالمنطق " الى معرفة مبادئ وقواعد العقل فيفرق بين الحق والباطل " • (٣)

وهو يتخوف على أمته من الجهل الذي هو " الآفة الكبرى لنقض اساس كل مدنية وتهذيب وجرثومة كل فساد وتوحش رهيب " الذي به تأخرت بلاده " الشرقية " نسبة لما تزينت به البلاد الاوروبية من علوم ومعارف • (٤)

(٣ـ رواية ايفيجني الشهيرة (٥) تأليف الشاعر الفرنسي جان راسين • ترجمت الى العربية (١٨٨٦) ومثلت في السنة نفسها في المدرسة المارونية • وهي كراس مخطوط يتألف من ١٤١ ص تدور حوادثها حول حلم ملك اقلقها واقلق زوجها الذي استدعى المفسرين وهددهم • ولما خاف هؤلاء بطش الملك وانقضت الفترة التي حددها لهم وهي ثلاثة ايام ، قرروا تفسير نصف الحلم بالخير ونصفه بالشر • (٦)

---

(١) الادلة العقلية = ٧ ـ ٨

(٢) المصدر نفسه = ٣٥

(٣) " " = ٥٢ ـ ٥٥

(٤) " " = ٥٥ ـ ٥٦

(٥) لم يذكرها الحمصي في كتابه ادباء حلب

(٦) ظهر من عائلة عازار شخص اخر يدعى بولس له مخطوطان الاول يسمى " سر اللبابة في فن الخطابة " وفيه يبين واجبات الخطيب وبلاغته وعلمه الذي يجب ان يتقن فيه بصورة خاصة المنطق والنحو والبيان ليستنبط ما هو عائد الى اقناع العقل • كما يتحدث في محاسن الفاصحة وعيوبها وانواعها ، وفي انتخاب البراهين وترتيبها وارتباطها ، ثم في الفاصلة والصوت البلاغي وهكذا • اما مخطوط " العرق الاخضر في رهبة المنبر " ففيه يتحدث عن اقسام البلاغة مستعرضا اقوال الفلاسفة الاقدمين الا انه يفصل في البلاغة الكنسية ، وواجبات الواعظ وعلمه وهذه هي غاية المخطوط •

مريانا مراش — (١٨٤٨ — ١٩١٩)

نشأت مريانا في بيت عريق في العلم والادب ، فابوها فتح الله رجل عالم غني بالمطالعة واقتني الكتب • واخواها عبدالله وفرنسيس قد عرفا بين أهل الفضل والفصاحة • فتربت مريانا على " مهاد الذكا ° والمعرفة " = دخلت المدرسة المارونية ثم مار يوسف ، فدرست العربية والحساب والفرنسية وبعض العلوم واكمل والدها ما نقصها من صرف ونحو وعروض ، فاحتلت بذلك مكانة ممتازة بين سيدات عصرها لاسيما وقد سافرت الى اوربا وعادت منها بعد ان تفهمت روح التمدن الحديث واعجبت باخلاق الاوربيين وعاداتهم فاخذت تدعو بنات جنسها الى التشبه بها وكان بيتها بعد ان تزوجت ناديا يضم اهل الفضل من عشاق العلوم والاداب • (١)

ومريانا احد شهيرات الشاعرات وأول سيدة عربية كتبت بالصحف مقالات متنوعة " انتقدت فيها عادات معاصراتها وحضتهن على التريض بالعلم والتحلي بالادب " وكانت تشعر بنقص اختها المرأة في هذا المضمار فارادت سد ادة بدعوتها الى الشروع في الكتابة وترغيبها فيها • ولعلها كانت تشعر بما بلغه انشا ° العصر من ركاكة وضعف فانشأت مقالة خاصة بعنوان " جنون القلم " شكت فيه " انحطاط الكتاب وحرضت على تحسين الانشا ° وترقية المواضيع والتفنن فيها • " وكانت تنشر في الجنان ولسان الحال وغيرهما (٢)

ولمريانا ديوان شعري عنوانه " بنت فكر " طبع في بيروت (١٨٩٣) وهو ٣٠ ص بحجم متوسط افتتحته بقصيدة مدح للسلطان عبد الحميد • والديوان غني به قصائد المديح والرثا ° واكثر هذه الاخيرة في اخيها فرنسيس •

ميخائيل صقال — (١٨٥٢ — ١٩٣٧)

ولد في مالطة حيث كان ابوه ثم عاد معه طفلا الى حلب • درس العربية فاصاب بها سهما عاليا حتى اصبح يعد في طليعة اهل الادب لكثرة تدقيقه وتنقيبه في اصول اللغة وشواردها • اخذ العلم عن ابيه كما اخذ عنه السليقة الشعرية ، حتى قيل انه نظم الشعر في السادسة عشرة من عمره واصبح شاعرا مجيدا طويل النفس • امتاز بوفرة ذكائه وصحة مداركه وبما تحلت به نفسه من العواطف الانسانية الخالصة وغلب على شعره مسحة التشاؤم اذ كان يجد العالم مسرحا للمآثم والشرور والاوصاب •

---

(١) الحمصي = ٤٢

(٢) طرازي صحافه ٢ = ٢٤١ — ٢٤٢

تعاطى التدريس مدة ثم اهمله لكثرة ما عيّره به الناس فهم يعدونها "(صناعة) دنيئة تحط من قدر صاحبها " وهيئة التعليم في نظره " من اشرف المهن واعلاها منزلة ولكن الناس لا يعلمون • فان الاستاذ الصادق يهذب الاخلاق ويؤدب النفوس ويعد للمستقبل رجالا صالحين مثقفين يدخلون المجتمع الانساني فيطعمونه بمعارفهم وآدابهم " (١) وتعاطى بعد ذلك المحاماة ، وكان يرافع عن الحقوق والمصالح الاجنبية • ارتحل الى مصر سنة ١٨٩٦ واصدر هناك مجلة الاجيال المصورة سنة ونصف سنة ثم عاد الى حلب (٢) • ومجلة الاجيال هذه اول مجلة مصورة ظهرت في العربية (٣) •

حدثني الدكتور انطونيو صقال ان أباه كان حر التفكير ، بعيدا عن التعصب الديني ، وكان يبيح حرية المرأة ويعترف بحقوقها في الحياة اما كتبه فهي =

١ـ كتاب العبر نظمه بعد حوادث سنة ١٩٠٩ ، وهو من الشعر المصري الحديث تتجاوز الخمسمائة بيتا • طبع في حلب (١٩١١) وجرى فيه مجرى الشعر القصصي معربا عن أحوال الكون ومعتقداته وشؤون الشرق وعاداته وأمور الدنيا وادوار الحياة • كل ذلك بشكل رواية غرامية تهذيبية ضمنها الحكم والنصائح والعظات • ومن بعضها يطالع خلالها آراء الشاعر في نواح مختلفة من الحياة • فالدين في شرعه هدى للصالحين وحد لسعادة البشر ورفاههم ، وهو ليس طقوسا ومراسيم ترد د بالفاظ وحركات بل هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر • ويجب ان يسيطر العقل والعلم على كل مرافق الحياة لكي يخلص من الخرافات والاوهام ويبتعد السياسيون عن اراقة الدماء متسترين باسم الدين • (٤) ثم يعود فيقول ان آفة الدين الكبرى هي الاختلافات والفرق يذكيها الرؤساء ويفسرون آيات الدين بما توحي اليهم اهواؤهم ، فتجرى الخدائع بين الناس باسم الدين وهو عنها بعيد ، لانه ليس الا تسكين النفوس بالعدل والاحسان والتعزيــــه • (٥) وهو في كتابه يستنهض الشرق من غفلته فيدعوه الى هجر الرقاد والخمول والبلادة مستشهدا بفطاريسة وسادات الشرق الاقدمين (٦) الذين يجب ان نمثل اعمالهم دون ان نسرف في ذكرهم ، لان كثرة عنايتنا بالماضي واشادتنا فيه قد اخرتنا دهرا بينما يشيد الغرب مستقبله ولهذا ساد وارتفع (٧) • فيا ايها الموسرون هبوا ونشطوا الصناعات وساعدوا اهل الفضل من علمائكم على رفعكم كما فعل الغرب • (٨)

---

(١) لطائف السمر • من ترجمة حياته كما وردت بقلمه = ٤

(٢) الحمصي = ١١١ ــ ١١٤ سركيس = حرف الصاد مجلة الكلمة ١٢ نيسان (١٩٣٧) عدد ٤ عبد الله يوركي حلاق الكلمة ٧ (آب وايلول ١٩٣٢) الميزان ٨ و ٩ الضاد ٧ (شباط ١٩٣٧) عدد ٢ عبد الله يوركي حلاق •

(٣) الحمصي = ١١١

(٤) العبر = ٤ ــ ٩

(٥) المصدر نفسه = ١٣ ــ ١٩

(٦) " " = ١٤ ــ ١٥

(٧) " " = ٢٤

(٨) " " = ٢٣ ــ ٢٤

٢ـ ديوان شعر مؤلف من اربعة اجزاء صدر منها الجزء الاول فقط ، طبع في حلب (١٩٢٥) وهو مرتب على القوافي . شعره فيه رقيق سلس ينساب بلطف الى الاذن والقلب اما المخطوط منه فقد اطلعت عليه في مكتبة ابنه ، وهو يجري فيه مجرى كتاب المبشر تقريبا ، اذ يضع التبعة على ايمان المرء ونيته الداخلي لا على صومه وصلواته (١) . ويرى انه يجب اجتثاث الاحقاد والضغائن من قلوب اهل المذاهب لكي تصفو الحياة ويتساوى الناس في الدين وحقيقته . وهو في شعره يكره الحروب . ويضع التبعة على وجوب تعليم المرأة .

٣ـ لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر او الغاية في البداءة والنهاية . طبع في مصر (١٩٠٧) وفي حلب (١٩١١) (٢) وهو ٢٨٤ ص من الحجم الكبير . رشيق الاسلوب ، قوي التركيب ، يشرح مفرداته اللغوية الكثيرة في الهوامش . والكتاب كرواية خيالية قصص له والده فيها ما يجري في العالم الاخر ، ويصف له ذلك العالم بما فيه من مدن وطرق ومدنيات ، مع مقارنة بينها وبين ما في العالم الارضي . ضمّن الكتاب كثيرا من النصائح الادبية والفوائد الجليلة اذ يتحدث عن النشاطات والعبادات والاديان والاحكام الحقوقية والتربية وواجبات الوالدين ومدارس وعلوم سكان الزهرة ، وعن المعلمين واللغة والمطابع والنساء والشعراء والحب والمنتديات والاطباء والمسكرات والعفاف والاختلاط والمعاشرة والرقص وزينة السيدات واختيار الزوجات . وعن الخطبة والمهر وطبقة العباد والتجارة والاصدقاء . واخيرا يتحدث عن وجود الله وتوحيد الاديان ويرد على من يقول ان الاديان قوانين وضعها عقلاء البشر . ثم آراء في المجوسية والوثنية والقصص والشعراء وغير ذلك كثير . ولأجمل الآن رأي المقال في بعض هذه الاشياء =

ففي العبادة يقول ان الله يريد من كل عبد قلبه ، وان على ابواب معابد العالم الاخر يقرأ الداخل كلمة " الله " مكتوبة على لوح .. ويقرأ ايضا تحت هذه الكلمة الجليلة كلمات العبادة الاربع = المحبة ... الصدق ... العفة ... التواضع .. " (٣)

وفي التربية وواجبات الوالدين يحذر من هز سرير الطفل النائم لما ينجم عن ذلك من اخطار جسيمة ، فان الاهتزاز يؤثر في اعصابه ويحدث له القيء وغير ذلك (٤) . وان على الوالدين ان يتهذبا " قبل ان يأخذا في تهذيب ابنهما = ليكونا امامه شخصين راقيين يدعون ..

---

(١) المخطوط غير مرقم الصفحات

(٢) يذكره الحمصي في ادباء حلب باسم لطائف السمر = ١١٢

(٣) لطائف السمر = ٤١ ـ ٤٢

(٤) المصدر نفسه = ٩٦

ليجعلنا ايضا الصغير والمعيب والصديد لنساء يتكاشفنا ثان الوالد كالبغا يحكي غيره الحديث ويحاكي سواه " ولذا ينصح بتدريس التربية التي يجب ان تكون علما قائما بذاتها لكي ينال الانسان السعادة لنفسه واهله والمجتمع • (١)

وفي اللغة •• يرى ما وصلت اليه العربية من ضعف ناجم من تعلم التلميذ عدة لغات في وقت واحد فيخرج من المدرسة وهو لم يتقن لغته ولم يحسن اللغات الاخرى • ولولم تكن العربية لغة الدين لانقرضت منذ اجيال كما انقرضت القبطية ولهذا ينصح بتأليف " جمعية علمية لها رجالها في جميع البلاد العربية الشهيرة يرجع اليها في كشف المغلقات وفي الترجمة والتعريب " لأنّ لغتنا اصبحت قاصرة عن ان تستوعب مصطلحات اللغات الاجنبية ومفردات العلوم العصرية • وليس بالامكان ان يترك لكل فرد امر اختيار الكلمات حسب معرفته واجتهاده ، ولو فعل ذلك لانكرها عليه مسار وعابه حاسد (٢) • ولعله يتقدم على وجود الحروف الحلقية في اللغة وكثرة المترادفات المطلقة للمعنى الواحد الذ يعرض لهذا بصورة لطيفة كما يعرض بكتب اللغة القديمة لما فيها من شروح ونقول وآراء واقوال وروايات وحكايات مطلة متناقضة ، يضيق بها الصدر ويعيى بها المرء وقد كان باستطاعته ان ينشئ رسالة ادبية في الوقت الذي يستغرقه فيه تصفح جملة (٣) • ولعل ميل الصقال الى وجوب تدريس لغة واحدة لا اكثر هو ان تعدد اللغات ، يحدث البلبلة والتباين في العادات والغايات والاهواء والمآرب فيبدو الاختلاف بين الخليقة فينشأ الخصام فيعم البغضاء وهناك البلاء بل هناك الطامة الكبرى والطامة العظمى (٤) • "

ويحن الصقال الى اختراع آلات طابعة تعم المطابع وتنقل باسرع من لمح البصر ما يترليه امامها الرجل الواقف بحروف جلية واضحة ينبعث منها من خلال السطور نور لطيف يساعد ضعاف البصر • (٥)

ولا يكره كاتبنا شيئاقدر كرهه للمرأة الجاهلة واشمئزازه منها (٦) وهو يخاطبها قائلا " يا ايتها المرأة انك لعظيمة اعلم ما تعلمين • لقد هابك الرجل الاول فذلك اما الان وقد علمت كيف تسودين فلماذا لا تعلمين • تعلمي ليرى الرجال عظمتك • ليرى الرجال منك عظمة مزينة بالعصمة الخالصة السالمة من شائبة التعقل والطل وهم يحتاجون الى الفتيات فتقوى قلوبهم بك ويحترمونك " (٧)

---

(١) لطائف السمر = ١٠١ — ١٠٤
(٢) المصدر نفسه = ١٠٧
(٣) " " = ١١٣ — ١١٩
(٤) " " = ١١٩ — ١٢٠
(٥) " " = ١٢٤
(٦) " " راجع = ١٢٤
(٧) " " = ١٢٥

والصفار يكره الاختلاط والمعاشرة بين النساء والرجال ويكره التزين والرقص " ان الفرنسية لا تظهر للرجال ما تخفي من محاسنها بما تتخذه من الشفوف التي لا تحجبها فاذا اظهرته فقد صونتهم .. ان المرأة الحسناء الحركة الحاذقة لا تتزين بالحلي الكثيرة التي هي زينة الصغيرات الضعيفات العقول بل تتزين بالمزايا والفضائل " (١) وهو يكره الرقص وما يرافقه من ظواهر الحضارة الغربية . " وما للمصيبة " من أن يشوق الرجال الى بعضهن لملاطفتهن ومعانقتهن ومحادثتهن " والبلاء الاعظم ان الرجل الذي لم يعتد الى هذا الفن الحديث يحسب في هذا الزمان متوحشا او يقولون عنه هذا الرجل خشن قديم العقل غير متمدن وهذا عجب . (٢) "

ويغالي الصفار في تصوير خطورة الاختلاط وضرره على الرجل والمرأة اذ يسلب المرأة الراحة والامن ويسلب الرجل السياسة والاستقرار ، وهو جناية اجتماعية كبيرة تسببت الى اجتماعات القوم وليالي افراحهم فكانها بها " التمدن الفرنجي الحديث " . " لقد صرت اليكم على كثيرة من امثالكم على التمدن الفرنجي وعكستم ابدانكم حتى ازيفت واجتمع عليكم شقاء هذا الرقص الذي يسمونه بحكم بالمخاصرة " . (٣)

ويحذر الى جانب هذا من ارتداء النساء الملابس الفرنجية ، ويقضي بالملائمة على الرجال الذين يصحبونهن امامهم ليتفرجوا عليها . ويرى - وهو في هذا محق - انه يجب تشجيع مصنوعات البلاد فان الامة " التي لا تقوم بحاجاتها هي قاصرة وعاجزة والامة التي تقدر على اللوازم ما تحتاج اليه فلا تقوم به بل تصدره بذاتها منه وتعدها الى امة غيرها هي جاهلة تستحق ما يصيب لها من الفقر والعوز وتبعد من العمران والارتقاء في معاريج الفلاح " . (٤)

وما الطلاء والخضاب في رأيه الا مزوقات سريعة الزوال لان على المرأة ان تزين عقلها بالعلوم والمعارف وتهذيب النفس وتثقيفه ، وتحلي قلبها بالمحبة والصدق والعفة " وتخضب يديها بالخياطة والطبخ وترتيب البيت ، وتكحل عينيها بردها عن المناظر التي تشينها (٥) .

اما اختيار الزوجة فيجب ان يعتمد في رأيه على الكمال الصفات العقلية والنفسية . (٦)

---

(١) لطائف السمر = ١٧٦
(٢) المصدر نفسه = ١٧٧
(٣) " " = ١٧٨ - ١٨٠
(٤) " " = ١٨٤
(٥) " " = ١٩٢ - ١٩٣
(٦) " " راجع ١٩٩

وهو يضع التبعة على وجوب عناية المرأة بالتربية لتخرج نشئا صالحا كريم الطباع (١) . ويكون نعمى وطوبى لزوجها وبيتها والسعادة الارضية كلها .

ولا يفوت العطار معالجة المسائل العاطفية والخصوصية . وهو لا ينهى عن الحب لكنه ينهى عن الغرام الذى يعمى بصيرة الفتى فيلهيه عن مصالحه ويغويه ويضله (٢) . ومدة الخطبة فى نظره يجب ان لا تتجاوز الشهور الثلاثة يقدم خلالها الخطيب هدية الى خطيبته من عمل يديه ان كان من ارباب الصناعات ، او ثمارا او حبوبا فاكهة ان كان من المشتغلين بالزراعة ، او كتابا يؤلفه ان كان من الكتاب ، وهكذا على الا تخرج معها العروس سوى ثوبين ترتدى احدهما وتلبس الاخر على التعاقب (٣) . ويردع الرجال عن ارتياد المقاهى والتلهي عن بيوتهم وازواجهم ومن اللهو . (٤) .

والعطار يحض على احترام العلماء لانهم هم الذين يهذبون الاخلاق ، ويدرأون الاعداء ، ويرشدون الى الخير والنجاح واذا " رايت عالما فقيرا فى مدينة فاستدل بفقره على جهل اهلها . (٥) لكنه يحظر على الشعراء المعتوهين القاء شعرهم على الناس لكي لا تفسد لغة حافظيه ، بل يجب على الشاعر الذى يتوسم من نفسه المقدرة على النظم ان يعرض انتاجه على الندوة الشعرية فان اقرته اجازته وعينت له الحقل الذى يجب ان ينظم فيه (٦) . وهكذا يقيد الشعراء . ولعل اذنه قد سئمت من سماع ركيك الشعر وضعيفه فى تلك الايام ..

ويوصي بمنع المسكرات وتجريد المرتكبين من الحقوق المدنية (٧) . ويضع قوانين للتجارة وتحديد الاسعار (٨) .

ثم يعود الى تعدد الاديان وهي قضية حساسة عنده يرى فيها وبال هذه الامة وشرورها . ويرتأى فى النهاية توحيد الاديان ، وهو يرى ان ذلك ممكن " غير انه لا بد بعد ذلك من تأليف مجمع عام يجمعون فيه على تعظيم وتبجيل الانبياء والرسل ثم يتفقون على تلخيص عادل ينظر فيه الى احوال الزمان وتقلباته فى كل وقت فيعبد الناس كلهم الله تعالى بكلمة واحدة

---

(١) لطائف السمر = راجع ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥
(٢) المصدر نفسه = ١٦٢
(٣) " " = ٢٠١ - ٢٠٢
(٤) " " = ١٦٢
(٥) " " = ١٣٦
(٦) " " = ١٤٣ - ١٤٤
(٧) " " = ١٧٣
(٨) " " = ٢١٨

حالة كونهم يعبدونه وهم متفرقون متشتتون ، فهل يختلف احد فى تفضيل الاجتماع على التفرق والوفاق على الخلاف والقوة على الضعف " (١) . وهو لا يوافق من يدعي ان الاديان قوانين وضعها عقلاء البشر لان هذه " المحبة الفائقة المجردة عن رغبة في فائدة وقصد يتعلم بهما في الارض ليست بمحبة بشرية ارضية تصدر عن حقوق انسانية وحالة انسانية وقابيلة انسانية بل هي لا تصدر الا عن قوة عالية سامية الهية يؤيدها الله سبحانه وتعالى " (٢)

اما المجوسية والوثنية فقد كان قصد واضعيها ان يعبد البشر الله ويكفوا عن المعاصي الا انها انقلبت وثنية محضة لان " الشعوب القديمة لم تكن تؤمن الا بما يقع تحت حواسها . " (٣)

واما القصص فقد اراد القائلون به تهديد الناس وتخويفهم انه " يكره لديهم ان تحل ارواحهم في جسوم الحيوان وارادوا ايضا ان يصونوا الحيوان عن جور الانسان رحمة منهم فيرفق به ويحسن اليه " . (٤)

٣ـ كتاب طرائف القديم فى تاريخ حلب القديم . هو مخطوط ضخم في ٨٥٣ ص من الحكم المتوسط مكتوب بخط وضوح . الجزء الاول يبحث فى تاريخ الشهباء القديم قبل العهد المسيحي فيتكلم عن الانسان القديم ، وعن حلب واسمائها وتخومها واسوارها ولغاتها ..

والصقال كما يعبد ويحب التاريخ ويرى فيه رقي الامة ومجدها لا سيما اذا ازالت منه الخرافات وبعدت عنه حكايات عجائز الحي ، فيصفو ويخلص من الشوائب ويكون عونا على عظيم نحو الامجاد. (٥) . وهو يعجب العجب كله من امة اهملت تاريخها وانقلبت الى الاوربيين تلتمسه منهم وتقول لهم " ردوا علينا مجد آبائنا " . (٦)

وهو يقيد المؤرخ بشروط وقواعد يؤيدها علم التاريخ الحديث فيقول مثلا " اني لاعجب للمؤرخين الذين لا يرجعون في تواريخهم الى حجج ولا يبنون رواياتهم على براهين فلا يدققون ولا يحققون بل ينقلون ما يسمعونه من دون تأمل ولا تروٍ وهم مع هذا يلفقون الاعلام ويتلون فيها كما تشاء قرائحهم ويخلطون بعضها ببعض حتى تختفي مسمياتها على القارئين ؟.. ولا يجوز لمؤرخ ان ينقل حديثا الا عن محقق ذي حجة راجحة اما احاديث زمانه فيجب عليه ان ينقلها بأمانة غير مبالغ فيها ولا مختصر في روايتها لتزول الشبهة ولا يجوز للمؤرخ ان يخص تاريخ امة لم تكن على دينه . وبهذا القدر كفاية .. " (٧) .

---

(١) لطائف السمر = ٢٤٣
(٢) المصدر نفسه = ٢٤٧
(٣) " " = ٢٤٨
(٤) " " = ٢٤٩
(٥) طرائف القديم = ١١
(٦) المصدر نفسه = ٢
(٧) " " ملحق ص = ٣

وهوفي تاريخه مدقق واضح الحجة ، محق الفصول بحتار بطابع خاص وهو امانة النقل فيستشهد بالجرائد والمجلات العلمية التي تعرض الاكتشافات الحديثة والتي تلقي ضوءًا على التاريخ القديم ، مع ذكر عدد المجلة او الجريدة وسنتها ورقم الصفحة احيانا (١) ويفعل الشيء نفسه فيما يتعلق بالكتب التي يقتبس منها فيذكر محل الطباعة وسنتها في الهامش لكنه يعتمد في الدرجة الاولى على الدر المنتخب (٢)

والجزء الثاني من الكتاب يسمى " لطائف الحديث في تاريخ حلب الحديث " وهو خط بيده يقع في جزءين . الاول ٤٦٢ ص ، والثاني ٢٥٦ ص .

يبدأ تاريخه في الكلام عن الملوك الرومانيين . ويتحدث عن المسيحية وتاريخها في حلب ببحث مستفيض ، ويبين الجوامع التي اصلها كنائس، ويعدد اساقفة حلب وقديسيها وقديساتها وهكذا . ولا يهمل شعراء حلب كابي فراس والمتنبي وغيرهم . وفي اخر الجزء الثاني صفحة بخط ولده الدكتور انطوني تشير الى جمعه كتاب ابيه الذي صرف في تاليفه عشرين عاما ونيف لجمع البراهين والوثائق المتينة لانشائه وضبطه .

٥ــ مخطوط في علم التشريح (٣) . وهو طبي بكلمات علمية لغوية عويصة مع شروحها .

٦ــ رسالة علمية صغيرة في التصل ، ودعوة الناس الى التشبه بهم .

٧ــ مجموعة اشعار واقوال جمعها ابنه

٨ــ شذرات مختلفة (٤) .

كامل الغزي ــ (١٨٥٣ ــ ١٩٢٢)

درس على اساتذة خصوصيين ونال حصة وافرة من علوم الفقه والحديث واللغة والمنطق والشعر ، وسما في الامور الادبية والتاريخية (٥) تقلب في وظائف الحكومة كثيرا وشغل عدة مناصب رئيسية ، كان متسامحا في الدين بعيدا عن قشوره وعلى اتصال قريب بمسيحيي حلب . الف فيهم

---

(١) طرائف القديم = الصحائف غير مرقمة في هذا القسم من الكتاب

(٢) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب . تاليف ابن الشحنة . طبع في بيروت ــ (١٩٠٩) . والمؤلف ولد في حدود سنة ٨٠٠ للهجرة (لم اعثر على تاريخ وفاته)

(٣) اطلعت عليه كذلك في مكتبة ابنه الدكتور انطوني صقال في حلب

(٤) نشرت في مجلة الورقاء (اذار وايار ١٩١١) العدد ٣ و ٤ ص ١٥٠ــ١٥١ الكلمة ١٢ (نيسان ١٩٣٧) عدد ٤ = ١٧٤ــ١٧٥

(٥) واشادة بفضله فقد منح سنة (١٩٢٤) وسام المعارف الافرنسية من الدرجة الثانية وسمي عضو شرف للمجمع العلمي الفرنسي في باريس وفي سنة ١٩٣١ نال الوسام نفسه من الدرجة الاولى . كما نال في السنة نفسها وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية . وقد اطلعت على براءاتها جميعا بين اوراق خزانته .

كتاب " في حقوق اهل الذمة " لكنني لم اعثر عليه في خزانة كتبه بين جملة ما عثرت (١) ، ويسعى الى ازالة النفرة التي كانت موجودة بينهما بين المسيحيين والمسلمين من ابناء حلب مدللا بوجود آيات صريحة في القرآن ونصوص في الشرع الاسلامي تدل على وجود حسن معاملتهم والتسامح معهم • كان يدعو الى عدم تعدد الزوجات ، وبالرغم من ذلك فقد تزوج باثنتين " للضرورة " • (٢)

كان يرأس جمعية العاديات الحلبية ويقوم معها برحلات للتنقيب عن اثار حلب وما جاورها ، ثم نشر تقارير ذلك وصوره في المجلة الخاصة بالجمعية التي كان يتولى غالبا كتابة المقال الاول فيها رقم (٣) • وكانت هذه المجلة تصدر باللغة العربية والفرنسية فاما ان تترجم المقالات من احدى اللغتين الى اخرى واما ان تكتب خصيصا •

ويستدل من بعض اقوال الغزي ان الرجل كان يؤمن بالقومية العربية التي اساسها الرابطة الاسلامية " التي جعلتها الامة العربية هي الجامعة الوحيدة للوحدة القومية التي تدعو الامة الى التحابب والتوادد والتناصر والتعاضد بحيث يكون كل فرد من افراد هذه الامة راقدا بواسطة هذه الجامعة في مهاد الوفاق والوئام مع باقي اخوته العربيين مهما اختلفت مللهم ونحلهم " ويدلل على ذلك بان العرب الاقدمين بما فيهم من نصارى ويهود ووثنيين كانوا " راتعين مع بعضهم في بحبوحة الامان والسلام على السواء " • (٤)

اما مؤلفاته فهي كثيرة ، ومعظمها لا زال مخطوطا لم يبرز منها في دنيا الطباعة الا تاريخه الشهير ورسائل صغيرة =

اـ نهر الذهب في تاريخ حلب • وهو ثلاثة اجزاء تم طبع الجزء الثالث منه في المطبعة المارونية (١٩٢٦) • فالاول منه يبحث في تواريخ حلب واسمائها وجغرافيتها ، مجاريها ومناخها ونباتاتها ، حالة المعارف فيها والملل والنحل ، عادات الحلبيين ومناخهم ، ثم اقضيتها وتوابعها •

والجزء الثاني يبحث في اسوار حلب وحاراتها وما فيها من مساجد ومدارس وبيمارستانات وغير ذلك من الآثار •

---

(١) الا ان تلميذه الشيخ يونس قيم دار الكتب الوطنية اليوم حدثني انه قرأه • وقال انه مطوي باستشهادات وادلة تدل على استخدام الخلفاء المسلمين في ابي عز الدين وانتشاره مالا من المسيحيين او موظفين في وظائف كبيرة •

(٢) المحمصي = ١٥ اـ ١١٨ • ورواية تلميذه الشيخ يونس المذكور وابنته (العزي) كذلك

(٣) اطلعت على العدد الخامس من المجلة (ايلول ١٩٣١) وكانت مقالة الغزي " لمحة من تاريخ اسكندرونه " •

(٤) الغزي ٣ = ٣٨٣

والجزء الثالث يبحث في تاريخ الامم التي تولت حلب قبل الفتح الاسلامي ، ثم من تولاها بعد الفتح المذكور ، وتاريخ حلب خلال هذه الفترات . ثم يتحدث عن الحروب الداخلية واسبابها الاهلية والقانونية واغراض كل دولة منها ، ثم حكومة الامير فيصل ثم فرنسا في حلب . ولا ينسى خلال ذلك من الوقوف احيانا ليستطرد في الحديث عن الاكتشافات مثلا واصلها واعمالها وتطورها او عن فرنسا وتاريخها المفصل ، وتاريخ النصرانية فيها ، وحروبها مع انكلترا ، والثورة الفرنسية ، واخبار نابليون ، ومن رجال العلم في فرنسا وغير ذلك . ويختم الجزء بذكر الاماكن التي يقصدها السياح في حلب وجهاتها . اما الجزء الرابع فهو لا زال مخطوطا وقد فقد بعضه الا انه عثر عليه حديثا كما بلغني وهو تراجم .

يتبع في تاريخه التسلسل الزمني ، وفي الاقسام الاخيرة منه يجمع الحوادث حول السنين فيجمع مرتبا على السنين . وهذا التاريخ جامع شامل يذكر فيه احيانا المصادر التي يستقي منها معلوماته فيحصي رقم الجزء والصفحة وتاريخ الطباعة (١) الا أنه يغفل عن ذلك في احوال كثيرة (٢) . ولا يتورع الغزي عن ابداء رأيه في بعض الاماكن فيقول " يستبعد العقل "(٣)

٢- كتاب القول الصريح في الادب الصحيح (٤) وهو مخطوط بيده يتألف من ١٩٢ ص من الحجم الكبير . الفه كما يقول في مقدمته ليقضي لولده الذي رزقه على رأس الثامنة والستين من عمره تراثا ادبيا يحفظه متى ترعرع " مرشدا سويا وناصحا امينا " يقوم مقام والده الذي سيفقده لا محالة لانه " ولد الشيب " . وهو قصيدة لامية نظمها في تاريخ مولد ابنه كما اسلفت ، وعلق عليها شرحا موجزا بسط فيه ما انطوت عليه القصيدة من المطالب والمقاصد " . مستعينا بفوائد اقتضبها من فصول الادب الكبير لابن المقفع كما يعترف .

والمخطوط يمثل آراء الغزي ومعتقداته في كافة مجالي الحياة وصاحبها اكثر من اي كتاب غيره واليك بعض ما جاء فيه :

قال في صدد التعصب الذي هو غريزة متمكنة في جميع نفوس البشر انه على قسمين ممدوح ومذموم . فالتعصب الممدوح هو ان تحرص على كل ما يجلب الخير لوطنك وقومك . وان تتبع كل ما يرضاه العقل الصحيح ويؤيده النقل الصريح من العبادات والمعتقدات .. وان تنفي عنها ما الحق بها من البدع والخرافات وما اضيف اليها من القشور وتبث منها اللباب المنتقاة من مفاهيم آيات الكتاب

---

(١) راجع الغزي ١ = ١٤٦ ، ١٦٠
(٢) المصدر نفسه = ٤٨ ، الغزي ٢ = ٢١٦
(٣) راجع الغزي ٣ = ٣٦٩
(٤) لا يذكره الطباخ في كتابه ادباء حلب .

وصحيح احاديث الرسول " (١) ومن هذا يتضح ان الغزى كان يكره الخوض فى الدين ويرغب فى تعقيده ما علق به خلال الاجيال • ثم هو يوصى ابنه الا ان يترك البحث فى القضا والقدر " كما تركه السلف الصالح " لانه " بدعة سيئة فشت بين المسلمين بعد ان اختلطوا بالامم الاعجمية وترجموا كتب اساطينهم " •(٢) وهو الذى " فتح على المسلمين ابواب الزندقة والالحاد قديما وحديثا (٣) •

ثم هو يريد من ابنه ان لا يكون من اولئك الزاهدين الذين " اتخذوا البطالة حرفة وجعلوا الزهد مصيدة واصبحوا كلالا على الناس وعيشا ثقيلا على كواهلهم يقتنصون مايشتهم بالاحابيل الواهية كالتسول او الارشاد المضلل واظهار المسكنة والعجز وما بهم سوى جمود القرائح ووهن العزائم " • (٤) غير ان التوكل يستحسن من العبد بعد ان يستفرغ جميع ما لديه من مقدورة على السعي للحصول على رغائبه فيسند امره الى المولى (٥)

وفي رأى الغزى ان العلم افضل من المال لانه هو الذى يوجد ه فبالعلم عرف الانسان الفارلا بالمال • كما عرف اكتشاف المعادن والانتفاع بها ، وغير ذلك من المخترعات الحديثة ، علاوة على ما ينطوى عليه العلم الصحيح من " عاطفة جميلة كحسن الخلق والمروءة والشجاعة والنجدة " • (٦)

الا انه يرغب منه ان يجاور اولا فى احدى المدارس الاسلامية القديمة ليتسال حظا من العلوم التقليدية المتوارثة ، على ان يرجع عن النفس فى اوقات عطله او فراغه ، بمطالعة كتب السير والتاريخ ودواوين اشعار العرب " ليستعين بها على فهم غريب الالفاظ من الحديث والشعر، ولا يفوته الاطلاع كذلك على الكتب العلمية من طب وغيرها • ثم ينتسب بعدها الى المدارس الرسمية الابتدائية والعالية لكي يسترزق بعلمه من احد الابواب التى تسهل اليها نفسه •(٧) ولا يهمل الى جانب هذا تعلم صنعة يدوية تقيه غائلة الفقر اذا ما ضقت اسباب الحاجة •(٨)

---

(١) القول الصريح = ٨ — ٩
(٢) المصدر نفسه = ١٤ — ١٥
(٣) " " = ١٦
(٤) " " = ٢٥
(٥) المكان نفسه
(٦) المصدر نفسه = ٣٠ — ٣٢
(٧) " " = ٤٩ — ٥٣
(٨) " " = ٣٨ — ٣٩

وهو يريد من ابنه ترك السياسة ومناهضة الحكومة ، الا ان يدفع الرأى العام باجمعه فيكون بينهم لا يشذ ولا يتخلف (١) وان يجتنب كذلك التزلف الى الحكومة بامور يحظرها الشرف وتأباها المروءة • (٢) ويستجير له بالله من الزعامة واوهامها (٣) •

وللغزى فى الزواج رأى صادل فهو يوصي ابنه ان لا يتزوج قبل ان يجد نفسه كفوءا على القيام باعباء الاسرة • وان يبتعد كل البعد عن التزوج من صغيرة دون الثامنة عشرة لما فى زواجها من غبن واخطاء • ويظهر ان الغزى متطبب القلب من عادة الزواج بصغيرات التي كانت مستحكمة فى ايامه • والصغيرة – كما يقول لابنه – لا تهتم بزوجها ولا تدرك مسئولية البيت ومفاهيم الزوجية ولا تنظر الى بعلها " الا نظر المتعلم الى معلمه فى المدرسة لان حقها وهي فى هذا السن ان تكون باقية فى المدرسة لتتميم معارفها " • فهو اذا يرى من حقها وجوب التعلم لا البقاء فى ظلمات الجهل القاتمة ••

ثم ان الصغيرة تكون غير مستكملة النمو يحتاج جسمها الى غذاء وعناية ، فاذا ما تزوجت وحملت ، استهلك الجنين ما كان يجب ان يكون من نموها وحدها ، فتضمحل او يولد طفلها ضعيف البنية • (٤) •

٣– انتقاد العادات السيئة • وهي محاضرة القاها (١٩٢٠) فى نادى الشهباء • طبعت في ٣٢ ص ، الا ان الكتاب مطوى بحواشى وملاحظات وزيادات بخط الغزى • وهي محاضرة فى الحث على النظافة وبيان بعض ما لها من الفوائد والفضائل •

٤– رسالة فى الموسيقى وهي مخطوطة بيده • القاها فى محاضرة بمناسبة مجهولة • تقع فى ١٥ ص وهي تدل على ذوق صاحبها الفني وعلى اذنه الموسيقية • يصف فيها الالات الموسيقية المتنوعة وفضل الغناء والطرب اى الفن الموسيقي فى النفس (٥) ، ويدلل على رقي الامة وتقدمها فى مضمار الحضارة والمدنية (٦) • ثم يسترسل فى الحديث عن شهرة حلب بالموسيقى والموسيقيين وتاريخ دخول بعض الالات مدينة حلب • ويختمها بوصف ما يجب ان يتحلى به الموسيقى او المطرب •

---

(١) القول الصريح = ٨٧ – ٨٨

(٢) المصدر نفسه = ٨٩–٩٠

(٣) " " = ٨٨

(٤) " " = ١٨٩ – ١٩٢

(٥) راجع المخطوط = ١ – ٢

(٦) المصدر نفسه = ٢ – ٣

٥ـ ترجمة حياة الشاعر الصنوبري الحلبي . وهو مخطوط بيده عمل جاهدا في جمع اشعاره التي بلغت ٤٠٠ اربعمائة بيت مع نتف من اخباره وحياته عثر عليها بعد جولة استقصاء دقيقة في كتب الادب ، تحدوه في ذلك رغبة بعث شهرة هذا الشاعر الحلبي المهمل .

٦ـ الروزنامة الدهرية . طبعت في حلب (١٩٢٢) وهي محررة على طول حلب وعرضها الفلكيين باعتبارين اي باعتبار ان وقت الزوال مبدأ للاوقات المحررة من السنة الشمسية الميلادية الغربية وباعتبار ان وقت الغروب مبدأ للاوقات المذكورة من السنة الشمسية الرومية الشرقية . ويلي هذا التقويم باربعة جداول مفيدة . وفيها ايضا تواريخ مداخل الشهور الميلادية بالهجرية وبالعكس تسهيلا لمعاملات الايجار والاستئجار والوثائق الشرعية والقانونية ، كما تسهل معرفة المواسم الدينية الهجرية مثلا ومطابقتها في التاريخ الميلادي وبالعكس . وللتقويم جدولان آخران تعرف من احدهما اسماء اوائل الاشهر القمرية ، ومن الاخر اوائل الاشهر الميلادية الى مدة عشر سنوات مبتدئا من سنة ١٩٢١ . ولها دفتر خاص ربما كان ملحقا وفيه مقابلة بين التواريخ الهجرية والميلادية من الهجرة الى سنة ١٣٤٠ (١٩٢١).

٧ـ كتاب اتحاف الاخلاف في احكام الاوقاف . تأليف ترجمه من التركية لمؤلفه عمر حلمي طبع في مطبعة البهاء بحلب (١٩٠٩) . فيه ابحاث اصطلاحات تتعلق بالوقف ، واصطلاحات فقهيه وقانونية ، وفي انعقاد الوقف وسببه وشروطه . الاوقاف الصحيحة والغير الصحيحة . وله عدا ذلك :

٨ـ الروضة الغناء في حقوق النساء .

٩ـ في الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات

١٠ـ جلاء الظلمة في حقوق اهل الذمة .

١١ـ ديوان شعر كبير . (١)

وهذه جميعها لم اعثر عليها في خزانته بين جملة ما عثرت . ولا في مكان آخر .

<u>بشير الغزي</u> ـ (١٨٥٧ ـ ١٩٢١)

هو أخو كامل الغزي بالنسب ، اخذ لقبه لانه رباه صغيرا وعنه اخذ علمه . كان متبحرا في علوم اللغة والادب ، واماما في الفقه والحديث والمنطق . امتاز بقوة حافظته وسرعتها . وبشير الغزي يمثل المدرسة القديمة اكثر من غيره اذ انحصرت تآليفه في الابواب التي اجادها . ولزمه الطلاب في المدرسة الرضائية التي جاور فيها يتلقون عنه " العلوم الآلية والفنون الادبية"

---

(١) الحمصي = ١١٦

كما لازمه بعض الاتراك ليأخذون منه العربية • ترأس التدريس في عدة حلقات من جوامع حلب ،
ثم اصبح رئيس جمعية الاتحاد والترقي بحلب ، ثم انتخب عضوا لمجلس المبعوثان التركي وبالمقصب
قاضي قضاة حلب بعد دخول الفرنسيين * الا أنه كما يروى على رفعته وانكبابه على العلوم
القديمة كان لا يحجم عن المطالعة في كتب الطبيعيات والفلسفة الجديدة ؟ العربية اذ كان يخشى
اذا تصدر للافتاء ، في امر ان يقول هذا من العلوم التي لا اعرفها •

وقد شهد له بالسبق في فنون اللغة جهابذتها ، وكان في جلسة ممن
يكاتبه ويعتمد عليه في المسائل اللغوية الشيخ ابراهيم اليازجي •(١) مؤلفاته =

يقول اخوه الشيخ كامل ان له مؤلفات كثيرة في اللغة والفقه والتفسير والرياضيات وغيرها ،
الا انه كان لا يعبأ بها ، وقد بقيت كلها في مسوداتها ثم فقدت ولم يطبع منها سوى =

١ـ حدائق الورد • ترجمة ترجيع بند • طبعت في مصر (١٨٩٨) وتقع في ١٩ ص من
الحجم الصغير • والشعر فلسفي صوفي سلس • فيه وصف الشموس والاقمار والبحار والارض
وقشرتها ثم وصف عبلرات الاقدمين والانبياء •

٢ـ منظومة الشمسية في القواعد المنطقية • مصر (١٩٠٦) صححها بدر الدين النعساني •
وهي تشتمل على جميع ما في متن الشمسية من المسائل المنطقية

٣ـ رسالة في فن التجويد •

ولو لم يطبع هذه المؤلفات فاصدته لكان نصيبها الضياع كسواها •

قسطاكي الحمصي — (١٨٥٨ — ١٩٤١)

تعلم القراءة العربية ومبادئ الخط في كتاب طائفته الروم الملكيين بحلب
وانتقل وهو في الحادية عشرة من عمره الى مدرسة الاباء رهبان مار فرنسيس ، حيث درس مبادئ
اللغة الفرنسية والطليانية والنحو ، ثم خرج منها واخذ يدرس على قسيس في بيعته ، ثم اكب على
المطالعة بنفسه ودراسة العروض والصرف لانه عكف على الاعمال التجارية منذ السادسة عشرة
من عمره •

رحل الى مرسيليا وهناك درس بعض الفلسفة ، ثم الى باريس ، ثم عاد
الى حلب • وارتحل مرة ثانية الى باريس لزيارة معرضها العام سنة (١٨٧٨) • ثم مرة ثالثة
لتصفية محل اخيه التجاري في مرسيليا • ثم الى القسطنطينية والقاهرة •

---

(١) الحمصي = ٥٠ — ٥٢

ولما حصل الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ كان الحمصي المسيحي الوحيد الذي دعي الى الاجتماع الذي عقده بحلب اعضاء جمعية الاتحاد والترقي .. وقام معهم بحفلة مهرجان الحرية وطلبوا اليه ان يكون خطيب الجمعية بالعربية . فكان اول من لفظ الحرية بخطبة علنية في حلب لعهد السلطان عبد الحميد .

وسافر الى فرنسا = مرة رابعة وزار في هذه المرة لندن وفي السنة الثانية من رجوعه اعلنت الحرب (١) .

قال الشعر المرة الاولى وهو في الثالثة عشرة من سنه هاجيا احد رفقائه في المدرسة فرفعه المدير على الهجو لكنه لفت نظره الى موهبته الشعرية ونصحه وانصرف من يومها الى نظم الشعر حتى اصبح هذا لديه " وسيلة للافصاح عن نزواته السياسية ونزعاته الاجتماعية والكثير من اغراض الحياة الطارئة " ومن شيخوخته شغل نفسه بنظم آيات الانجيل شعرا (٢) .

حرص الحمصي في حياته الادبية على قديم اللغة وكان معجبا بحرص تراثها وجمال بيانها ، الا انه كان يرغب في تطويرها لتجاري حياة العصر بجميع اغراضها وتساير مراميها . ولهذا يعد من رجالات اللغة الذين جمعوا بين القديم والحديث " وان كان في منهجه الادبي الى القديم اقرب " . (٣)

وجل ما يقال في الحمصي انه كان " عربي القلب فرنسي التفكير ولا ريب ان اسفاره العديدة قد وسعت آفاق ثقافته اما مؤلفاته فهي =

١ـ السحر الحلال في شعر الدلال . جمع فيه اشعار خاله جبرائيل دلال وبعضه ترجمة له . طبع في مصر (ص ٢) وفي حلب ـ ١٩٠٣)

٢ـ منهل الوراد في علم الانتقاد . طبع في مصر (١٩٠٧) ويتألف من جزئين ضخمين يقع اولاهما في ٣٠٤ صحائف ، والثاني في ٢٩٦ ص من الحجم المتوسط .

اما غاية الكتاب فهي واضحة على خلاف ما يقوله شيخو . (٤) . يتألف الجزء الاول من قسمين ، فالقسم الاول منه يبحث في تاريخ النقد وموضوعه ، والثاني في قواعده وفروعه ويقول الحمصي ان الفرنسيين لم يضعوا في النقد كتابا لانهم " يعتبرونه من الفنون الذوقية التي لا تخضع لقواعد علمية " مع ان من فوائده " شحذ القرائح والاذهان وتوسيع مدارك طلاب العلم "(٥) وقد استفاد بحثه من موضوعات العلوم الكبيرة الفرنسية كما يعترف واضاف اليه من بنات

---

(١) من ترجمة حياته في كتابه ادباء حلب = كتبها بقلمه = ١٣٦ ـ ١٦٣
(٢) الكيالي ـ سامي " الراحلون " مصر (١٩٤٥) ص = ١٠٠ ـ ١٠٦
(٣) المصدر نفسه = ١٠٤ وراجع لهذا صفحة ١٦٢ من كتابه ادباء حلب في وصف الصور الخليعة العارية وصفحة ١٦٤ في رسالة له كالتهذيب اسباب التشاؤم .
(٤) المشرق ١١ = (١٩٠٨) ٣٢٣ (٥) منهل الوراد = ص ٦

لروحه واعتبار بحثه وتقسيمه .

والكتاب يدل على سعة اطلاع المؤلف فهو يستشهد في فصله الاول الذي يبحث في تاريخ النقد عند العرب باقوال المتقدمين كابن المقفع ، وابي فراس ، وابن المعتمد ، ويسترسل الى كتاب القرن التاسع عشر الذين كثر فيهم الهراء وتعددت سبل التمويهات لهم من مدارس وما يسمع ومع ذلك فالمجيدون منهم قليلون ، والمشعوذون من الشعراء كثيرون ، وما ذلك الا لأنّ اهل التمييز من النقاد قليلون الذين يترتب عليهم تمييز " صواب القول " من خطائه وصالح الشعر من فاسده " . (١)

الفصل الثاني في تاريخ النقد عند سائر الأمم ، وفيه يقول ان " ارسطو اول من قال يجب ان تكون اعمال العقل خاضعة لشرائع مقررة كاعمال الطبيعة وهو اول من اكتشف هذه الشرائع واول من وضع أساسها . (٢)

الفصل الثالث في القرون المتوسطة ، والرابع في القرون الحديثة .

ثم يبحث في موضوع النقد . ويقول في نقد ابيات ابي نواس في الخمر = ألا فاسقني خمرا ... ان هذا الشعر ليس " الا كلام سكير له جهل الفضائل الانسانية وقيمة العقل وسلامة الحواس وقيمة شرف النفس التي تقضي على الانسان بالاعتدال في جميع احواله ليتسنى له البلوغ الى الكمالات الانسانية ؟ . (٣)

ويبحث كذلك في اركان النقد ، وعنده يجب ان يكون الناقد سميا اي اذا اراد الكاتب نعت كلب بالذكاء فلا يستحوذ له ذكاء احد افراد البشر (٤) ، وان يتوفر فيه صدق الارادة اي ان يلج فيه الناقد " في صدر الشاعر ويخالط روحه بروحه فيكتشف اسرار نفسه " . (٥)

القسم الثاني يبحث في قواعد الانتقاد مستعينا بآراء علماء النقد .(٦)

وفي التعريب يقتضي تحديد مرتبة الشاعر ومركزه بين أمثاله كما يقتضي تحديد المذهب وتعيين المجموع قبل تعيين التفاصيل . ثم يتحدث في رتب الشعر معقبا بالمقايسة فالحكم فالعقاب . ثم يأتي بأبواب في موازنة كل منهما ويحكم بينهما فيقول ان أبيات فلان اجمع للوصف والسذاجة البدوية ،

---

(١) منهل الوراد = ٣٦
(٢) المصدر نفسه = ٤٨
(٣) " " = ١١٢
(٤) " " = ١٢٤
(٥) " " = ١٢٦
(٦) الآراء التي وردت هنا تتفق مع الطريقة الحديثة للتأليف التاريخي . راجع مثلا كتاب مصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم .

اما الجزء الثاني من الكتاب فيتحدث فيه عن الحكم ، ويضع له قواعد خمس تمهد سبيل الحكم وهي = نقد القول ، نقد القائل ، نقد المقول فيه ، نقد الزمان ، نقد المكان .

ثم يذكر قاعدة في البت في الحكم الذي ينقسم الى قسمين = الترجيح والتعديل .

والخلاصة ان الكتاب يدل على سعة اطلاع وتعمق في العربية وادابها مع ادراك لاغراض النقد بمدلولها الواسع عند الامم الاوربية .

٢ — كتاب ادباء حلب ذوو الاثر في القرن التاسع عشر . طبع في حلب (١٩٢٥)

هذا الكتاب مرجع نفيس لتراجم ادباء حلب في هذا القرن ، وهو جليل الفائدة فيما يتعلق بمعرفة صور الادب واتجاهاته في هذه الفترة . يحوي القسم الاول منه على تراجم المتوفين والثاني على تراجم الاحياء ، يعدد فيها مؤلفات الكتاب او الشعراء دون ان يذكر سنوات الطباعة الا ما ندر . ويورد استشهادات شعرية ويحكم عليها . الا انه يغفل احيانا بعض التراجم (١) كما يثبت ما لا لزوم له .(٢)

٣ — ديوان شعر كبير لم يطبع .

٤ — مجموعة رسائل ومحاضرات ومقالات في موضوعات مختلفة غير مطبوعة منها رسالة كان ارسلها الى المجمع العلمي اللغوي في مصر " وهي في اغراض لغوية تعقب فيها اخطاء الاب انستاس الكرملي بكثير من الغمز واللمز ." (٣)

القس توما ايوب — (١٨٦١ — ١٩١١)

تخرج في مدرسة الشرفة وفي كلية الآباء اليسوعيين في بيروت . كان يحسن السريانية والفرنسية والايطالية واللاتينية واليونانية ، هذا عن العلم بالخطابة والبيان والمنطق والفلسفة . اما العربية فقد كان مالكا ناصيتها ومستقصي منابعها " لانه كان لغويا مدققا واقفا على اعمق اسرار البلاغة غائصا لشطآت آداب العرب " . انفق سبعة وعشرين سنة في خدمة العلم والتعليم وقد "عرف بين تلاميذه" بتسهيل وعورة مسالك الدروس واداء مواضيعها من اشهاء الطلبة مهما عاصت وكان بيته كسوق عكاظ يختلف اليه ابناء الادب ليعرضوا عليه مقالات نثرهم وقصائد شعرهم ." كان من هواة المكتبات ، وقد أسس في بيته اول ناد للشبيبة عرف بنادي الادب . كان يختلف اليه " كل من يميل الى البحث عن بلاغة العربية واسرارها .. وكان يشغل اعضاء ناديه بالقاء الخطب على التناوب والقاء دروس الفنون الجميلة وسائر

---

(١) كالقس توما ايوب .

(٢) كابراهيم الحوراني الذي يترجم له من ص ٤٤ — ٥٠ ، لكن الحوراني ولد بحلب (١٨٤٤) ثم نزح به ابوه بعد سنة الى حمص حيث قضى نموه ثم انتقل الى دمشق فبيروت وفي هذه الاخيرة توفي .

(٣) الرائدون = ١٠٦

العلوم عن العلامي المحرمة والمساوئ الشائعة للاداب ، خدم الصحافة عدة ربع قرن اذ كان مراسلا لجريدة البشير البيروتية . كما نشر في المشرق وغيرها نبذا مفيدة من ادبه العالي . (١)

له تآليف عديدة معظمها لا يزال مخطوطا .

١ـ ديوان شعر عنوانه " مرقاة الصبا "

٢ـ رواية الكفارة او ماجريات اوائل القرن الرابع

٣ـ رواية قبل الطوفان وتحوي حكاية احوال الاعصر الاولى في بابل ومصر

٤ـ رواية فابيولا

٥ـ المنتخب في امثال حلب .

٦ـ قرة العين في رواية الى ايس . عدا عن مؤلفاته الدينية الكثيرة . (٢)

وله عدا ذلك نحو ستين رواية تمثيلية بعضها من تأليفه وبعضها مترجم بتصرف اذ كان له باع طويل في الترجمة وافراغ المعاني الاجنبية في قوالب عربية لا يشتم منها رائحة الاصل . مثّل اكثرها في المدارس وانفق ريعه على اعمال البر (٣)

لم أطلع من كتبه سوى على " قرة العين " ، ترجمها عن الايطالية وقد طبعت في المطبعة المارونية (متى ؟) تبلغ ٧٣٦ ص من الحجم الكبير . وأسم الرواية مأخوذ من تلقيب ديغي تسديم (٤) ، فغايتها الدينية تمجيد وصف تغلب الاداب المسيحية على الوثنية في عهد نيرون ، وشيوع الدين المسيحي وسؤدده رغم ما اعترضه من عراقيل ، باسلوب سهل ممتع طريف .

واطلعت كذلك على المنتخب ، وهو مجموعة للامثال الجارية على السنة القوم في وطنه حلب طبعت ~~في~~ (المطابع ؟) (متى ؟) صنفها بحسب ابوابها ، ورتبها بحسب موضوعاتها .

<u>عبد الحميد الجابري</u> — (١٨٦٤ —)

تلقى مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب ولم ينتسب لمدرسة قط ، بل أخذ العلم في بيته على بعض علماء عصره ، فخبروه في الديانة والمنطق . اما علمه الشعري فكان سليقة فيه نمتها المطالعة والدراسة الخاصة . (٥)

له مؤلفات عدة في اللغة التركية . اما مؤلفاته العربية فهي =

---

(١) طرازي صحافته ٢ = ٢٣٨ ـ ٢٤٠ طرازي خزائن الكتب ٢ = ٧٧٤ ـ ٧٧٥
(٢) المكان نفسه
(٣) طرازي صحافته ٢ = ٢٤٠
(٤) وهو أن القديس بطرس الرسول اذ اخرج من رومية فارا من الاضطهاد الهائل الذي اذكى جذوته نيرون الطاغية صادف في طريقه السيد المسيح فسأله مدهوشا الى اين تذهب يا رب ؟ فقال له تعالى = لانك تركت اغنامي أتيت الى رومية لاصلب ثاني مرة .
(٥) [illegible] . ادبا حلب = ١١٦ ـ ١٢٠

١ــ مبدأ في بيان ارتباط التمدن بدين الاسلام • طبع في بيروت (١٩٠٢) •

وهو في ثمانين صفحة يبحث في اولئك الذين يدّعون " ان المنهج الاسلامي لا ينطبق على قواعد التمدن " ورأيه فيه ان " نظام الملة الاسلامية هو الخير المحض دون ما يخالفه وأن المثابرة عليه وعدم الخروج عن شيء من احكامه هو الداعي الى كمال التمدن ••• ان المنهج الاسلامي هو التمدن بعينه اذا سلمنا ان الملّة الاسلامية في الوقت الحاضر ادنى تمدنا من غيرها ••• والحقيقة في ذلك ان الملّة الاسلامية بحسب عدم رعايتها نظام التمسك بنظامها طرأ الخلل في تمدنها ••• " (١) ثم يفصّل فيما يأمر به "المنهج الاسلامي" مما يتعلق بسد حق الغير من اجتماع المسلمين على طاعة امامهم ، وبث الصدق وإقامة العدل وصلة الرحم والاصلاح بين الناس ، وما ينهى عنه من الرشا والربا •

ويعالج مشكلة الرقيق فيقول اننا " لم نر فيه بأسا منذ اعصار لا يحد بدأها الى حين ظهور الشرع الاسلامي فحين ظهر منع الاسترقاق من اصله ولم يجزه الا على الاسير الحربي لمقتضى في السياسة الحربية ؟ (٢) • ثم ان الدين الاسلامي قد جعل الرقيق بمثابة الولد لمالكه لما أمر به " من لزوم الاحسان اليه • به خيرا وأن يعامل بالشفقة والرحمة •• " ويرى ان قضية الرقيق من مستلزمات اعمار الكون الذي يشهد " على ان يكون هذا خادما وهذا مخدوما •• وهذا فقيرا وهذا غنيا بأسباب مختلفة واوضاع متنوعة من القضا واحوطة الرق حتى انا نرى كثيرا من الاحرار الموظفين الاهليين يتمنون ان يكونوا ارقا • لبعض الاغنيا • ليحصلوا بما لم تناله يدهم ويخفف عنهم مشاق الخدم التي يقضي بها عليهم ضرورة طلب الكسب •• فلا يبعد ان يكون موافقا لمصلحة بعض الفقرا • المعدمين الذين لا يجدون ثروة ولا يهتدون حيلة وكسبا •• " (٣)

ويعرض كذلك لقضية تعدد الزوجات فلا يأتي بتفسير جديد ، وكذا الحال في منع الدين للقمار ومنع المسكر ، والى مضار مخالطة الجنسين ، ومنافع الرياضات البدنية •

٢ــ تلقي علم الدين وتصويرنا فيه اصطلاحا وبلاغته • طبع في حلب ١٣٤٩ (١٩٣٠) • يقع في ٢٢ ص من الحجم الكبير ، يبحث فيما يدل عليه عنوانه من أمور الدين التي يقول فيها " ان ليس علينا شروطا ان نكلف او نتقيد بما لا نعلم ان المشرع كلفنا اليه او قيدنا به ولا ان نولد من مفاهيم قول من قصدها من العلما • انيا حكى احكاما سكت المشرع عن بيانها او ان نلتزم كتبا واسفارا توسع مؤلفوها في الاقيسة والخيالات والفرضيات فيها •• " (٤) ويحرم الدين من الحيل التي يعمد اليها بعضهم كالزكاة التي تسقط بالمواهب الكاذب ، كما افتى به بعضهم ، او " الربا الذي يحل بواسطة اجرا • طريقة كالدسة " فان هذا جميعه مضر • بالدين والقصار عليه • (٥)

---

(١) مبدأ • في بيان ارتباط التمدن = ١٦
(٢) المصدر نفسه = ٣٧
(٣) " " = ٣٨
(٤) تلقي علم الدين = ٨
(٥) المصدر نفسه = ٩

والخلاصة فالجابري يرى أن المسلمين قد اهملوا لب دينهم وتمسكوا بقشوره حتى صاروا يعدون كفرا عظيما الاخلال باحكام هيئات المصلين واوضاعهم ، وليس كذلك ارتكاب كون صلاة تنهى عن الفحشا والمنكر (١) . وهذا هو علة انحطاطهم الحاضر وتدهور حالهم . وأن اقتفاء مسيرة النبي واصحابه وخلفائه كفيل بان يعيد الامة الى مستواها المجيد . (٢)

اما ما لم يطبع من كتبه فهو =

٣ـ البيان في النحو . كراس يقع في ٤٥ ص من الحجم المتوسط ، وهو " شيء يوافق من قويت قوة ذاكرته على قوة حافظته " . يقصد في هذا الكراس كتب النحو المألوفة بكثرة اصطلاحاتها وتعدد ضوابطها والتزام الناس طريقة التعقيد من التي اصبحت في عرفهم شيئا مألوفا ، وما هذا بواجب في وقتنا المشغوف به ووقتنا الذي استغرقت ظروفه الشواغل " . وهكذا فلا ينبغي ان يؤخذ لهذا العلم "الا بحصة لا تعوق عن الاشتغال بما هو أمس بالحاجة " لانه لا يقصد لذاته بل يستعان به على عدم اللحن في اللغة العربية " (٣) .

٤ـ مخطوط " ماذا يعلمنا التاريخ من شقاء الامة وسعادتها " . فيه يتحدث عن " الاخلاق العالية " . لجريان شؤون المجتمع الاسلامي " . الذي هو من سعادة الامة التي يضرها ان يكون نظامها " مشوشا لكثرة القيود والوجوه والشروط والاستثناءات المتشابهة . . فان الامة لا تقاس بكثرة وضع القوانين وأن العدالة لا تأتي من كثرة وضع القيود بل تأتي من تفويض الحكم لمن يحسن تطبيقه والقيام به " . (٤)

والاقوى ضررا من هذا " ان لا يستقر لها نظام بحيث يتوالى تبديل بعض قواعده الى ما يخالفها " ولهذا يجب عند وضع القوانين الاستناد الى الحكم الصحيحة التي تراعى فيها وجهة نظر العلماء الاجتماعية الذين يلمون بمصالح الامة . وعلى هذا يجب ان لا تعتمد الأمة في نظامها على تقليد غيرها الا بعد التأكد من انطباق مصالحهما . فقد يخدم نظام احدى الدول ، الحكومة دون الامة . ولهذا فمن الخطأ المحاكاة والمجاراة في هذا الباب .

ثم ان عدم مسئولية الحكام عن اعمالهم من اعظم الاضرار التي تحيق بالامة وتؤدي بها الى الهلاك . ويرى الجابري ـ وهو في هذا على حق ـ أن اشقى الامم هي من تشيع الحقائق لديها الى " يدفع الباطل بجلباب الحق فيحتاج في التخلص منه الى نفوذ البصيرة لباطن الصورة " ويتم هذا ، اي اضاعة الحقائق عندما تكون الامة خاملة جاهلة تامة الافكار ، وتنويرها يتعذر على الحكومة نفسها .

---

(١) تلقي علم التدريس = ١٤

(٢) المصدر نفسه = ٢١

(٣) البيان في النحو = المقدمة

(٤) المخطوط غير مرقم الصفحات

ومن أعظم اسباب الشقاء عدم ثقة الحكومة بالامة ، وعدم اعتمادها عليها .
وينجم هذا اما من فساد الامة ، او من اغتصاب الحكومة " صفة الحاكمية " دون رضا الامة ،
او من عدم سلوك الحكومة مسلك الصدق وانجاز المواعيد .

والدين واللغة أمران يجب ان تعتني بهما الهيئة الحاكمة فتخدم الدين كما تقتضيه وتلم بروحه ومعاليه وتعمل على تأييدها . وان تعميم اللغة لاقتضاء مصلحتها لانها شرط لحصول "التفاهم بين الحاكم والمحكوم " . ويرى لهذا ان على الاقليات التي لا تتكلم لغة الحكومة ان تاخذ بلغة الاكثرية لاسيما اذا كانت هذه اللغة اغنى واوسع واوفر مادة .

ولعل الحكومة الفاضلة هي التي تهيئ اسباب الثروة للشعب لتكون الضرائب تابعة لها بحيث لا تثقل هذه على كاهل الامة . وتهيئة اسباب الثروة تكون " بنشر الامن والعلم الصحيح بالاسباب المفيدة للزراعة والتجارة والصناعة ، ثم الاهتمام الجدي بتطبيق تلك الاسباب .. وليس تهيئة اسباب الثروة بتشكيل غرف للتجارة والزراعة او جلب بضعة من بلاد اجنبية ... او جلب الاعلام لتأهيل الامة لتعبدها .." ويرى الجابري اخيرا ان جملة " الحق للقوة " و " الحق بالسيف " صحيحة لكنها ترتكز على قوة مادية يجب ان تؤيدها القوة المعنوية وتؤسسها العدل والاحسان .

مشروع كتاب المرأة الجديدة لقاسم امين . مخطوط كبير ألفه لينقد كتاب قاسم امين ورأيه فيه انه " لا يجدر قبوله على علاته ولا يجدر اطراحه بعيوب ثلاثه بل ربما يستخرج منه خالص اللبن من بين فرث ودم" وفي رأيه ايضا ان قاسم امين قد بالغ جدا في بعض النقاط متخذا من مخيلته ميدانا واسعا لانتقاد المدنية الاسلامية فكان شأنه شأن " صانع يموه النحاس بطلاء الذهب وهو في مبالغته واغراقه كطبيب اراد ان يكحل الرمد فأعماه او اراد ان يصحح العين ففقأه " . (١)

طريقته في تأليفه انه يورد كل جملة من كتاب قاسم امين واضعا اياها بين معقوفين ثم يشرحها ، فاما ان يوافق عليها وعلى معناها ، واما ان يخالفها شارحا وجهة نظره .

رأي الجابري في منزلة المرأة وحقوقها كما وردت في هذا المخطوط وهو

انه يرى ان عدم التحجب ليس من ثمرات التمدن الحديث " بل قد كان عدم التحجب من ادوار الوحشية القديمة " وهو يرى ان المرأة التي تهمل واجباتها التي خلقتها الطبيعة لها وتنصرف الى كتب العلم كالتاجر الذي يترك البحث عما يفيده في نفاق بضاعته ويبحث في علم الفلك . وعلى المرأة ان تنال حقوقها " بدون افراط ومجاوزة الحدود التي عينتها لنا الآداب المسلمة " وان تشارك الرجال في شؤون الحياة البشرية ضمن هذه الحدود كما يجري في الحياة القرويسة . وعليه يجب الا يؤول سطح القرآن بكشف المرأة وجهها ويديها باباحة حرية الاختلاط والخروج الى المجتمعات العامة الخاصة بالرجال

---

(١) المخطوط غير مرقم الصفحات .

نعم ان المرأة في بلادنا مهضومة الحق معتدى عليها مظلومة يعاملها الرجل معاملة سيئة ؛ غير أن ذلك لا يقتضي ان التخلص من هذا متوقف " باتباع الخطة الاوروبية الحديثة " . وان اطلاق الحرية محظور على الرجال كما هو محظور على النساء " . وكلا الجنسين يجب ان تقيد حريته ، فلا ينبغي ان تطلق الحرية للرجال بان يتركوا زوجاتهم وشأنهن وان يكلفوهن بالكسب ومشاركتهم في تجشم مشاق الاعمال " واذا ما طلبنا ألمرأة مشاركة الرجل العامة في اعماله نكون قد كلفناها وظيفة اخرى بالاضافة الى وظيفتها الطبيعية ، وفي هذا ارهاق لها او اعراض امتياز المرأة عن الرجل بشيئين من القوة . فليس هناك مساواة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة وانما هناك امتياز وتفوق .

وفي تحليل الجابري لنقد قاسم امين للوالد الذي يسوق ابنته كالبهيمة الى زوج لا تعرفه ولا تعرف شيئا عن احواله . يقول ان هذا ناجم عن سوء الاستعمال في القانون الحنفي الاسلامي " وان النظام الحسن في ذاته اذا نشأ عنه سوء استعمال لا يقتضي اماتة لذلك النظام . "

اما مخالطة النساء للخاطبين فانه يحول بالنسبة على الطرفين لانها لا تمكن من حصول المعرفة التامة بالاخلاق والطبائع فضلا عن انها قد تموه الحقيقة بسبب تزلف كل من الجنسين للآخر وتصنعه له فضلا عن " الميل الشهواني " الذي يغشي عينيهما . وفي هذه الحال فان الوسيلة الفضلى هي اعتماد الفتاة على رأي ابيها او اقاربها في الزواج واعتماد الشاب على رأي اقاربه من النساء كذلك ، لان الميل قد يشوه الحقائق ويمسخها لنا في اختلاف طبيعة الرجل والمرأة في فهم الحب . " فالحب عند الرجل ميل شهواني الى استيفاء اللذة الجسدية والحب عند المرأة ميل قلبي غايته امتزاج الروحين " .

اما رأيه في تعليم المرأة فهو رأي معتدل حكيم اذ ان " التساهل في تعليمهن كالتساهل في تعليم الرجال " الا انها اقل منه احتياجا الى علوم الصنائع المختصة به . وعليها وحدها ان تختار ما تشاء ولا تقيد حريتها بهذا الوجوب ، ويجب تعلم العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية بحيث لا تتعارض مع ما هو اشد ضرورة لها منه .

ولنعد الى الكلام عن الحجاب . فالجابري يرى — عكس قاسم امين — ان سر انحطاط الشرق ليس محصورا في تحجب النساء كما ان السر في تقدم الغرب ليس محصورا بعدم التحجب . ان الذي اخرج المرأة الغربية من انحطاطها القديم هو حسن التربية والاعتناء بها وهو الشيء الذي اخرج الرجال سواء بسواء . وان تمتع المرأة الغربية بحريتها واستقلالها لا يعود الى عدم التحجب فقط بل الى اشياء اخرى ايضا وان كان هذا قد ادى الى فك عزيمة الذاتية لاستقلالها وضياع معنى انوثتها والخروج بزواجها من صورة الاقتران المشروع ، وتكليفها لما يحسر عنه عليها من مجاراة الرجال بالكسب والارتزاق .(1)

---

(1) لعل من دواعي الاكبار ان الرجل قد غير رأيه اليوم في المرأة وحقوقها ، فقد روى لي ابنه السيد طهور ان اباه قد اقترع ا اعطاء المرأة حق الانتخاب حينما اجاز عهد الزعيم ذلك ، وحينما ادخل في صلب الدستور السوري .

وحجاب المرأة المسلمة يجلب لها كثيرا من الفوائد فهو يستدعي زيادة عزة جنس النساء الذي جنس الرجال وزيادة ميل الرجال ورغبتهم لمعرفتهن " (١) ولذلك يكون ادعى لطلب الاقتران " لان القوم الذين اعتادوا تحجب نسائهم هم ارغب بالزواج من القوم الذين لم يعتادوه (٢) " .
وان كثرة مخالطة الرجال للنساء ربما يؤدي الى ذلك من اشباع انظارهم بمشاهدة انواع الملاحة والقبح فان الرغبة تنحصر في الحسان المحجوبات وتشتد فيها لبهذا قباحة القبيحات في نظر هؤلاء الرجال . وانما يختص بعض المرء " اذا راقبها هو فرقته (٣) . وقد يؤدي اهمال الحجاب ايضا الى تحكيم بعض النساء وبعض ازواجهن عند استحسانهن غيرهم . والامر نفسه عند الرجال . (٤) ثم ان اختلاط الجنسين بتمام الحرية " يسهل وجود الروابط الخفية بينهما ويرفع حجاب الحياء الحائل " وبذلك يكثر الزنا (٥) وهو يسهل " تهمة المحصنات من النساء مما يخل بشرفهن (٦) ويحمي المرأة من تجشم مشاق الكسب الذي هي اضعف عن القيام به ، ويبعدها عن التكلف لغير الاشغال البيتية المنوطة بها طبيعة (٧) .

<u>رأي الجابري في الحرية الشخصية</u> = ان الحرية المطلقة ليست في نظره حقا طبيعيا للانسان ولا بد من أن تكون مقيدة لان الانسان لو ترك على حريته لم يكن اشقى منه في الوجود (٨) . فليست الحرية تلك التي تبيح ترك كل امرئ وشأنه وهي " عدم التقيد بالقيود الباطلة الوهمية التي لا يبنى عليها امر في عالم الحقيقة فهي مشروطة بان لا يتمكن الانسان معها من توقع ضرر غيره او ضرر نفسه ." (٩)

<u>رأي الجابري في العروبة والاسلامية (١٠)</u> . يعالج في هذه المقالة سبب الانحطاط العام قائلا ان " الباحث عن انحطاط العرب يلزمه البحث عن انحطاط المسلمين .. وليس من الانصاف ان نتهم دين الاسلام بكونه سبب الانحطاط مع كونه هو السبب لرقي متبعيه ارتقاء خارقا لسنة التدريج

---

(١) مبدأ في بيان ارتباط التمدن = ٤٩
(٢) المصدر نفسه = ٥٠
(٣) " " = ٥١
(٤) " " = ٥٢
(٥) المكان نفســـــه
(٦) المصدر نفسه = ٥٣
(٧) المكان نفســـــه
(٨) من مخطوطة شرح كتاب المرأة الجديدة
(٩) مبدأ في بيان ارتباط التمدن = ٤٧
(١٠) مقالة خاصة عثرت عليها في مخطوطة مادا يحفظنا التاريخ ..

الطبيعي في برهة لا يكفي فيها اى قانون كان واى دين من الاديان لبلوغ هذا الشأو مما يبرهن لنا ان الاسلام اعظم باعث للترقي " .

ويجابه الكاتب اولئك الذين يقولون ان تعاليم الدين الاسلامي لا تنطبق على وقتنا الحاضر لان النسبة بين تعاليم القرآن والسيرة النبوية على سذاجتها وبين ارقى ما يمكن ان يصل اليه البشر هي نسبة التلازم والارتباط التام . لكن سبب انحطاط المسلمين هو " غلط سيرهم " وتقاعسهم وتقصيرهم وجمودهم وخمولهم ، او افراطهم في امر وتفريطهم في اخر . وصرف نظرهم عن " المقاصد الاساسية من الدين " . ويعني بها تهذيب النفوس ومداواة الامراض المعنوية التي بحيث شغلت الناس عن بالاشتغال في الرسوم وهيئات العبادات وكيفية الطهارات " عن معرفة تقديم الاهم على المهم " حتى توهم بعض الناس " ان ترك مد اليدين في الصلاة اكبر اثما من اخذ الانسان ما ليس من حقه من مال غيره ، او ان اسبال اللحية اهم من توقي الكبر والحسد .

هذا وان اهمال اللغة العربية كان من اهم الاسباب " لاضاعة الفهم في الدين والخلط في مسائل عقائده واستئثار افراد قليلين بالحكم فيه حتى استعبدوا الناس وداخلهم في ذلك اليأس بسبب قصورهم وعدم اهتمامهم وهذا من اعظم الآثام على الامة العربية والامة الاسلامية عموما " .

٦ـ دعوة المنصفين لتلافي الانشقاق في الدين وهو مخطوط يقع في ٤٥ صفحة من الحجم الكبير يسعى فيه للتوفيق بين اهل السنة والوهابيين سعيا لطيفا " لان تعصب فرقة على اخرى مخالفة لها وسبا دينها بالعداء يجعل في المخالفة تعصبا يقابل ذلك التعصب فيزداد التفرقة اشتعالا والخلاف بونا حتى لا يقضي الا السيف في حين امكان المجادلة بالتي هي احسن والتقريب بالتحابب " .

والجابري يعتب على الوهابيين " شدة حرصهم على التمسك بسنة النبي واحتياطهم لعدم الوقوع في البدع خوفا من الخروج من حكمها " ويمتدح دفعهم لكثير من الاباطيل والخرافات التي ليست من الدين في شيء " ، ومثابرتهم على اقامة الشعائر كصلاة الجماعة ، وقولهم ان القرآن لا ينسخ بالحديث . الا انه ينحي عليهم باللائمة لاعتقادهم ان كل من لم يذهب الى ما ذهبوا اليه ولم يفسر معنى العبادة والتوحيد على ما فسروه هو مارق من الدين الاسلامي . فهم اذا ضالون مضلون كما نحن عندهم ضالون مضلون . وكذلك كان من تصعب الامور فيهم ، ان تعاليمهم هذه تصمهم بانهم اعداء الانسانية يحملون على سواد العالم ، او اعداء المسلمين يرون حطهم .

نعم ان زيارة القبور للاستشفاع والتوسط مكروهة لكننا نطالب الوهابيين بالدليل على كفر مرتكبيها كفرا يخرجهم من عداد المسلمين ما داموا " الزائرون يعترفون انها لا تضر ، وان ليس من يعبد غير الله .

٧ـ وللجابري كراس في مولد النبي . وفيه يصف محاسن النبوة وافردها عوضا عن الوصف العادي الذي اعتاد مداحو المولد ترديده في ذكرى المولد النبوية من وصف لون البشرة وجمال الوجه ونحو ذلك . وفيه يدعو المسلمين ايضا الى الابتعاد عن الحسد والتناصر والتآمر بالمعروف والتواصي بالحق ، اي بالعودة الى التمسك ايام الاوليين والتأسي بافعالهم .

٨ـ وله ايضا مجموعة خطية ضمت قصائد صوفية واشعار هزلية من نظم وجمع . وضمت ايضا مجموعة الايات التي تشير الى الوعيد بالجزاء الدنيوي والتخويف من العذاب العاجل ، والايات الواردة في اهل الكتاب .

٩ـ وحدثني ابنه ان لوالده كتاب تاريخ ما زال مخطوطا يبحث عن دخول الفرنسيين حلب الى سنة ١٩٤٠ لكنه فقد . وهو دراسة اجتماعية وسياسية شاملة .

١٠ـ رسالة في اباحة اكل اللحوم (١)

المطران قسطنطين جرجس شلحت — (١٨٦٨ — ١٩٢٨)

تلقى علومه في مدرسة الرهبان الفرنسيسكان بحلب ثم سافر الى عين طورا ، فالشرفة وعاد وهو يحسن الفرنسية والطليانية والسريانية ، علاوة على العربية التي بحث فيها طويلا وعاد ابنها وانشائها مرجعا . .

انشأ في حلب مدرسة وطنية سماها مدرسة الترقي للذكور وجعل منها قسما للبنات ثم ضمها الى المدرسة الطائفية للسريان الكاثوليك وترأسها عدة سنوات . ثم اصدر مجلة الورشا . (٢) ثم قصد مصر في اول الحرب العالمية الاولى ولما عاد سنة ١٩٢١ انتخب عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي في دمشق . (٣) ومن آثاره خزانة كتب نفيسة بينها مخطوطات نادرة . اما مؤلفاته فهي =

١ـ كتاب الفجري في الصناعة والعلم والدين . بيروت (١٩٠٣) . يبلغ الكتاب ١٣٢ ص من الحجم المتوسط . وهو ديني يناجي فيه الله العظيم ، ويتكلم عن اعماله مستعينا بنور العقل الطبيعي ، وعن ذاته وصفاته ، وفي خلق الانسان ، وابداع سائر الكائنات ونحو ذلك . ويستشهد فيه باقوال علماء الاسلام وفلاسفته في عصور الاسلام ، وفلاسفة الغرب في العصر الحديث .

٢ـ الكون والمعبود او الفنون الجميلة والكنيسة . بيروت (١٩٠٧) . وهذه الارجوزة انما هي خلاصة احد اجزاء كتابه السابق الفجري . . تقع في ٣٤ ص منها =

---

(١) ذكرها الحمصي = ١١٩

(٢) راجع فوق ص = ٤٧ — ٤٨

(٣) الحمصي = ١٢١ — ١٢٣ شيخو . تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ١٥١ مجلة الآثار (حزيران ١٩٢٨) ٢٧٥ — ٢٧٧ . عيسى اسكندر المعلوف .

الدين والعلم مع المنافسة   فالويل لمن شمره الاطاعه
.. فالدين رام الخير والصلاحا   والعلم للحق بغى ايضاحا
.. فالعلم فيهم خلقة الالفه   بالرغم من معطّل تشـــــاءم   (١)

وهو في هذه الارجوزة يدعو الى الاوبة الى الدين ، ويحذر من الكفر ، ويمتدح العلم ويذم عادات الغرب ويندد بأن بعض العادات الغربية قد اخذت تتسرب الى المجتمع العربي ، من رقص وغيره فتفشى الفجور متفشية ذلك وبعض بالانعكاسة على قوم اخذوا يتشبهون بنسائهم ، فهووا بين يدي وانفسهم الى الحضيض . (٢)

٣ـ الطراز المعلم في مديح البتول مريم . كراس يتألف من ٨ صفحات طبع في بيروت (١٩٠٤) كله قصيدة واحدة في مديح مريم

٤ـ الشكوى او مناجاة الارواح . وهي قصائد متنوعة مدح بها بعض المشاهير كجرمانوس فرحات وحسون وغيرهم . بلغت ٥٦ ص طبعت في مصر (١٩١٥) وجل الابيات في مديح العلم والدعوة الى الجمع بينه وبين الدين ، وتجنب الكفر (٣) وغير ذلك من الفضائل الدينية والاخلاقية .(٤)

٥ـ النخبة من امثال لقمان ـ عربها نظما ونثرا من امثال الحبر فلون رئيس اساقفة كبراى . طبعت في حلب (١٩١٠) . طريقته فيها ان يروي قصة على السنة البهائم والطيور ، وبعد فاصل قصير يورد المغزى . ففي نهاية قصة دبسة وزاغ " كم عشق الصور مناقص وضرات وتجلب الى الجلدع شرورا وضرات وكم يحلي التهذيب في النفس نقائص ومضرات ." (٥)

ويدعو المؤلف العالم العربي في كتابه هذا الى العناية بنهضة علمية ادبية ، ورفع مستوى اللغة اسوة بالشعوب الراقية في مدارج المدنية ، لان اللغة في رأيه هي وطن العلم " التي فيها تقيد اوابده وشوارده وتسجل مكتشفاته ومخترعاته . " (٦)

---

(١) الكون والمعبد = ٦
(٢) من قصيدة بعنوان عاف العادات وهي على غرار الشعر العصري .
(٣) الشـــكوى = ٥ ، ٧
(٤) المصدر نفسه = ٣٠ ـ ٣١
(٥) النخبة = ٩
(٦) المصدر نفسه = ٣٠

٦ ـ الشكوى او محاورة حكيم • مصر (١٩١٨) يقع في اربعين صفحة من قصائد قيلت في مناسبات مختلفة وهذا الحكيم الذى يحاوره هو صاحب المعالي محمود شكرى باشا رئيس الديوان السلطاني ، الذ كان يطلع عليه المؤلف قصائد في مناسبات ويعيد عليه على فن قصيدته وقافيتها •

٧ ـ حديث الدراري " الموضحة بها حبائك الدرر • مصر (١٩٢٠) تقع القصيدة في ٨٧ ص وهي في مناجاة الله ومعرفته باسراره ، وتهذيب النفس الامارة في السوء وغيرها تغلب على الكتب المسحة الدينية الصوفية كاكثر الاشعار موجه الى الله • وهو طبع "بالهوامش والحواشي التي تفوق المتن طولا • وفيها ما يدل على حسن اطلاع المؤلف الذى يستشهد باقوال ارسطو وابن سينا ، ويعيد قطعا وردت عن الخلفاء" •

٨ ـ قلادة الذهب في فرنسا والعرب • مصر (١٩٢٣) يتألف من ١٦ ص قدمت الى الجنرال غورو ، وفيها مديح لفرنسا والفرنسيين ، يتلوها قصيدة في العرب وامجادهم واخلاقهم ، ثم قصائد في اساتذة العرب في الفلسفة والطب وسائر العلوم العصرية ، ثم في كبار علماء الاسلام في العلوم العقلية واشارة الى الشخصين العباسية والاندلسية •

<u>عبد المسيح الانطاكي ـ (١٨٧٤ ـ ١٩٢٣)</u>

كان نشيطا ذكيا طموحا كالنحل وجاهد ساعيا وراء مقام مرموق بين الادباء حتى فاق بنفسه • اقبل على المطالعة حتى ألمّ بتاريخ العرب منذ الجاهلية ، ووقف على تاريخ الاسلام ومذاهبه واقوال فقهائه وعلمائه • عني بالصحافة فانشأ في حلب مجلة الشذور (١) ، ثم نزح الى مصر واصدر هناك مجلة الشهباء" ثم العمران • (٢) الا انه كما يتضح من سيرته ومن شهادة معاصريه كان مذبذب الرأى متقلب العقيدة " يغازل" الاتراك حينا وحينا يجاريهم • يناضل الاتركية ويتحد مع رجالها " • تمسك بالقومية العربية وتجشم الاسفار الى بلاد العرب واجتمع بامرائهم ساعيا وراء تحقيق آماله من نهضة العرب واسترجاع مجدهم •" نظم الشعر وتقرب بواسطته من اصحاب الامر وارباب الدين (٣)•

له من التآليف =

١ ـ الدر الحسان في منظومات وبدائع امير الحضرة وحاكمها ورئيس قبائلها • مطبعة العرب (١٣٢٥) (٤)

---

(١) راجع فوق ص = ٤٧

(٢) راجع ملحق رقم (٥)

(٣) شيخو ادباء العرب تاريخ الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين = ١١٣ ـ ١١٤
رواية السيد نجيب كيدر الحمصي = ١٠٠ ـ ١٠٢

(٤) سركيس حرف الالف

٢ـ ديوان عرف الخزام في مآثر السادة الكرام • ويتقدمه لمحة تاريخيه للسلطنة المصرية • مصر (١٩٠٢) •

٣ـ رحلة السلطان حسين في رياض البحرين • مطبعة التوفيق (مصر ؟)

٤ـ الرياض الزهرية بين الكويت والبصرة • وهي رحلة الى تلك الاصقاع وصفها ووصف امراءها • مطبعة العرب (١٣٢٥)

٥ـ سياحة اديبة بين الاقصر واسوان • مطبعة العرب (١٣٢٩)

٦ـ مطلع الحياض في مدح كيرللوس الثامن • مصر في (١٩٠٣)

٧ـ نيل الاماني في الدستور العثماني • وهو مجموع ما قيل في الجرائد عن اعادة اعلان الدستور الى خلع السلطان عبد الحميد • مطبعة العرب (١٩٠٩) (١)•

وللانطاكي مؤلفات اخرى نشرت اسماءها مجلة الشذور • ونشرت معها تعريبا يدل انها لم تطبع وانها ستنقل للطبع عن قريب =

٨ـ حقوق التجارة • الجزء الاول ترجمة عن اللغة التركية

٩ـ رواية تهذيب العائلة • هي رواية ادبية غرامية تهذيبية •

١٠ـ منتقى المتأدب من ديوان ابي الطيب • اعتمد المؤلف في شرحه على ما كتبه ناصيف اليازجي مبوبا اشعار المتنبي حسب معانيها •

١١ـ الحب والسلو • وهو قصيدة اولى من ديوان المؤلف •

١٢ـ مطارحة الايام • رواية شخصية ادبية ذات سبعة فصول •

١٣ـ تقلبات الايام • رواية شخصية ادبية غرامية ذات سبعة فصول •

١٤ـ اكتشاف امريكا ـ رواية تاريخيه ذات ستة فصول •

١٥ـ الشهامة ـ رواية شخصية هزلية ذات خمسة فصول

١٦ـ هول النساء ـ هزلية محضة ذات ثلاثة فصول •

١٧ـ آفة الادب او واقعة في حلب • مقامة ادبية هزلية • نشرت في لسان الحال وطبعت في بيروت على حدة • (٢)

---

(١) سركيس = حرف الالف

(٢) مجلة الشذور = النشرة الاخيرة •

لم أطلع على شيء من كتب الانطاكي لان اكثرها لم يطبع ، وما طبع منها غير متيسر اول كثيرا . اما ما عرفته عنه فمن المقالات التي نشرها في مجلة الشذور . فله آراء في الجهل والمعرفة وطرق معاملة الناس اليك بعضها =

" الجهل وقاك الله صفة تذل الانسان ولو كان كبيرا وتحط من شأنه وشرفه البالغ ولو كان حسيبا اصيلا . وإذا قارنه الاستبداد والاعتماد على النفس فهناك البلية العظمى والطامة الكبرى اويا اجتمع الداءان الا ليقتلا ." (١)

" فقم يا صاح وبع عنك اردية الغرور المطويه واقصد سبيل المعرفة والاستفادة وكن لين العريكة في معاملة ابناء جنسك واخوانك مهما كانت منزلتك لتكون انما محبوبا مشكورا تنافس الناس بقربك وتشكر الايام بصحبتك والا فاستأثر الموت على الحياة من ان لا تكون بين الناس شيئا مذكورا فان الانسان يحيا ليربح حسن السمعة وثواب الاخرة لا ليجعل لنفسه وقعا سيئا في قلوب اخوانه ومعاصريه ؟ (٢) .

بدر الدين النعساني — (١٨٨٠ — ١٩٤٣)[٣]

اقتصرت دراسته حتى الثانية عشرة على ما تلقاه في الكتاتيب ثم ارتحل الى مصر للدراسة في الازهر فقضى فيه بضع سنوات كان فيها من تلاميذ الامام محمد عبده وافراد حلقته النجباء . خرج النعساني من الازهر وهو يحمل عقلا جديدا وحسا جديدا . ارتسم اثرهما في الكتاب الذي اخرجه وهو =

١ـ التعليم والارشاد . طبع (١٩٠٦) وهو نقد مر وتحليل واسع تصور فيه الازهر وشيوخه وكتبه ومناهجه .

وفي مصر نضجت شخصية النعساني اذ تلقفه صاحب جريدة " المؤيد " بعد خروجه من الازهر وضمه الى اسرة التحرير فاخذ ينشىء المقالات الساخرة التي ترسم بوضوح نظراته في الحياة . واذ كان النعساني يحمل رسالتين في الحياة = اولاهما النقد الاجتماعي " الذي يطهر المجتمع من الادران والاوصاب والثانية رغبته في تنقية الدين من ضلالات المشعوذين ." وارتفع في مصر نجمه ولاصيته في عالم اللغة شتيه وحسن مجادلته في الدين والادب والاجتماع .

---

(١) مجلة الشذور = الشذرة التاسعة = ٣٠٢
(٢) المكان نفسه
(٣) رواية اخيه الدكتور نوري النعساني في حلب

واخذ من يومها يقوم بتصحيح كتب معدة للطباعة ، دينية وادبية تهافت عليه الناشرون يطلبون جهوده . ولكي يحسن القيام بهذه المهمة اضطر لقراءة عشرات الكتب واعادتها حتى اصبح يعد في طليعة العربيين في فهم النصوص الادبية وشرحها اوفى شرح .

صحح كتاب الاحكام السلطانية للماوردي المطبوع (١٩٠٩) في مصر ، كما جاء ديوان زهير وشرح المفصل للزمخشري وذيله ، وكتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، والملل والنحل والاصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني وديوان الاعشى الذهبي والمعلقات العشر . (١) وله ايضا شرح كتاب فصوص الحكم للفيلسوف الفارابي سماه نصوص الكلم نشر ضمن مجموعة في رسائل للفارابي وطبع بمصر سنة (١٩٠٧) .

والف النعساني بعض كتب باخص كتاب =

القواعد الجلية في علم العربية " دمشق (١٩١٠) .

وفي سنة ١٩٠٨ انتقل النعساني عائدا الى الشهباء بلده بعد ان تجول في الهند وتونس وفي هذه الاخيرة قبض عليه الفرنسيون وسجنوه كما حدثني اخوه الذي عاشره طويلا " الاستاذ حامد وسجنه " . وفي حلب تولى تدريس الادب في مدرسة التجهيز زمنا ، فكان مرجع طلابه في العربية وفنونها من الادب كما انه حجة اللغة وامامة الكلام . فعرف بميله الى التعريب ويتحمس حوله التلاميذ المشغوفون باسلوبه وافكاره . وعرف بكتب المقالات الانتقادية اللاذعة دون ما تورع . واذا وقع مقالاته " ابو فراس " وذلك عزوفا عن الشهرة وتواضعا في العلم (٢)

لم اطلع على شيء من مقالاته او رسائله ، لكن الدكتور الدهان يقول ان النعساني كان يعمل بجامعة اسلامية عرفت بالاستانة (٣)

ولعل قيمة النعساني الادبية تنحصر في ما خلفه في نفوس تلاميذه من حب للادب وتذوق للعلم ، وبما اثر بتصحيحه من كتب .

(١) راجع بروكلمان ٢ : ٤٩٥ ملحق ١ = ٦٣١ بروكلمان — كارل " تاريخ ادب اللغة العربية " برلين (١٨٦٨ — ١٩٠٢) الملحق (١٩٣٧ — ٤٢)

(٢) مجلة الضاد (شباط ١٩٤٣) صفحة ٢ . سامي الدهان الوطنيون = ١٦٠ — ١٦٤

(٣) المصدر السابق نفسه .

الفصـــل الرابـــــع

عبد الرحمن الكواكبـــــــــــي

(١٨٥٤ — ١٩٠٢) (١)

الكواكبي شخصية معروفة في العالم العربي ، وليس هناك كما اعتقد من لم يسمع صيحاته الداوية في الدعوة للحرية ، والتنديد بالاستبداد . فالرجل كان علما من اعلام الشرق طبع شيء بعث النهضة العربية حتى يوم موته اوقف نفسه على خدمة القضية التي آمن بها وكرس حياته لاجلها . وكان حب الاصلاح وحرية الرأى والفكر يسمان كل عمل من اعماله .

ولد من عائلة عرفت بالعلم والفضل ، ولما بلغ الرابعة من عمره ارسل الى انطاكية حيث حضنته جدته (٢) ، وكانت عمة عالمة لقنها ابوها المفتي علوم الفقه . اتقن عبد الرحمن على جدته اللغة التركية وبعد ثلاث سنوات عاد الى حلب حيث تعلم الفارسية والعربية والعلوم الشرعية بالاضافة الى ما استطاع الحصول عليه من العلوم الرياضية والطبيعية . وكان ابوه انذاك مدرسا في الجامع الكبير ومتوليا ادارة المدرسة الكواكبية ، فنال صاحبنا جزء من معارفه في هذه المدرسة . وكان لا يأنف في شبابه ان ياخذ العلوم حتى عن اطفاله وقد روى انه تعلم المثلثات الكروية من ابنه الدكتور اسعد كما حدثني هذا الاخير .

بدأ الكواكبي جهاده السياسي في وقت مبكر عندما اتخذ لنفسه دارا خاصة (٣) كان يجتمع فيها باصدقائه ويتداول واياهم شئون البلاد فيدلي بارائه القيمة ويستمع الى آراء الاخرين .

تقلب في وظائف حكومية عدة لا ارى مجالا لذكرها هنا ، كان فيها جميعا مثال العامل الساعي وراء خير امته وصلاحها . الا ان اخلاصه وعلميته لم يبعدا عنه الشر ، بل جلبا له على العكس من ذلك حسد الحاسدين ونقمة الرجعيين ، فوشى الوالي ضده الى السلطان بعد ان زور ورقة تدينه بالتآمر مع الاجنبي ضد سلامة البلاد ، ودسها بين اغراضه . فكان هذا كافيا لاثارة صدر السلطان عليه ، فصودرت املاكه وحوكم ثم برىء .

---

(١) هذه رواية ابنه الدكتور اسعد في حلب مضيفا ان هذه الحقيقة تخالف ما تكتبه باقي المصادر التي تذكر خبر ولادته في (١٨٤٨) وان جده الموحوم الى تكبير عمره ليتمكن من دخول مجلس المبعوثان . وهناك قطعة خشبية ، هي واجهة خزانة او نافذة اعتاد ان يكتب عليها تواريخ ولادة انجاله ، كما كان قد كتب عليها تاريخ ولادته نفسه . وقد حاول الدكتور وشقيقاته اطلاعي عليها ، غير انا لم نعثر عليها عند زيارة دارهم القديمة فيظهر انها اعطت او سرقت . ان كل المصادر والمراجع تذكر ولادة الكواكبي في ١٢٦٥ الموافقة ١٨٤٨ م ما عدا المقدسي الذي يضع تاريخ ولادته سنة ١٨٤٦ . المقدسي — انيس الخوري " العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث " مصر (١٩٣٩) = ٦٣

(٢) هذه رواية الدكتور اسعد ، وقد ورد حاضنته في المصادر باسم خالته [illegible]

[illegible]

احب الكواكبي الصحافة واشتغل بها مدة في جريدتيه الاعتدال والشهباء ، انشأهما في بلده لم تكن تعرف الجرائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتّاب رائجة فيها . وقد اتى بمطبعة حجرية خاصة من استانبول استعملها حوريا باسم هاشم العطار وذلك حوالي سنة ١٨٧٨ ، ثم عطلتها الحكومة مع بقية الرائجة ايام الوالي جميل باشا وكانت لا تزال موجودة في مستودع الحكومة الى قبيل مغادرة العثمانيين البلاد . (١) وكان يقول " ان موضوع الجرائد هو مطلق خدمة الانسانية من حيث تهذيب الاخلاق وتاليف الافكار ورذل (كذا) النقائص واحترام الكمالات والمحافظة على العدالة والمحاماة عن الحقوق (٢) " ولما لم يكن للقلم المحيط الواسع الذي يجول فيه في حلب ، لا سيما وسيف الاستبداد الحميدي مسلط على الرقاب ، ضاق به مسقط راسه ، فنزح عنه الى مصر يحدوه امل قوى بان تمكن نفسه الكبيرة فيها من ان تؤدي رسالتها التي تصبو اليها في الجهاد ، وان يحقق قلبه الجرئ مبادئه السامية في الاصلاح .

هبط مصر سنة ١٩٠٠ . ومصر يومئذ مركز النهضة الادبية ، فلم يلبث ان تبوأ مكانا ممتازا من هذه النهضة واصبح احد اعلامها البارزين . ووجد فيه الصحفي مجالا رحبا فاخذ يكتب في جريدة المؤيد مقالات سياسية بتواقيع مستعارة (٣) . وتقرب منه الخديوي عباس الذي كان له ولع غريب بالقضية العربية وامل بعيد في تقلد الخلافة . فتوسط صاحب المؤيد لدى الخديوي في ارسال الكواكبي الى عدن بمرتب شهري قدره خمسون جنيها مصريا " ليسعى لدى شيوخ ورؤساء الامارات العربية بتوقيع عرائض يبايعون فيها الخديوي عباس بالخلافة الاسلامية " ، وكانت اختام هؤلاء العربان تصنع في القاهرة ثم ترسل الى عدن ليمهر بها الكواكبي عرائض الرجال الامّيين ثم يعيد ارسالها الى القاهرة . (٤) (٥) وفي مصر انتسب الكواكبي الى جمعية الكتاب العربية وكان فيها عضوا عاملا (٦) .

وخفت صوت هذا المصلح الاجتماعي الكبير الذي كان " وحيدا في نبوغه وغيرته العربية ووجه العقيدة ، واتفقامه بين المشتغلين بالقضية العربية " ، والذي شارك في رفع مستوى الفكر

---

(١) رواية ابنه الدكتور اسعد

(٢) طرازي صحافة ١ = ١٦

(٣) لم اتمكن من تمييزها في مجموعة المؤيد لكثرة المقالات التي تخفي اسماء اصحابها .

(٤) مجلة الحديث (شباط ١٩٥١) ١١٩ ابراهيم سليم النجار

(٥) المصدر نفسه = ١٢٠

(٦) جريدة الرقيب (١٩٠٢) عدد ٢٢٨ عن رسالة سكرتير الجمعية المذكورة اسكندر شاهين

العرب ، وفي ايقاظ الهمم الفاترة وبعث الدعوة القومية . (١) وقد نشرت المؤيد اخبار الوفاة بالتفصيل . (٢)

افاد الكواكبي من تجواله الطويل في اواسط جزيرة العرب ، والهند وشرقي افريقيا فالمّ بداء الامة العربية والاسلامية وعلم مكامن الاعتلال فيها ، فاذابت به روحه القومية واندفاعه المتحمس الى اصدار كتابين =

١- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد . صورها في الرحالة ك (٣) . مصر (حق ؟) .

ولست ادري ان كان قد جمع في هذا الكتاب مقالاته السياسية التي كان ينشرها في المؤيد[٤] أم انه جمع بعضها فقط ، اذ ان قوله " فنشرت في بعض الصحف الغراء ابحاثا علمية سياسية في طبائع الاستبداد ." (٥) لا يؤيد رأيي . وعلى كل لقد الف هذا الكتاب واراد به " تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين عسى يعرف الشرقيون انهم هم المتسببون لما هم فيه فلا يعتبون على الاغيار ولا على الاقدار وعسى الذين فيهم بقية رمق من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات " . (٦)

والكتاب دعوة جريئة الى العروبة استعمل فيه المؤلف ذكاءه الفائق واطلاعه الواسع في فنون السياسة واموريها دون ألف بها وكتب منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا (٧).

اما وصفه للاستبداد فهو وصف فيلسوف اجتماعي محقق (٨) ، دقق في احوال البشر وعرف طبائع العمران فكشف ان " للاستبداد اثرا سيئا في كل واد (٩) " وانه داء [illegible]

---

(١) مجلة الجهاد (السنة الخامسة ١٩٣١) عدد ٦٢ = ٣ ، ٦ عبد القادر حقي العظم
(٢) راجع كذلك عن تاريخ حياته مجلة المجمع العربي (السنة الثامنة؟) عدد ٣ = ٢١ محمود ابو ريه
مجلة كل شئ والعالم . (١٩٣١) عدد ٢٦٥ .
مجلة اللطائف المصورة (١٩٢٩) عدد ١٣ مايو
الطباخ ٧ = ٥٠٧ – ٥٢٤ ، زيادة تراجم ١ : ٦٢٢-٦٢٤
(٢) راجع المؤيد (١٩٠٢) عدد ١٢ يونيو
(٣) لفت ابنه الدكتور اسعد نظري الى ان كلمة "صورها" هو تعادل اسمه عبد الرحمن الكواكبي بحساب الجمل وذلك باعتبار الرحمن بالالف المحذوفة . ولكنه بعد الحساب تبين انه : صورها هو له ، تعادل عبد الرحمه الكواكبي بالالف المرهلة .
(٤) مجلة الحديث (شباط ١٩٥١) ١١٨ – ١١٩ ابراهيم سليم النجار
(٥) طبائع = ٢
(٦) المكان نفسه
(٧) طبائع راجع = ٣ – ٤ ، ٣٥
(٨) " " = ٥ ، ٦ – ٨ ، ٥٠ ، ٦٥ ، ٦٦
(٩) " " = ٢٣

العثمانية فقال لانه " اشد وطأة من الوباء " . اكثر هولا من الحريق ، اعظم تخريبا من السيل اذل للنفوس من السؤال " . (١) ؛ وحلل اثر نفوس الناس واخلاقهم من الاستبداد الذي يؤثر اشرارهم على الرعاع والعامة ؛ ويقوي بذور الشر في اشرارهم ويضعف الثقة بالنفس الى آخر ؟ (٢)

ويستعرض الكواكبي في اعطاء امثلة(٣) من التاريخ على المستبدين وكيف يجب ان يكون موقف الافراد والرعية منهم . (٤)

٢- ام القرى . طبع في مصر (١٩٣١) وهو وصف لمؤتمر خيالي انعقد في مكة سنة (١٨٩٨) حضره وفود الدول الاسلامية جميعها وعددهم " اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية " ويصف فيه واسلوبه الجميل حالة العالم الاسلامي ويشخص امراضه ثم يصف رأيه في اصلاح الاسلام ويجمع كلمة المسلمين بمذاكرات سجلت ما دار في الاجتماعات الاثني عشر انتهت بالدعوة لتأسيس جمعية علمية . ويعتبر الكتاب من العوامل الفعالة في ايقاظ الشعور القومي بين العرب اذ هو يدعو الى خلافة عربية مركزها الجزيرة العربية " . (٥)

ويعتقد بعضهم ان الكواكبي قد اخذ فكرة المؤتمر الاسلامي من الافغاني لكنه شرحها شرحا جديدا . ويبقى الكواكبي ارقى من الافغاني اذ ظل حتى آخر حياته عدو عبد الحميد الالد بينما انتهى الاول بميله الى السلطان بمجيئه الى الاستانة واقامته فيها الى ان مات . (٦)

٣- وللكواكبي من الكتب غير ما ذكر " صحائف قريش " وهو مفقود . (٧)

٤- كتاب العزة والعظمة لله (٨) .

٥- مذكرات عن رحلاته التي قام بها .

ويظهر ان هذه الكتب قد فقدت بوفاة الكواكبي اذ داهمت الشرطة بيته لتفتيشه ولم يبق من كتبه سوى نسخة من طبائع الاستبداد عليها زيادات بخط المؤلف وملاحظاته . (٩) .

---

(١) طبائع = ٦٤
(٢) المصدر نفسه = ٧٠ ؛ ٧٤
(٣) " " = راجع = ٩ ؛ ٥٤
(٤) " " راجع = ٨ ؛ ١٠ ؛ ١١
(٥) المقدسي = ٦٣
(٦) طرازي صحافة = ٢ = ٢٠١ — ٢٠٢ نقلا عن جريدة الرأي العام البيروتية (١٤ آب ١٩١٢)
(٧) مجلة كل شيء والعالم (٤ يناير ١٩٣٩) عدد ٢٩٥
(٨) رواية ابنه الدكتور اسعد = ٩
(٩) هذا ما حدثني به الدكتور اسعد وقد اطلعت على هذه النسخة بزياداتها وافردنا فصلين في البحث الاخير الثالثة اذ هو كالثلم في بالوعة المعلومات عن الرسالة . ويجوز ان تكون هذه الكتب طبعها قد ضاعت يوم صادرت الحكومة في حلب اموال الكواكبي وسجنته (رواية ابنه ايضا) .

اما آراء الكواكبي الخاصة فنستخلص من كتبه كما يلي =

أسباب ضعف المسلمين وتأخرهم =

يعود ذلك في نظر الكواكبي الى اسباب دينية وسياسية واخلاقية وادارية وغيرها (١) . فبعضه حرمان الامة من حرية القول والعمل " وفقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقاتها ، وانغماس امرائها في ترفهم وشهواتهم ، واستغراق الناس في الجهل ، وفقد التربية الدينية والاخلاقية ، وفساد التعليم والوعظ ، وفقدان الجمعيات ، والتهاون في مالية المسلمين ، (٢) والجهل المطبق لا سيما في الدين (٣) ، وتشويش الادارة والمركزية الشديدة ، وعدم مجاراة الزمن وعدمه والتغافل عن المستقبل ، والضغط على الافكار العقيمة ، وعدم اشتراك الرعية في المصالح السياسية والملكية (٤)

ومن اسباب الخلل ايضا الفقر العام (٥) ، وعدم الاهتمام بتعليم النساء ، وفساد الاسرة ، والاعتزال في الحياة والتواكل (٦) .

اما الدواء لهذا الضعف فعنده " تنوير الافكار بالتعليم و .. ايجاد شوق للترقي في رؤوس الناشئة " (٧)

رأيه في التربية =

للكواكبي آراء تقدمية في التربية تعد وقتها بمثابة بل لكثيرها نعرفه الان . فهي علم وعمل (٨) يعد فيها العقل اعدادا يمكنه من التمييز والادراك ، والفهم والاقناع ، والمواظبة والعادي . (٩) ويرى ان الحكومة هي التي يجب ان تهيء تربية النفس حتى تيسر خروجه للحياة ، ويكون ذلك في بسنها قوانين الزواج ، وتأمين الاطباء والقابلات وتهيئة دور اللقطاء والايتام ، والمكاتب والمدارس التي يكون فيها التعليم اجباريا في كافة المراحل ، ثم تسهيلها الاجتماعات وحمايتها المنتديات وتأمين حياة العاجزين عن الكسب ، وتكريم العلماء وذوي الفضل . (١٠)

---

(١) ام القرى راجع = ١٣٨ - ١٥٢
(٢) المصدر نفسه راجع = ٥١ - ٥٢ ، ١٤٠ - ١٤١
(٣) " " = ١٦٨
(٤) " " = ١٤٣ - ١٤٧
(٥) " " = ٥٢
(٦) " " = ١٤٩
(٧) " " = ١٦٩
(٨) طبائع = ٨٨
(٩) المصدر نفسه = ٩٤
(١٠) " " = ٨٤ - ٨٥

واهم انواع التربية هي التربية الدينية . (١) فهي نقطة الانطلاق للوصول بعدها لتحرير الضمائر باتباع طرق التربية والتهذيب في شتى مرافق الحياة (٢) . والنشء الامثل الذي تعقد الامة آمالها عليه هو الذي يشعر افراده بدينهم ويحرصون على مبادئه الاساسية . (٣)
أما الناشئة المتفرنجة " ولست ادري ماذا يقصد بكلمة متفرنجة ، فلا يرجى منها الخير لاوطانهم لان افرادها " لا خلاق لهم تتجاذبهم الاهواء كيف شاءت لا يعرفون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد " (٤) .

الـدين =

يريد الكواكبي النهضة ، ويريدها عن طريق الدين ، واعظم بها من نهضة تبنى على الشرائع الاسلامية وآدابها . واننا لنقدر هذه الغيرة التي يضعها على الناحية الدينية في كل ما كتبه ، فهو لا ينفك يشدد في وجوب العناية بها وتقويمها لان اصلاح الدين في نظره " اسهل منالا واقوى واقرب طريقا للاصلاح السياسي ." وعندما تتم النهضة الدينية يأتي الانتظام السياسي تبعا لها . (٥) والكواكبي يرى ضرورة تجديد هذا الدين (٦) ، وارجاعه الى ما يتفق مع صريح الكتاب وصحيح السنة ، ليس عند الاسلام فقط بل هو ينادي الشرقيين عامة " من بوذيين ومسلمين ومسيحيين واسرائيليين .. " الى تجديد النظر في الدين " فيجددون القواعد المهملة ويهذبونه من الزوائد الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين بتقادم عهده . (٧) ولهذا لا يترك هذه الفرصة دون ان يسجل اعجابه بالبروتستانتيه التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاولية ، ورجحت الاقتصار على الانجيل وعلى متون الكتب المقدسة ، مهملة الشروح والتفسيرات والمزيدات . وجماعة البروتستانت في اوروبا وامريكا قليلو التعصب ، ويرون " مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق بشروط ظهوره ظهورا عقليا " . (٨) .

ويشبه البروتستانت فئة قليلة من اليهود " تعرف باسم القرائين وهم الاخذون بأصل التوراة والمزامير النابذون للتلمود اي لتفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الاقدمين (٩) .

---

(١) طبائع = ٨٣
(٢) المصدر نفسه = ٧٨
(٣) ام القرى = ١٦٢
(٤) المصدر نفسه = ١٦٣
(٥) " " = ٢٠١
(٦) " " = ٦٤
(٧) طبائع = ٨١
(٨) ام القرى = ٩٢ — ٩٣ ، وراجع كذلك = ١٢٤
(٩) المصدر نفسه = ٩٣

واتباع سنن الانبياء دون أوهام المتفننين هو الطريق المثلى للاصلاح .(١)
" الا ان مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد " (٢)

على ان حقيقة الدين عند الكواكبي ، كما هي عند كثيرين غيره ليست في طقوس فارغة " وهوسات " تهدر بها الاموال والاوقات ، فهذه لا تفيد في تطهير النفوس شيئا لفقد عنصر الاخلاص فيها لكن حقيقة الدين عبادات وخصوصية هدفها الايمان الحق (٣) . وما القضاء والقدر في فلسفته الا سعي الانسان وعمله . (٤) ولعل تمادي الناس في العقيدة الجبرية كان من جملة اسباب تخلفهم . (٥) وهذه المفاهيم العامة التي سرت بين افراد الامة ، زادت عليها بلية ، كالحث " على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفسية وكبح المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والتفاخر والاقدام على عظائم الامور ، " (٦) وغير ذلك مما يحض اليه "الاسير المعذب" الذي يمني نفسه بالسعادة الاخروية فيتصور الجنان ذات الافنان وكل ما وعد به من مشوقات للحياة الثانية فيقعد خائر الهمة فاتر العزيمة ، قد خدرت اعصابه اقوال يتناقلونها امامه " الدنيا سجن المؤمن . المؤمن مصاب . اذا احب الله عبدا ابتلاه " ، وبهذا توسع اخيلته هذه التي تعقب عنه وتسليه وتساوي بينه وبين الاغنياء في مظاهر الرفاه . ناسيا الاحاديث التي تقول " ان الله يكره العبد البطال .. اذا قامت الساعة وفي يد احدكم غرسة فليغرسها "(٧)

ويعيب الكواكبي على العلماء الرسميين او بالاحرى الجهال المتعممين (٨) سلوكهم . فهم قد جعلوا العلم " صنعة وسمسية تعطى للجهال حتى للاميين بل للاطفال " وعادوا في تفخفخة القابهم فاحدهم " افضل الفضلاء العلامين " وثانيهم " اقضى قضاة المسلمين معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين .. " (٩) هؤلاء ، والى جانبهم طبقة "العلماء المدلسين " الذين يغوصون في الدين ويبالغون في سلوك سبيل الزهد هم وبال على الدين . وقد جرت "العادة ان يلجأ ضعيف العلم الى التصوف كما يلجأ فاقد المجد الى الكبر .. " (١٠) هؤلاء الذين يولون

---

(١) طبائع = ١١٢
(٢) ام القرى = ١٢ — راجع كذلك = ١٤
(٣) طبائع = ٨٣ ، ١٠٦
(٤) المصدر نفسه = ١١٣
(٥) ام القرى = ٢٣
(٦) المصدر نفسه = ٢٣ — ٢٤
(٧) " " = ٢٤ — طبائع = ٨٧
(٨) ام القرى = ٤١
(٩) المصدر نفسه = ٤٢
(١٠) " " = ٣٥

القرآن بما لا يحتمله ، ويدعي قلة منهم الكرامة على الله لتضليل العامة " بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني " فتقص لهم الحكايا لتجذب قلوب البسطاء من العامة الى مظاهر الخشوع وحالات انهيار الاعصاب (١) . ان هؤلاء " الا قوم قد اتخذوا البكاء سلاحا والخمول خيرا والخبل خشوعا والصرع وصولا والهذيان عرفانا والجنون منتهى المراتب السنية للكمال . (٢)

ويلح ان الكواكبي من اعداء التصوف اذ يرى في جماعته قلة " لم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا احكاما في الدين سموها علم الباطن او علم الحقيقة او علم التصوف علما لم يعرف شيئا منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الاولى " (٣) . وانكر ما يمج ذوقه الديني فكرة الحلول في التصوف (٤) ، لكنه يرحب بما احتوته السنوسية من تعاليم (٥) .

والعالم الديني الحقيقي هو الذي يبقى سليم الفطرة لم يفسد ذهنه " في ابحاث الكلام وترهات المعتزلة واغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج ومخرجات الفقهاء المتأخرين وحشويات الموسوسين .. (٦)

هذا العالم لا يجرؤ على الافتاء ما لم يذكر مع المسألة دليلها من الكتاب او السنة او الاجماع كما كان يفعل الصحابة والتابعون . (٧)

والكواكبي يكره التشديد في الدين ويرى فيه ابعاد المؤمن عن الحنيفية اذ يرى نفسه تجاهه متهاونا مهما فعل " فيهون عليه التهاون اختيارا كالغريق لا يحذر البلل " (٨) كما يكره البدع لانها اشراك صريح يأباه الدين الحنيف (٩) ، ولذا يجب تطهيره منها وتنقيته بما يقبله " العقل المتنور " . ولعل تأليف كتاب ديني خال منها يصور سماحة الدين الاسلامي هو فكرة صالحة تنقذ تلاميذ المدارس المصرية من هجر الاسلامية واساءة فهمها (١٠) .

وصاحبنا رغم اعجابه بنظريات الغرب العلمية الحديثة ، واكتشافاته واختراعاته الا انه يرى ان المدقق في القرآن يجد ان اكثرها قد ورد فيه اما صريحا او تلميحا . فها هم قد " كشفوا ان

---

(١) ام القرى = ٢٩
(٢) المصدر نفسه = ٨٩
(٣) " " = ٧٨ ـ ٧٩
(٤) " " = ٣٣ ، ٧٢
(٥) " " = ١١٦
(٦) " " = ١٠٢
(٧) " " = ١٠٤
(٨) " " = ١١٢ ـ ١١٣
(٩) " " راجع = ٣٧ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ـ ٨١ ، ١٩١ .
(١٠) " " " = ١٢٦ ـ ١٢٧

الكائنات في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول وآية لهم الارض الميتة احييناها الى ان يقول وكل في فلك يسبحون " (١)

ويرى في النهاية ضرورة نبذ التعصب الديني والتخلص عن المذاهب المتفرقة(٢) وضرورة التخلص من سيطرة رؤساء الدين (٣) . والابتعاد عن هذا التعصب مصدره لان الاديان كلها لم تشرع الا للحب وجمع القلوب لا لتصدر التفرقة والبغض بين الاخوان .

ولا يسعني قبل ان اختم هذا البحث من أن اسجل على الكواكبي خطأ في فهم فكرة دينية تاريخية . فهو يرى ان مشركي قريش لم يعبدوا اصنامهم لاعتقادهم فيها الالوهية بل اتخذوها قبلة ؟ على أنها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده " فلعله اخذ الفكرة عن المسيحيين الذين يقدسون الايقونات لا لذاتها بل لانها تمثل المسيح وامه .(٤)

ولأن كان امل الكواكبي باحياء الدين كبيرا فأمله في الاعتماد على العرب لاحياء الدين وخلافته اكبر (٥) .

العرب والخلافة العربية :

العرب هم أصحاب الكفاءة الذين يمكنون من ازالة فتور الامة الأسلامية (٦)

وهم " الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية" (٧) وما ذلك الا لان =

" عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيهم . " و

" وهم اعرف المسلمين بقواعد الدين واكثرهم حرصا عليه " .

و " لغتهم افصح لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من ان تموت " .

وهم " اعرف الامم في اصول الشورى في الشئون العمومية " .

وهم " اهدى الامم لاصول المعيشة الاشتراكية " (٨)

والعرب في الجزيرة ما زالوا " اهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة " (٩) .

---

(١) طبائع = ٢٤ انظر كذلك ام القرى = ٤٧ — ٤٨
(٢) ام القرى = ١٣٦
(٣) المصدر نفسه = ٣٤
(٤) " " =٧٥
(٥) " " =١٩٢ ، ٢٠١
(٦) " " =١٩٩
(٧) " " =١٩٧
(٨) " " =١٩٣ — ١٩٧
(٩) " " = ٨٨

هذه بعض صفات يقاربها العرب في جوهرهم وهي خليقة بأن تجعل بلاد هم كفوءا لحمل الرسالة بأمانة وتأديتها بإخلاص • فمكة هي البلد الذي يجب أن يستقر فيه الخليفة العربي وهذا الخليفة يحكم بصورة شورية ، وهيئة الشورى تتألف من نحو مائة عضو تنتخبهم جميع السلطنات والامارات الاسلامية ، ولا تمارس الا الاعمال المنحصرة في السياسة الدينية العامة (١) • وبهذه الطريقة تتحقق فكرة الجامعة الاسلامية التي كثيرا ما يذكرها ويشيد بها • (٢)

ومن أولى من العرب بفهم الشورى واتباعها ، وهذا القرآن مشحون بالايات التي تمجد الشورى وتدعو اليها ، (٣) وبالقصص الشورية مثلا عليها كقصة الملكة بلقيس (٤) • وهذا هو الرسول يعطي نموذجا طيبا عنها ممتثلا لأمر ربه " وشاورهم في الامر " ولم يشذ الخلفاء الراشدون عن هذه القاعدة متشبهين بالنبي (٥) •

وهيئة الشورى هذه كما يقترح الكواكبي هي التي يناط بها أمر انتخاب الخليفة العربي الذي من أولى واجباته مراقبة قرارات الشورى وتنفيذها ، على ان لا يتداخل في الشؤون السياسية والادارية للبلاد الاسلامية تطوعيا ويكتفي بذكر اسمه في الخطبة دون ان يذكر في المسكوكات ، او يكون تحت امرته قوة عسكرية (٦) •

ولعل تشبع الكواكبي بفكرة الاتحادات التي تشكلت في القرن التاسع عشر في اوربا ، هي التي الهمته اختطاط هذا الترتيب ، والتوسل بواسطة الخلافة الى عقد اتحاد اسلامي تعاضدي تعاوني على غرار اتحاد الالمانيين والامريكانيين (٧) •

الكواكبي والاشتراكية —

يؤمن بطلنا الفكري بنظام " الاشتراك العمومي " بحيث يتقارب الناس في الحقوق

---

(١) أم القرى = ٢٠٧ — ٢٠٨
(٢) المصدر نفسه = ٥٤
(٣) طبائع = ١٩
(٤) المصدر نفسه = ١٨
(٥) ام القرى = ٥٩
(٦) المصدر نفسه = ٢٠٧ — ٢٠٨
(٧) " " = ٢١٠

والحالات المعاشية ، ويخلصون من الاستبداد المالي . " والاسلامية " طور هذا (١) . وحض الناس على الزكاة لتوزع على المحتاجين الذين يلحقون بأغنياء الامة اذا حصلوا على نسبة معينة من رؤوس الاموال ، هذا الدفع "يمنع تراكم الثروات المفرطة " وحصرها في يد فئة محدودة . الاسلامية قد تركت " معظم الاراضي الزراعية ملكا لعامة الامة يستغلها ويتمتع بخيراتها العاملون فيها فقط دون ان يدفعوا عنها شيئا لبيت المال سوى العشر او الخراج (٢) .

ولتأييد دعوته للفكرة الاشتراكية ، يضرب الكواكبي الامثلة عن حكومة الصين التي لا تجيز قوانينها لمن يملك الشخص الواحد اكثر من مساحة معينة ، وحكومة روسيا التي سنت كذلك نظاما تحدد الملكية وتحدده . ثم يحذر حكومات الشرق بانها اذا لم تبادر فتتشبه بروسيا سداً للعاقبة وان الثروات الافرادية الى قسم الناس الى اسياد وعبيد (٣)

الكواكبي والمرأة —

يعتقد الكواكبي بمكانة المرأة في المجتمع ، ويرى ضرورة تعليمها وانتشالها من مهاوي الجهل الذي تتردى فيه ، لعلها تسترجع سابق سيرتها وتتشبه بام المؤمنين عائشة " وبنات غيرها من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والفقيهات فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات " ممن نبغن في العهد الاول (٤) اما فيما يتعلق بالشريعة وموقفها من المرأة ، فالكواكبي يفسر الحجب والحجر الشرعيين " باستقرار المرأة في بيتها الا لحاجة ، وذلك درءا للفجور ورحمة بالرجال وتوزيعا لوظائف الحياة . (٥) ثم يعود في مكان اخر فيعيب عليها " تبين الاشغال بدعوى الضعف " واتكالها على الرجل في كل شيء "كالشلال تحت مجموع البشر يتكل على نصفه الاخر . وان الشرع يتمشى مع الحضارة والمدنية على نسبة الترقي المضاعف . فالبدوية تسلب الرجل نصف ثمرة اعماله والحضرية تسلب اثنين من ثلاثة . والمدنية تسلب خمسة من ستة " (٦) .. فكيف

---

(١) طبائع = ١٨
(٢) المصدر نفسه = ٥٦ — ام القرى = ٥٣
(٣) طبائع = ٥٧ ــ ٥٩
(٤) ام القرى = ١٥٧
(٥) المصدر نفسه = ١٥٨
(٦) طبائع = ٥٢ ــ ٥٣

يريدها أن تتمسك بما فرضته عليها الشريعة من احتجاب ، وتسعى في الوقت نفسه لكسب معيشتها كي لا تسلبه نصف ثمرة أعماله ؟ ...

ويراه فيما يتعلق بالزواج يشدد على ضرورة رعاية الكفاءة فيه ، ولا سيما فيما يتعلق بالزوجة التي يجب أن يتأكد من أخلاقها وأصلها قبل الاقدام على طلب يدها ، لما لها من تأثير كبير في حياة رجلها الذي " يجبر طوعا أو كرها لأخلاق زوجته " (١) ولأنها تشوهه "بصفة سائق لا تابع " عندما يمشي أمامها في الطريق ظانا أنه يقودها . (٢)

العلم —

يرى هذا المصلح الاجتماعي خسران الامة في جهلها وحياتها وسعادتها في علمها . ولا يفتأ يذكر مساوئ الاول ومحاسن الثاني كلما سنحت له فرصة (٣) . ولا تروقه العلوم الدينية المتعلقة بالمعاد " لأنها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة . " ولا العلوم اللغوية المقومة للسان " اذا لم يكن وراء اللسان حكمة تعقد الالوية أو سحر بيان على الجيوش " . بل علوم الحياة العصرية مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الامم وسياسة المدنية والتاريخ المفصل والخطابة الادبية ، فهي علوم تمزق الغيوم ، وتوسع الآفاق وتجلو العقول . (٤)

وهذا العلم يجب أن يكون مقرونا بالعمل (٥) وأن تنظم له خطة توحد الوجهات وتجمع القوات فلا تعود الخواطر المتحركة حائرة الاتجاه مشتتة القوة ، (٦) وفي هذا كله يلزم الثبات والأقدام وطول المطال . (٧)

الجمعيات —

لا يعدم صاحبنا الامل في ازالة الضعف من جسد الامة وذلك باعدادها باللوازم الادبية في الحياة السياسية ، فتحقق بالقوة ، وتسترجع أمجادها كاليونان والرومان والامريكان والطليان واليابان (٨) . ولعل من أقرب الوسائل لتحقيق هذا هو عقد الجمعيات العلمية

---

(١) ام القرى = ١٥٦
(٢) المصدر نفسه = ١٥٨
(٣) " " = ٢٧   طبائع راجع = ٢٧ — ٣١
(٤) طبائع = ٢٧ — ٢٨
(٥) ام القرى = ١٥٤
(٦) المصدر نفسه = ١٠
(٧) " " = ٢١٦
(٨) " " = ١٤

الثانوية (١) التي تنتشل الأمة من جهالتها وترقيها في معارج المعارف مجردة عن كل صبغة سياسية .(٢) فصورت جمعية كهذه " تفرق طبل حزب الشيطان وتستدعي سمع الامة مهما كان في رقاد عميق وتقودها الى النشاط وان كانت في قبور مستحكم عميق (٣) .

اما مهام جمعية كهذه ، خلا تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمها ، فهو ايجاد مدارس مختصة لنوع او نوعين من العلوم والفنون لكي ينبغ في الامة الاختصاصيون . والسعي لتوحيد اصول التعليم وكتب التدريس (٤) . كما تهتم الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية في مركزها لاعداد التلاميذ الـ بثقافة تؤهلهم للسياحة والبحوث ومن ثم يكون على عاتق الجمعية ايفاد البعثات العلمية الجغرافية الى كل البلاد الاسلامية لدراستها والاطلاع على احوالها . (٥) .

الغرب والشرق -

هناك تباين كبير بين ابناء الغرب وابناء الشرق في الطبائع والاخلاق ، ولهذا ليس من شأن الشرقي ان يجوز ما يستبيحه الغربي . فالغربي " ارقى من الشرقي علما وثروة ومنعة (٦) لكنه تأجر طغت الحياة المادية عليه وصبغت كل عمل من اعماله حتى فقد كل المبادئ السامية والعواطف الشريفة التي تدعمها له نصرانية الشرق . فالجرماني جاف الطبع ، قاس يمجد القوة ويرى ان العنصر الضعيف يجب بتره ، يحب المال ويستبيح لاجله كل شيء . واللاتيني " مطبوع على العجب والطيش يرى العقل في الاطلاق والحياة في خلع الحياء " (٧) .

اما الشرقي فقد تمكن اليأس من مباراة الغربي ، فنام وطالت غفوته حتى تضاعف قصوره . وزاد في خلل امره اخلاده الى الخمول والتواكل والدعاء وارتياحه الى العفو والراحة متأنسا من تذكيره بالحقائق ومطالبته بالواجبات . (٩) كما زاد تقليده للاجانب يوقعه فيهم

---

(١) ام القرى = ١٦٩
(٢) المصدر نفسه = ١٦ - ١٧
(٣) " " = ١٥
(٤) " " = ١٧٨ - ١٧٩
(٥) " " = ١٨٤
(٦) طبائع = ١٠٨
(٧) المصدر نفسه = ٧٩
(٨) ام القرى = ٥٠ - ٥١
(٩) طبائع = ٨١

الكمال في بسلاء حاله وانحطاط امره فهو يفخر اليهم كما يفخر الصبيان الى آبائهم ومعلميهم ، ويندفع ورا' تقليدهم فيما يظنونه رقة وتمدنا وظرافة . (١)

الا ان الشرقي يتميز بالشرف فهو من اهم مقاصده ، فالصينيون يحسدون الى تصغير ارجل بناتهم بالضغط عليها " لاجل ان يحفظ عليهن الحسن والسعي في افساد الحياة الشهوية " وفي هذا يتفوق على الغربي الذي لا يهمه سوى ملذاته وعاداته . (٢)

ولعل اقامة الكواكبي في مصر ، ومحسن الوشاية التي لاقاها بين ظهرانيهم ، قد اضعفت تشاؤمه بهم وايمانه بصلاحهم لتسنم " حفظ الحياة الدينية التعليمية وترقيتها وهي من وظائف الجامعة الاسلامية التي ينادي بها (٣) . ولما كان من خلق المصريين " سهولة الانقياد ولا سيما للحق " (٤) فهذا ما يجعلهم اهلا للقيام بالواجب المنتظر منهم ، لا سيما وانهم ارباب النهضة بكل فروعها .(٥) ومصر بلدهم " دار العلم والحرية " خليقة ان تكون مركز جمعية .(٦)

اما العثمانيون فالكواكبي يكرههم كل الكره ، وهو لا يكتم كرهه هذا او يستره . ولعل له من الاعذار ما يؤيد هذه العاطفة . فهم يبغضون العرب بشدة ، (٧) ويكفي هذا سببا وجيها يتمسك به رجل يؤمن بالعروبة ويقدس مزاياها . وهم يستعملون كل الالفاظ التي تحط من شأن العربي وتذله ، وامثالهم القومية مفعمة بهذا . (٨) وهم لم يخدموا الاسلام سوى بتشييد بعض جوامع ، لربما كان ذلك رغبتهم في ذكر اسمائهم على منابرها (٩) وهم قد اضروا الاسلام بالطاعة العمياء (١٠) ، ولم يحترموا شعائره الا بالظاهر ، اذ كان غرضهم الاول المحافظة على ملكهم (١١) ، . وقد استعملوا الدين اداة لقيادة الناس وارهابهم (١٢) .

---

(١) ام القرى = ١٦٠
(٢) المصدر نفسه = ١٥٨ – ١٥٩
(٣) " " = ١٩٢ – ١٩٣
(٤) " " = ٨٨
(٥) " " = ١٨٩
(٦) " " = ١٨٨
(٧) " " = ١٥٠
(٨) " " راجع = ١٥١
(٩) المكان نفسه =
(١٠) المصدر نفسه = ١٥٢
(١١) " " = ٢٠٢
(١٢) " " = ٢١٤

وضيّعوا ما بناه العرب ، واذلوا الامة بتحولاتهم شرقي اوروبا وهذا انتهاهم عنها • (١) واخيرا أليسوا هم " قد تركوا الامة اربعة قرون ولا خليفة وتركوا الدين تعبث به الاهوا" ولا مرجــــع وتركوا المسلمين حيا بكما عميا ولا مرشـــد " (٢) •

اللغـــــــــة —

يحب الكواكبي اللغة العربية ، الا انه يكره مشاكلها وتعقيداتها ، ومفرداتها ومجازاتها " وقواعد الصرف وشواذه والنحو وتعقيداته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاتـــه مما لا يتيسر اتقانه الا لمن يفني تلك عمره فيه " فهذه كلها أمور لا طائل تحتها ولا لزوم لاكثرها • (٣) والكواكبي يرحب بفكرة تبســـيط اصول تعليم العربية لكي يتوصل الى اتقانها بســرعة وسهولة كما يفعل المستشرقون • (٤)

تيار الفكر الاوربي عند الكواكبي —

يقول رئيف خوري في كتابه ، الفكر العربي الحديث ، ان الثورة الفرنسيـــة ومبادئها قد اشتركت في تكوين عقلية الكواكبي •(٥) ويبدو هذا القول صحيحا الى حد كبير• فالرجل كان جد معجب بيقظة الشعب الفرنسي وما تمخض عن ثورته من مبادئ "يعشقها كل محب للاصلاح ، نزاع الى الحرية • وما اكثر ما يردد الكواكبي هذه الكلمة • (٦) فهي عنده " افضل من الحياة " (٧) ، وهي العاطفة المفقودة التي هي من الفرد اختيار القول والفعل • ومن فروعها " تساوي الحقوق ومحاســـبة الحكام •• وحرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعـــات وحرية المباحثات العلميـــة " (٨) بالاضافة الى العدالة والامن واستقرار العلم •

كذلك ترد في كتبه ألفاظ الانســانية (٩) وحقوقها (١٠) التي يصح ان يقال انها مقتبســـه من اعلان حقوق الانسان التي انبثقت من الثورة الفرنســـية •

---

(١) ام القـــرى = ٢١١

(٢) المكان نفســـه

(٣) المصدر نفســه = ١٠١

(٤) " " = ١٢٧ ـ ١٢٨ راجع كذلك = ١٧٨

(٥) خوري = ١٠٨

(٦) طبائع راجع = ٦٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ام القرى = ٢٨ ، ٢٩

(٧) طبائع = ٣٢

(٨) ام القرى = ٢٨ راجع كذلك طبائع = ٧١

(٩) طبائع = ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ١١٧

(١٠) المصدر نفسه = ٢٨

ثم هو يفسر ما يعنيه لفظ الامة او الشعب ، وفي تفسيره مفهوم حديث لهذه الكلمة . فالامة أفراد جمعت بينهم روابط عديدة كالجنس ، واللغة ، والوطن والحقوق المشتركة . (١) هذه الامة يجب ان تظلها حكومة حرة (٢) ، فهم مواطنوها تعمل على رفاهها . وهل غير الحكومة الدستورية (٣) من يسد هذا النقص او يعوض هذا العجز ؟ الحكومة الدستورية التي تسيطر مجالس نوابها على الادارة العامة وتشارك في توجيه سياسة البلاد .. (٤)

ولا يعجب الكواكبي بالشورى وبعدالتها فقط بل يشارك "الحكيم" ايضا (٥) فيتمنى رجلا مثله يجمع الكلمة ويوحد الامة . وكيف يكون خلاص الشعب الأسير ان لم يقيض له الله قادة ابرارا يشترون له السعادة بشقائهم والحياة بموتهم ؟ ..

تقدير الرجل

تلخص آراء الكواكبي بانه كان المثل الحي للجامعة الاسلامية التي نادى بها جمال الدين الافغاني ، وانه ارتأى جمع العرب على كلمة سواء بينهم ، ففكر بارجاع الخلافة اليهم واحيائها مجدهم الاول ومكانتهم المرموقة بين الامم .

ثم هو مسلم مخلص تألم نفسه من مشاهدة الدين الممسوخ ، فينادى بتطهيره والعودة به الى مبادئه الصحيحة الاولى (٦) . غيران حماسة الديني لا يرديه في مهاوي التعصب الذميم اذ لا تزال الغاية الوطنية فوق كل غاية . فاذا ما اجتمع اميران احدهما مسلم جائر والاخر كافر عادل ، فضل الثاني على الاول (٧) اذ لا تشفع للامير المسلم اسلاميته للتغاضي عن العدل (٨) .

---

(١) طبائع = ١٢١
(٢) المصدر نفسه = ٣٧
(٣) " " = ٤٧
(٤) " " = ٧٢
(٥) ام القرى = ٢٤
(٦) راجع فوق ص = ١٢٧
(٧) ام القرى = ٢٤
(٨) المصدر نفسه = ٣٠

فالرجل يحب بلاده حب المؤمن ، ويطمح الى حياة حرة عادلة فيها • فهو يخاطب الوطن الحزين = " ... نعم خلقنا الله منك فحق لك ان نحب اجزائك وان نحن الى افلاذك كما يحق لك في شرع الطبيعة ان لا تحب الاجنبي الذي يأبى طبعه حبك الذي يؤذيك ولا يواليك ويزاحم بنيك عليك ... " (١)

ولعل هذا الحب للوطن ، ومعه جرأة متأصلة فيه دعت الكواكبي الى القول بالطفرة والانقلابية • فقد صرح مرة لابراهيم سليم النجار قائلا " لو ملكت جيشا لقلبت حكومة عبد الحميد في ٢٤ ساعة " (٢) فهو اذن يريد اصلاحا سريعا حاسما ، فليس من مجال للثقة بما يتشدق به الوزراء وما "يتفلسف" به الشرفاء ، هؤلاء الذين الفوا اظهار التلهف للاصلاح والتأفف من الفساد • فلتنهض الامة واقفة في وجه حكومة الاستبداد ، طاوية كشحا عن الوعود والاقوال ، ولتصدر من الاندفاع والميل للواقعين ، فما يرغب المستبد يوما ان يلتمس سبيله للامة لتكسره • (٣)

بمثل هذه الكتابات التي تهدف حقا وتستعر سارا نفخ الكواكبي روح الثورة في الامة وهيأ افكارها الى اليقظة والانبعاث • وهذا جل ما يبغيه ، لان الافكار في عرفه اذا نضجت لا تقاوم ولا تصادم (٤) وهذا ما حدا بعضهم الى تشبيه نتاجه بالكتب الفكرية الحرة التي اصدرها جان جاك روسو وسواه من اعلام الفكر الفرنسيين قبيل الثورة الفرنسية (٥) لتحرض الامة على تقويض دعائم الظلم •

---

(١) هامش بخط المؤلف على نسخة طبائع الاستبداد المحفوظة عند ابن الدكتور اسعد في حلب ص = ١١٦ •

(٢) مجلة الحديث (شباط ١٩٥١) = ١١٩

(٣) طبائع = ٤٧ — ٤٨

(٤) ام القرى = ٢١٦

(٥) الاعظمي — احمد عزت " القضية العربية " بغداد (١٩٣١) ج ١ = ٤٢ ه مجلة الحديث (شباط ١٩٥١) = ١١٩ = ابراهيم سليم النجار ، خوري = ١٢٥

لقد وجه الفكر والادب الى السياسة والاجتماع ، واراد لبلاده حياة دستورية حرة اسوة بالبلاد الغربية ، فاصبح يعد من كبار رجال النهضة الحديثة (١) . ومن العوامل الفعالة التي حركت نفوس الناطقين بالضاد ووجهت انظار العرب " الى اصلاح حياتهم القومية وتعزيز مقوماتهم السياسية " (٢) وساعده على البروز ما تحلى به من صفات ، فهو رجل عالي المثل ، بعيد الاهداف ، سامي المبادئ ، وهو فوق ذلك " سياسي محنك مع الساسة ، وعمراني اجتماعي مع علماء العمران وعالم ديني مع علماء الدين " (٣) واذا ما كان عالم ديني اقتضى الدقة ان ننوه بما تحظى به هذه النقطة الدينية من حساسية عند مفكرنا الكبير . فهي نقطة الانطلاق في ما يرومه من اصلاح ، ولم يكن عبير الثورة الذكي الذي تنسمه من جهة الغرب الا شيئا ايقظ شعوره واذكى عنده ذكرى عصر النبوة والراشدين ومبادئ الاسلام في طلعته البكر . فالحكم الديموقراطي هو بعرفه الشورى (٤) ، ومجالس النواب تطبيق على ما جاء به القرآن الكريم في آيته " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . " (٥) وحرية الخطابة والنشر والتأليف قد حاطها ايضا بوضعه قاعدة " ولا يضار كاتب ولا شهيد " (٦)

ولعل التعريض بعثمان بن عفان وبما نقم عليه في صدر الاسلام (٧) هو تشبيه بثورة الفرنسيين .

وليس بغريب ان يقارن الكواكبي بين نتائج الثورة ومطالبها ، وبين اهداف الاسلام وشرائعه ، وان يربط اصلاحه السياسي بالاصلاح الديني (٨) لان الحرية في جوهرها " هي روح الدين " (٩) . واذا ما تلاقت عند مفكرنا واديبنا صفوة من التراث القديم بصفوة

---

(١) المقتطف ٢٧ (١٩٠٢) هامش ٥ = ٦٢٤
(٢) الطنسي = ٦٤
(٣) شكري سطي ؟ سبيل النجاح " مصر (١٩٢٣) ج ٢ = ٣٢٥
(٤) راجع فوق ص = ١٣٠ — ١٣١
(٥) طبائع = ٧٢
(٦) المصدر نفسه = ٧١ — ٧٢
(٧) المصدر نفسه = ٩
(٨) راجع فوق ص = ١٢٧
(٩) ام القرى = ٢٩

من الثورة الفرنسية ومبادئها " فذلك طبيعي ما دام التراث القديم قد استهدف عدل الحكومات ورفقهم ، وما دامت الثورة الفرنسية وادباؤها ومفكروها قد استهدفوا ايضا عدل الحكومات وحرية الناس ورفقهم " (١)

فعقلية الكواكبي لم تنطلق من عدم ، بل كونها حبه لبلاده ورغبته في اصلاحها ونشر العدالة فيها ، هذه العدالة التي تفعل " في اخلاق البشر ما تفعله العناية في انماء الشجر " (٢) وتدل هذه العقلية اطلاعه على ما أتت به الثورة الفرنسية من افكار شعبية ، وكيفتها العقلية الدينية الموروثة . فهو اذن مزيج طريف بين القديم والحديث . لكن هذا المزيج على ما فيه من جدة قد دفع بالمؤلف الى الوقوع في بعض الاخطاء العلمية . ولعل مرد ذلك الى التيارات المتناقضة التي تملكت في تكوينه .

فهو يخطئ خطأ في اعتقاده ان السياسة الاسلامية الاولى كانت " نيابية اشتراكية اي ديمقراطية تماما " (٣) فان الحكم الاسلامي الاول لم يكن قط ديمقراطيا " بمفهوم الديمقراطية الحديثة ، ولم يمارس الراشدون الديمقراطية الحقة رغم ما اتصفوا به من " تقوى وورع ، وعزوف عن الدنيا ، وحرص على اقامة العدل الاجتماعي واخذ شديد بالتعاليم الاسلامية السامية التي تهدف الى الاخوة والتآلف " (٤) فان هذه البساطة الدينية لم تكن الا نوعا من الحكم يصح ان يطلق عليه اسم الدولة الدينية (٥) وهي تناقض الديمقراطية في الدولة الشعبية ، وتختلف عنها في نقطة الانطلاق . ففي الديمقراطية ، الشعب ونوابه مصدر الحكم ، وارادة الامة وحاجاتها ينبوع السلطة ، بينما يستمد الاسلام سلطته من الوحي ويعتمد في امره رسالة النبي واين من ذلك كله مجالس النواب وحقوق الامة في الاقتراع. ولم تكن تلك الشورى التي عرف بها الحكم الاسلامي الا شورى ارستقراطية انحصرت في ايدي صحابة الرسول .

---

(١) خضورى = ١٦٥

(٢) طبائع = ٦٩

(٣) ام القرى = ٢٥

(٤) مجلة الابحاث السنة ٤ ـ الجزء ٢ (حزيران ١٩٥١) = ١٥٠ الدكتور انيس فريحة

(٥) المصدر نفسه = ١٥٤

ثم ان الكواكبي يصف حكومة المسلمين الاوائل بانها اشتراكية ، فهل كانت الزكاة وقدرها ٪ ٢ في المائة الا نسبة بسيطة تجعل للفقير حقا ضئيلا في مال الاغنياء ؟ .. واين منها الضرائب التصاعدية التي تطبقها بريطانيا اليوم مثلا بنسبة ٩٦ في المائة ... ان تضارب الثروات في عصور الاسلام الاولى لا يفيد قط معنى الاشتراكية الحديث .

ويبدو الكواكبي غير منطقي حينما يرى تسلم حكم شبيه بما كان في امريكا او المانيا قبل الحرب . او حينما يرغب في الجمع بين خلافة عربية دينية وبين جامعة اسلامية ان هذه الامور تعارض وتناقض ، ولعل اضطرابه بعباراتها جميعا ناشئ عن تمسكه من جهة بحضارة الغرب واعجابه بامور العصرية ، وتشبعه من جهة اخرى بروح الاسلام وتعاليمه ، يضاف الى هذا تعلقه بالعروبة وتقديسه مزاياها .

ولنأت الان على ذكر اسلوب الكواكبي في كتابيه . فنقول ان انشاءه كان من الطراز البليغ العالي ، غني بالجمل القصيرة المتلاحقة الفخمة الرشيقة الاداء . كانت تراكيبه قريبة الدلالة سلسة ، الا انها ضعيفة في التعبير عن افكاره المعقدة حماسية المشعلة اخلاصا . وقد كثرت فيها الفاظ التحدي والقسم والجمل الدعائية . " وهو قليل التطويل لجملته ، لا يسعى وراء توشية كتابته بالصناعة البديعية ... فاسلوبه على العموم حر مرسل لا يعني فيه صاحبه الا بالتوازن بين الجمل والفقرات وحسن الاداء ووضوح المعنى والغاية " (١)

---

(١) الحمصي ـ نعيم " الرائد في الادب العربي " دمشق (١٩٥٠) = ٣٨٦

الخاتمـــــــة

هـذه جولـة طالت او قصرت بين اعلام المفكرين في حلب وادبائها البارزيـن ، هي كلمـة كما اعتقـد باعطـا ً فكرة عن الحركـة الفكريـة فيها في النصف الثاني من القرن الماضي • الا انني استطيع ان اجمل اقوالـي السابقة بالامور التاليـــــة =

١ـ ان الفكر في حلب خلال هذه الفترة لم يتخلص كليـا من عقـال العصور الماضيـة ، فهو لا زال مكبـلا باغلالهـا ، ناطقـا بشـعورهـا ، وهناك من المفكرين ـ المسلمين منهم والمسيحيين ـ من انصرف الى التآليف الدينيـــة المحضـة ، وجرت اغراضـه فيها على اساليب وطرق مدرسية قديمـة (بمفهوم الشرق) • ولا بدع في ذلك فان ثقافـة هو ً لا ً الرجال لم تكن تتخطـى العلوم الشرعية عند المسلمين ، واللاهوتية عند المسيحيين مع ما يمكن ان يتوصل اليه من " العلوم الآ كيـة الموصلـة " •

٢ـ ثم الى جانب هو ً لا ً الفئـة رجال اضطرتهم اسباب الحياة ، او الامور المعاشيـة ، او الهرب من وجه الاستبداد العثماني ـ الى النزوح للخارج ، وهناك في ديار الغرب ، احتكت عقولهم برجال الفكر الاوربي ، ولمسـوا اثـار مدنيتـه واختراعاته ونظام مجتمعه على اساس من العدل والترتيب ، ومن العدل والحرية فيه ت فـسطت ذلك على كتاباتهم ، بحيث اتخذت هذه الكتابات تكتسي طابعا جديدا لا عهد لهم به قبل اليوم • وتجلى ذلك خاصة في النواحي الاجتماعيـة والسـياسية ، اذ اخذ هو ً لا ً الكتـاب يقارنون بين مدنيـة اوربـا وتقدم عمرانهـا وكمـال مجتمعها وبين ركود الشعوب في بلدهم واخذ الهم في ميادين الاكتشـاف والاختراع وغير ذلك من ثمار العلم المفيد • ومن هذه الفئـة التي لم تر في المدنيـة الغربيـة الا وجهها الحسن الصحيح فرنسيس مراش •

وفي النواحي السياسيـة اعجب هو ً لا ً العارفون بالعدالة السياسية والحريـة والديموقراطيـة التي طبقتها بلاد اوربـا ، كما تأثروا بكتـاب الثورة الفرنسـية وبالنتائج التي جناها الشعب الفرنسي في كفاحه ضد الظلم والاستبداد ، فاخذوا يدعون الى مقاومة الظلم والتصدي للمستبدين

وهكذا فرست عناصر النشء القومي عند بعض الافراد . الا ان الشقة بين هاتين المدرستين الفكريتين = المدرسة القديمة المحافظة ، والمتجددة المتفتحة لم تكن بعيدة المدى . فالاغراض التي عولجت في آثارهم الكتابية كانت متشابهة وتنحصر في هذه المواضيع =

١ـ الدين ـ عالجه اكثرهم تقريبا معالجة متدين ، عميق الايمان يأنف من التيار اللاديني الجديد الذي اخذ يتسرب كما يظهر الى افكار بعضهم فيسمها وينأى بها عن التأمل في عناية الخالق التي تسير الموجودات وتقود الانسان الى الخير والبر (المراش ، ميخائيل دلال ، ايوب ، شلحت) . وهناك فئة رغبت في تجريد الدين من الاوهام والترهات وحشويات المضللين التي تسربت اليه خلال العصور فارادت العودة به الى مبادئه الاولى الصحيحة (الجابري والكواكبي) . وفي سبيل هذا الغرض شجب اكثرهم العقيدة ، وفسر الحكمة في وجودها كما دعا اكثرهم الى عدم التعصب في الدين او التحزب له (الصقال ، الكواكبي ، الغزي ، الجابري) .

٢ـ الاصلاح الاجتماعي = وهو علة العلل في هذه البيئة المتضعضعة المتفسخة . هذا الاصلاح هو الذي يحوج بلادنا الشرقية لتجاري به الامم الاوربية . ولقد وصف مفكرونا الادواء ، وشخصوا العلل واقترحوا الدواء . وهو في رأيهم ، مكافحة الجهل ورفع مستوى الاخلاق الفردية والجماعية ، والقاء رداء الفضائل والتواني جانبا ، والنهوض للحاق بقافلة الامم السائرة لئلا يتخلف عنا الركب .

وهذا الاصلاح الاجتماعي ارادوه واقعيا منبثقا من صميم حياتهم وظروفهم . فدعوا الى محاربة التقليد الاعمى لاسيما في الازياء الاجنبية ، وعادات الاجانب في حفلاتهم واجتماعاتهم كما بينوا اضرار الاختلاط وشروره . ولم يفتهم معالجة قضايا الزواج وغلاء المهور التي دعوا الى تخفيضها .

٣ـ المرأة ـ تكاد نظرة مفكرينا تكون واحدة فيما يتعلق بالمرأة . فقد ارادوها على العلم . فالجهل يودي بها ويمن حولها . كما اتفقوا في نوعية العلوم التي يجب ان تنال منها فاجمعوا على ان تكتفي منها بقسط يثقف عقلها ويهذب نفسها ويساعدها الوظيفة التي اعدتها لها الطبيعة بحيث لا تتعدى على ما ليس من اختصاصها

فتصرف رأيها في علوم أحق بالرجال أن يعلموها والمسلمون منهم قالوا بوجوب حجبها وحصرها في بيتها كما أمرت الشريعة بذلك ، فليس لها بمشاركة الرجال مأرب ، كما أن الطبيعة لم تؤهلها للعمل في بيتها وخارجه ، فأولى بها أن تحسن ما كلفت به ولا ترهق نفسها بما ليس من حقوقها ممارسته كما أقروا والنصارى منهم أيضا على ضرورة عدم اختلاطها بالرجال ومراقصتها اياهم في حفلات ساهرة لئلا تكون وبالا على الاسرة وتهديم أركان البيوت (الصقال ، الجابري) .

٤ ـ العلم ـ شعر القوم بتأخر ركبهم في قافلة الحضارة العالمية ، وشعروا أن ذلك سبب من جهلهم المطبق فأخذوا يحقرون الجهل ويقبحون آثاره ، ويزينون العلم ويدعون الى زيادة عدد المدارس . ومنهم من نادى بتأسيس مدارس خاصة فنية ، وإرسال البعثات العلمية التاريخية والجغرافية التي تنشر تاريخها وتطلعها على عيوبها (أوغسطين عازار ، نصر الله الدلال ، الكواكبي ، الشدودي) .

٥ ـ التمدن الحديث ـ تحت هذا العنوان بحث مفكرونا جميع المواضيع الاجتماعية والسياسية والادارية والاقتصادية وغير ذلك . ووصفوا فيه أحوال الانسان الطبيعية والادبية ، وصفات السياسيين ، والملوك العادلين والمستبدين ومسؤولية الحكام ، وثقة الامة بهم ، وواجب الحكومة في تأمين أسباب الثروة للشعب ، والاشراف على تنفيذ المشاريع العمرانية والاقتصادية النافعة (الجابري ، المراش ، الكواكبي ، نصر الدلال)

٦ ـ اللغة ـ شعر بعض أدبائنا أن اللغة العربية رغم ما فيها من مرونة واتساق لم تعد قادرة على استيعاب المفردات العلمية الجديدة التي أخذت تغزونا يوما بعد يوم . وضاق أكثرهم بالتزامها وقواعدها ، وطول شروحها وتعقيداتها كما مالوا الى الانعتاق من قوانينها وتحوير أساليبها ورغبوا في تبسيط أصولها لتصبح أسهل تعلما وأقرب تناولا ، كما بسطها المستشرقون (الكواكبي ،) ورأى بعضهم أن تعلم التلميذ أكثر من لغة واحدة يطيل أثاره ويشتت ذاكرته وأنه يحسن به توجيه قواه الى اللغة الاصلية بادئ ذي بدء ، فاذا ألم بها فلا بأس من الأخذ بغيرها (الصقال) .

كما اقترح البعض الاخر ان تؤسس جمعية لهذا الغرض تشرف على الفاظ اللغة وتفسيراتها وكل ما يتعلق بها .

٧- القومية — تجلت فوائد القومية الحديثة فيما دعا اليه مفكرونا خلال كتاباتهم (الكواكبي الصقال) فوضعوا قواعد لها ، واقاموا اسسا علمية يغلب انها متأثرة بنظريات القومية الحديثة .

٨- التأليف التاريخي — انصرف بعضهم اليه (الصقال ، الشمري) وسرت اثار الدقة العلمية وروعة التأليف الحديث الى بعض ما كتب في هذه الفترة . الا ان التاريخ لا يزال ينقصه تلك النظرة النافذة الحيادية .

٩- السياسة — ولقد تفتح الفكر عند نفر من ادباء حلب باساليب النظم النيابية الجديدة ، وراقت لهم معالم الثورة الفرنسية واعلان حقوق الانسان وعدالة الحكومات الدستورية ، والخلاص من الاستبداد والاستعباد ، فمالوا الى دعوة قومهم اليها والى مناصرة الحق والحرية لتنبيه اذهان الامة وفتح عيونها (الكواكبي ، المراش) ومنهم من قصر همه على كتابة ذلك في الجرائد والمجلات (حسون ، جبرائيل دلال) .

١٠- النقد — هناك محاولة فردية قام بها الحمصي لوضع اسس للنقد العلمي والاتجاه بها بالعلم وجهة جديدة

ملحق رقم (١)

ولاة حلب في القرن التاسع عشر اعتبارا من الفترة التي تلت انسحاب المصريين

السنة		الوالي	
١٢٥٦ هـ	١٨٤٠ م	محمد أسعد باشا	
١٢٥٨	١٨٤٢	محمد وجيهي باشا	
١٢٦١	١٨٤٥	عثمان باشا	
١٢٦١	١٨٤٥	مصطفى ظهير باشا الشيروزي	(١)
١٢٦٤	١٨٤٧	كامل باشا	
١٢٦٥	١٨٤٨	مصطفى ظريف باشا	
١٢٦٧	١٨٥٠	محمد باشا القبرصي	
١٢٦٨	١٨٥١	عثمان نوري باشا	
١٢٦٩	١٨٥٢	سليمان رأفت باشا	
١٢٧١	١٨٥٤	اسماعيل رحمي باشا	
١٢٧٢	١٨٥٥	حمدي باشا	(٢)
١٢٧٣	١٨٥٦	مصطفى باشا الاشقودري	
١٢٧٤	١٨٥٧	الحاج محمد كامل باشا	
١٢٧٥	١٨٥٨	محمد رشيد باشا	
١٢٧٦	١٨٥٩	اسماعيل باشا	
١٢٧٧	١٨٦٠	عصمت باشا الشهير بعالي عصمت	
١٢٧٩	١٨٦٢	ثريا باشا	
١٢٨٣	١٨٦٦	جودت باشا	
١٢٨٥	١٨٦٨	ناشد باشا	
١٢٨٦	١٨٥١	درويش باشا	(٣)
١٢٨٨	١٨٧١	ثريا باشا ثانية	

(١) لا تذكره السالنامة هنا بل في سنة ١٢٦٣

(٢) " " " " " " ١٢٧١

(٣) يذكر الغزي ولايته عام ١٢٨٥ مع ناشد باشا

السنة		الوالي
١٢٨٩ هـ	١٨٧٢ م	الحاج علي باشا (١)
١٢٩٠	١٨٧٣	كورد احمد باشا (٢)
١٢٩١	١٨٧٤	رشدي باشا الشرواني ولم يلبث سوى بضعة ايام وعين مكانه رشيد باشا ثانية ثم [illegible] .
١٢٩٢	١٨٧٥	سامح باشا ثانية ثم اسعد مخلص باشا .
١٢٩٣	١٨٧٦	امين باشا
١٢٩٤	١٨٧٧	كامل باشا (٣)
١٢٩٦	١٨٧٩	غالب باشا ثم سعيد باشا
١٢٩٧	١٨٨٠	حسين جميل باشا مضافة الى وظيفته في الفريقية العسكرية .
١٣٠٤	١٨٨٦	عثمان نوري باشا
١٣٠٥	١٨٨٧	حسن باشا
١٣٠٧	١٨٨٩	نصوحي بك ثم عارف باشا
١٣١٠	١٨٩٢	عثمان نوري باشا ثانية
١٣١١	١٨٩٣	حسن باشا الاشقودري (٤)
١٣١٣	١٨٩٥	مصطفى ذهني باشا وحسن فهمي باشا ورائف باشا (٥)
١٣١٨	١٩٠٠	انيس باشا
١٣٢٠	١٩٠٢	مجيد بك
١٣٢٢	١٩٠٤	عثمان كاظم بك
١٣٢٣	١٩٠٥	ناظم باشا
١٣٢٧	١٩٠٩	رشيد بك وفخري باشا ابن ناشد باشا

(١) يذكر الغزي هنا ايضا سامح باشا

(٢) لا تذكره السالنامة هنا بل في السنة السابقة

(٣) يقول الغزي " وظهر في السالنامة انه ذكر ولايته سنة ١٢٩٥ "

(٤) يذكره الغزي في السنة التالية

(٥) لا يذكر الغزي حسن فهمي باشا

السنة		الوالي
١٣٢٨ هـ	١٩١٠ م	حسين كاظم بك
١٣٢٩	١٩١١	مظهر بك ابن بدري بك
١٣٣٠	١٩١١	رفيق بك
١٣٣١	١٩١٢	علي ضيف بك وجلال بك

من المقارنة بين الملحقين اللذين يعرضهما الغزي والسالنامة نلاحظ اختلافا في اكثر المواضع في تواريخ تعيين الولاة . ولا اعتقد ان الغزي نقل عن السالنامة لانه يصحح خطأها في تعيين اثنين من الولاة . (١)

اما الطباخ فانه ينقل عن السالنامة كما يعترف بنفسه .

---

(١) الغزي ٣ = ٣١٥ ـ ٣١٦ ، ٤٠٤

ملحق رقم (٢)

نموذج من ميزانية حلب في القرن التاسع عشر

واردات حلب من سنة ١٨٩٧			مصاريف حلب من سنة ١٨٩٧		
الاملاك والتمتع	٢٤٤٩٠٠١	قروش	الشرعية	٧٦٥٠٠٤	
بدل عسكري	٥١٤٦٧٣		الداخلية	١١٤٩٤٩٣	
رسوم الاغنام	١٤٧٠٠٠٠		العدلية	٣١٨٨٣٠	
بدل الاعشار	١٣٠٦٨٧		المالية	٧٧٠٦٨٠	
واردات شتى	١١٥٢٧٥٣		اقسام متنوعة	٨٠٧٥٣١	
المجموع	٥٧١٧١١٤	(١)	المجموع	٣١٢٣٠٣٨	(٢)

واردات حلب من سنة ١٩٠٧			مصاريف حلب من سنة ١٩٠٧		
الاملاك والتمتع	٢٣١٤٣٤٨	قروش	الشرعية	٧٦٥٠٠٤	
بدل عسكري	٧٣٠٥٩٨		الداخلية	١١٤٩٤٩٣	
رسوم الاغنام	٨٥١٣٢٨		العدلية	٣١٨٨٣٠	
بدل الاعشار	١٨٥٠٠٠		المالية	٧٧٠٦٨٠	
واردات شتى	١٠٢٥٦٠٦		اقسام متنوعة	٨٠٧٥٣١	
المجموع	٥١٠٦٨٨٠	(٣)	المجموع	٣١٢٣٠٣٨	(٤)

---

(١) سالنامة ١٣١٦ = ٣٢٨ والارقام ذاتها وردت في سالنامة ١٣١٧ (من سنة ١٨٩٨) = ٣٥٢ وسالنامة (١٣١٩ من سنة ١٩٠٠) = ٣٨٧

(٢) سالنامة ١٣١٦ = ٣٢٩ والارقام ذاتها وردت في سالنامة ١٣١٧ = ٣٥٣ وسالنامة ١٣١٩ = ٣٨٨

(٣) سالنامة ١٣٢٦ = ٥٠٧

(٤) المصدر نفسه = ٥٠٨ يلاحظ ان المصاريف بقيت كما كانت سنة ١٨٩٧ في حين تغيرت الواردات ولعل ذلك يدل على قانون الالتزام •

ملحق رقـــــم (٢)

احصاءات عامة عن حلـــــب

كان في حلب في سنة ١٨٩١ ما يلي: (١)

مركز حكومة	١	طاحون ماء	٢٩
ثكنة	١	طاحون تديره الحيوانات	١٢١
قلعة	٢	فرن	٩٥
مستشفى	٢	مكلسة	٢٠
مستودع الجنود الاحتياط	١	مسلخ	٢
مخفر للشرطة	١٥	بسطات للاقمشة	٢٩١٥
دار	١٤٢٩٨	دباغة	٣
محلة	١٠٥	معمل لنسج المناديل	٣٧
جامع	١٦٦	مقهى	٨٥
مسجد	١٧٠	خمارة	٣٨
مدرسة	٢٥	مصبغة	١٢٩
تكية وزاوية	١٩	مصبنة	١٢
مقبره	٢١	معصرة	٧
كنيسة ودير	٢٠	محلج قطن	٧
سبيل	٧٧	محل توقيت	٢
حمام	٣٩	معمل شعيرية ومعكرونه	٤
حنفية ماء	٧٦	معمل جلود	١
دكان ومخزن	٧٠٧٦	كازينو	٥
مطبعة	٣	مطعم	٤
سوق مغلق	١	دكان طباخ	١١
خان	٩٩	مكتبات	٧

(١) سالنامة ١٣١٠ = ١٨٦ وفي سالنامة ١٣١٧ (عن سنة ١٨٩٨) = ١٩١–١٩٢ وسالنامة ١٣١٩ (١٩٠٠) = ٢١٥ – ٢١٦ الارقام تامة تقريبا مع بعض الفروق

صيدليه	٢٠
مكتب اعدادى	١
مكتب رشدى عسكرى	١
مكتب رشدى ملكى	١
مكتب اسلامى ابتدائى	٩٠
مكتب اقليتى	١
مكتب غير اسلامى	٣٨
كوى	٥٨١
بستان	٣٨١
حقل	١٤٩١
مستوصف	٢
جسر	١١

ملحق رقم (٤)

مطابع حلب بعد سنة ١٩٠٠ (١)

مطبعة التقدم —

مطبعة صغيرة انشئت سنة ١٩٠٦ . اقتصرت مطبوعاتها في المدة الاولى على الاعمال التجارية وبطاقات الدعوات ، والرسائل والمغلفات . ثم توسعت واصبحت تطبع الكتب العربية والافرنسية والانكليزية المدرسية منها وغير المدرسية ، وبعض الجرائد كالكشكول ، وسفرة ، والمرسح .

مطبعة الاحسان —

انشئت سنة ١٩٠٦ مطبوعاتها تجارية محلية ، كانت تطبع فيها جريدة الاهالي ، والشعب . لم تعش اكثر من سبع او ثماني سنوات .

مطبعة المعارف —

أسست سنة ١٩٠٦ . كانت تملك من يوم تأسيسها حروفا فرنسية بمجموع متفاوتة ، وتتولى طبع كافة المطبوعات من تجارية ورسمية ومجلات وصحف كجريدة الحديث وغيرها . وهي اليوم من اكبر مطابع حلب .

مطبعة الكمال —

أسست سنة ١٩٠٨ . اقتصرت على المطبوعات التجارية ، ولا زالت مطبعة صغيرة حتى اليوم .

مطبعة البهاء —

انشئت حوالي سنة ١٩١٠ . اقتصرت على طبع الكتب الفرنسية وبعض الصحف كجريدة تقويم اخبار ويكتبلي . لم تعش اكثر من سنة ونصف .

---

(١) اخذت بعض هذه المعلومات من السيد كيدر صاحب مطبعة المعارف وبعضها من قبيل صحف العصر .

<u>مطبعة لوكس —</u>

انشئت حوالي ١٩١٢ — ١٩١٣ ، انصرف عنها صاحبها منذ ثلاث سنوات الى فلسطين ملتحقا باليهود ابناء جلدته . اقتصرت طباعتها على الاشغال التجارية والاعلانات .

ملحق رقم (٥)

صحافة اللبنانيين في الخارج . روعي فيها ترتيب السنين

مرآة الاحوال —

صحيفة اسبوعية سياسية اصدرها رزق الله حسون في القسطنطينية ١٨٥٥ وكانت رحى الحرب آنذاك دائرة بين الدولة العثمانية وروسيا . فاخذت مرآة الاحوال تنشر وقائع الحرب وتعنى الى جانبها بمعالجة قضايا لبنان وسوريا الداخلية . وتعتبر مرآة الاحوال اول صحيفة عربية تأسست في الاستانة مثل صاحبها وهو المعروف بحرية الافكار ؛ سخط بعض الفئات الحاكمة بسبب سياسة تركيا ؛ فندد باعمالها وفضح رجالاتها وقد ساعده على ذلك طول باعه في الانشاء ؛ وبرهجومه في الشعر . مما دعا الباب العالي الى معاقبته . ولكنه فر الى روسيا قبل القاء القبض عليه ؛ فحكم عليه بالاعدام حكما غيابيا . وهكذا احتجبت هذه الجريدة بعد عام ونيف من انشائها (١) .

رجوم وغساق الى فارس الشدياق —

مجلة جدلية صغيرة اصدرها في لندن ١٨٦٨ رزق الله حسون للرد على احمد فارس الشدياق صاحب جريدة " الجوائب " . وكان بين الاثنين في بادئ الامر مناظرة انقلبت الى مشاحنة ومهاترة شحنها الطرفان بهجو مر وطعن موجع . توقفت عن الصدور بعد العددين الاوليين (٢) .

آل سام —

اصدرها رزق الله حسون الآنف الذكر في لندن وذلك سنة ١٨٧٢ وهي جريدة اسبوعية سياسية نعتت ايضا التشيع بالاتراك وقد حمل قدحا مريرا ومهاجمة سياستهم الخرقاء ؛ واشاد بعهده الى روسيا وسياستها ويعنى لها تحقيق حلمها بالاستيلاء على القسطنطينية . وقد حفر حسون حروفا عربية مختلفة كان ينضدها في بيته في مطبعة " آل سام " ويطبعها على المكبس بنفسه . (٣) .

---

(١) طرازي صحافه ١ — ٥٥ مالو = ٦٤ البستاني = ٢٨٦ الفيلسي = ٩١ ويجعلها مالو اول صحيفة عربية في العالم . وفي هذا يناقض نفسه اذ يذكر من مكان اخر ان اول جريدة عربية ظهرت في مدينة الجزائر ١٨٤٧ هي المبشر اصدرتها حكومة فرنسا لكن واسطة [illegible] = ٦٤

(٢) طرازي صحافة ١ : ٧٧ - ٧٨ (٣) طرازي صحافة ٢ : ٢٤٧ - ٢٤٨

مرآة الاحـــــــــوال -

هي ايضا جريدة اسبوعية سياسية اخلاقية انشئت في ١٩ ت ١ سنة ١٨٧٦ في لندن ، وتولى صاحبها رزق الله حسون تحرير مقالاتها الادبية ، وترجمة اهم الاخبار من الصحف الانكليزية ، بينما اهتم مساعده لويس صابونجي ثم عبد الله مراش بالمقالات السياسية . وكانت خطتها اظهار الخلل السائد في تركيا . وكان حسون يحسن فصولها بخطه الجميل طبق ورق لينقل الى الطبع على الحجر فجاءت آية في الظرف وطلاقة الانشاء . ونالت هذه الصحيفة من الشهرة ما جعل مبيعها يبلغ ٤٥٠ في لندن وحدها على قلة الناطقين بالضاد . ثم تعطلت لان دخلها لم يوازي تكاليفها كما صرح حسون نفسه في مقدمة مجلته " حل المسألتين الشرقية والمصرية " . (١) .

الصـــدى -

صحيفة اسبوعية انشئت سياسية انشأتها في باريس الحكومة الفرنسية سنة ١٨٧٧ " ترويجا لمصالحها السياسية والتجارية والاقتصادية في البلاد التي يحلق سكانها بالضاد لا سيما في الشرق الادنى " عهدت بتحريرها الى جبرائيل دلال . وكان يشغل آنذاك منصب ترجمان في وزارة المعارف في باريس ، الا ان الدلال المذكور ما كان ليستطيع ان يكتب فيها ما يريد بل ما توحيه اليه الحكومة الفرنسية . وقد تعطلت في عامها الثاني لسفر الدلال الى الاستانة تلبية لدعوة الصدر الاعظم لينشيء فيها جريدة السلام . (٢)

الســـــلام -

جريدة اسبوعية سياسية ادبية اصدرها جبرائيل دلال الانف الذكر في عاصمة آل عثمان في ٢٣ تموز سنة ١٨٧٩ لتكون لسان حال الصدر الاعظم خير الدين باشا التونسي المعروف بميله الى الاصلاح فكان ينشر فيها آراءه السياسية ويذيع على صفحاتها افكاره الحرة . ونالت هذه الصحيفة من الشهرة حظا وافرا اذ اطلق فيها الدلال " العنان لنفثات قلمه السيال والمسبا حلة الشبيبة من نسيج يراعه العسال " انصرف عنها الدلال بعد ظهور العدد الثامن منها فاحتجـ

---

(١) طرازي صحافة ٢ ـ ٢٤٨

(٢) طرازي صحافة ٢ = ٢٥٣ ـ ٢٥٤

(٣) المصدر نفسه = ١٩٣

حل المسألتين الشرقية والمصرية —

صدرت في لندن سنة ١٨٧٩ لصاحبها رزق الله حسون • وهي اول مجلة شهرية عربية كانت تصدر مرتين في الشهر تعرض لسياسة مصر بصورة خاصة والشرق الادنى بصورة عامة وقد بلغ مجموع صفحاتها في العام الواحد الذى عاشته ثلاثماية صفحة من قطع الخمس وورق رقيق جدا لكي يسهل ارسالها في ظروف مختلفة كرسائل البريد لكي لا تتوصل الدول العثمانية الى مصادرتها لما تضمنه من قصائد مشحونة بالهجو القارص تكليد لرجال الحكومة العثمانية • تعطلت عام ١٨٨٠ بوفاة صاحبها •

كوكب المشرق —

صحيفة سياسية انشأها رجل فرنسي سنة ١٨٨٣ في باريس • تولى تحريرها عبد الله مراش الحلبي • مباحثها تتناول حوادث الكون عموما ولا سيما الشرق الادنى وشمالي افريقيا • تعطلت في السنة التالية " لان وارداتها كانت غير كافية لسد نفقاتها "(١)

مجلة الاجتهـــال —

اصدرها ميخائيل صقال في القاهرة في ١٩ حزيران سنة ١٨٩٧ • ويبدو انها مجلة اسبوعية اذ صدر العدد الثاني في ٢٦ حزيران من السنة المذكورة • تبحث في كل شيء • في مجموعة السنة الاولى منها مقالات متتابعة طويلة عن الازهـــر •

مجلة الشـــهبا • —

لمنشئها وصاحبها عبد المسيح الانطاكي • اصدرها في مصر ؟ سنة ١٨٩٨ وهي مجلة تبحث في كل شيء • تصدر مرتين في الشهر •

جريدة العمـــران — اصدرها عبد المسيح الانطاكي في مصر ايضا •

---

(١) طرازى صحافة ٢ ص ٢٦٠ — ٢٦١

ملحق رقـــــــــم (٦)

مكاتب الحلبيين في الخـــــــــارج

اشتهر من هذه المكاتب مكتبة رزق الله حسون في لندن . وكان حسون هذا من اكبر هواة جمع الكتب ونفائسها ، انصرف في لندن بعد ان اتخذها مسكنا له الى النسخ والاشتغال بتصحيح حروف الطباعة العربية في اوربا بمساعدة كثير من المستشرقين . وبلغ ما نسخه بخطه الانيق من نفائس الكتب نيفا وخمسين مجلدا " وفي سنة ١٨٧٣ جاء حلب معسكرا وزار مكتباتها ونسخ منها بعض الاسفار النادرة ولا تزال مكاتب فرنسا وروسيا وانكلترا تضم كثيرا من مخطوطاته النفيسة . (١)

وكان عبد الله مراش يتردد بين لندن وباريس ، يتصفح ما في مكاتبها من الاسفار المخطوطة الجليلة وينسخ بخطه الجميل ما يحسنه منها حتى جمع في مكتبته في مرسيليا كثيرا منها بالاضافة الى الكتب المطبوعة . وكان قد وضع يده على مكتبته اخيرا الشاعر فرنسيس مراش . وبعد وفاته انتقل جانبا من هذه المكتبة القيمة الى دار الكتب الاهلية بباريس . (٢)

---

(١) طرازي ، خزائن الكتب ٢ = ٦٠٨ ـ ٦٠٩

(٢) المصدر نفسه = ٦٠٦ ـ ٦٠٧

ملحق رقـــــم (٧)

الكتب العربية المطبوعة في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشـــر مرتبـة حسب تاريخ طباعتهـــا

١) " كتاب صلوات منتخبة " وهو أول كتاب طبع في المطبعة المارونية • (١٨٥٧) ثم (١٨٧٠)

٢) " مبادئ القراءة " (المؤلف ؟) المطبعة المارونية (١٨٥٧) و (١٨٧٢) و (١٨٨٧) •

٣) " مدخل العبادة للقديس فرنسيس دي سال " عربه الاب فرولج اليسوعي • المطبعة المارونية (١٨٥٩) •

٤) " رياضة شهر تشرين الثاني " عن الايطالية للقس بولس بليط • المطبعة المارونية (١٨٥٩)

٥) " الفاتحة التركية في اللغة التركية " تأليف طه خلوصي الكاتب • قاموس عربي تركي • مطبعة حلب (١٢٧٦) = (١٨٥٩) •

٦) " دليل الحرية الانسانية " فرنسيس مراش • المطبعة المارونية (١٨٦١)•

٧) " المرآة الصفية في المبادئ الطبيعية " فرنسيس مراش المطبعة المارونية (١٨٦١)

٨) " التعليم المسيحي " المطبعة المارونية (١٨٦٢) و (١٨٨٢).

٩) " عواطف روحية " المطبعة المارونية (١٨٦٢) و (١٨٩٠)

١٠) " كتاب الابركسيس اي اعمال الرسل " المطبعة المارونية (١٨٦٢) و (١٨٧٤)

١١) " الشذرات السنية في خصوص اللغة التركية " طه خلوصي الكاتب • قاموس عربي تركـي مطبعة حلب (١٢٧٩) = (١٨٦٢)

١٢) " دليل الحائر " (المؤلف ؟) المطبعة المارونيـــة (١٨٦٣)

١٣) " زيارة القربان المقدس " تعريب جرجس صعب • المطبعة المارونيـــة (١٨٦٣) •

١٤) " خطابة في تعزية المكروب وراحة المتعوب " فرنسيس مراش • المطبعة المارونية (١٨٦٤)

١٥) " الزنبور الالهي " • المطبعة المارونيـــــة (١٨٦٤) •

١٦) " منهاج العلم " نصر الله دلال • المطبعة المارونيـــة (١٨٦٥)

١٧) "صلوات الجو بيليوم • المطبعة المارونية (١٨٦٥)

١٨) " غاية الحق " فرنسيس مراش • المطبعة المارونية (١٨٧٥)

١٩) " الرواية الجليلة " (المؤلف ؟) المطبعة المارونية (١٨٦٦)

٢٠) " تأملات الانبا لويس الملقب بالجسري " المطبعة المارونية (١٨٦٦) و (١٨٦٨) و (١٨٧٠)

٢١) " الصلاة العقلية " • المطبعة المارونيــــة (١٨٦٨) •

٢٢) " سعادة الدارين في اخلاق سيد الكونين " منظومة فاضل بك • المطبعة الجمرية بولاية حلب (١٢٨٥ = ١٨٦٨)

٢٣) " رسائل روحية " المطبعة المارونية (١٨٦٩) و (١٨٨٦)

٢٤) " الكنوز النفيسة في الرموز المعنوية " فرنسيس مراش •المطبعة المارونية (١٨٧٠)

٢٥) " مجموعة قصائد صاغها نوري افندي الكيلاني نقيب اشراف حماه ومحمد اسعد بك العظم من حماه •

واحمد حمدي افندي المحلي الحلبي مترجم جريدة الفرات • مطبعة ولاية حلب(١٢٨٨ = ١٨٧١) •

٢٦) " قطف الزهور " (المؤلف ؟) المطبعة المارونية (١٨٧٢) •

٢٧) " قانون رسم الصفة " المطبعة المارونيــــة (١٨٧٤) •

٢٨) " تدبير حسن " (المؤلف ؟) المطبعة المارونيــــة (١٨٧٥) •

٢٩) " حلية البديع في مدح النبي الشفيع" وهو شرح البديعة الشيخ قاسم المكرجي • المطبعــــة العزيزيــــة (١٢٩٣ = ١٨٧٦)

٣٠) " محك الذهب " يحتوي على الاسئلة التي امتحن بها مدرس الاحمدية الشيخ حسين حلمي بالعلوم المخصوصة • مطبعة ولاية حلب (١٢٩٤ = ١٨٧٧)

٣١) " صلاة مار انطونيوس " المطبعة المارونيــــة (١٨٧٧)

٣٢) " عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي " الشيخ اسماعيل بن ابي بكر المقري • المطبعة العزيزية (١٢٩٤ = ١٨٧٧) •

٣٣) " نور الايضاح " في الفقه • المطبعة العزيزية حوالي (١٨٧٨) •

٣٤) " قلائد اللؤلؤ المنظوم في مراثي الخوري م • مظلوم • المطبعة المارونيــــة (١٨٧٨)

٣٥) " ديوان الفارض " المطبعة المارونية (١٨٨٤) •

٣٦) " الادلة الفلسفية في وحدة النفس البشرية " للقس اوغسطين عازار • المطبعة المارونية (١٨٨٦)

٣٧) " رسالة الفلك الدوار في التقويم " محمود افندي الجزار الحلبي • مطبعة الحاج خورشيد الحجرية (١٣٠٥ = ١٨٨٧)

٣٨) " نظم اللآلي للجبر الشمالي " تأليف فرنسيس الشمالي . المطبعة المارونية (١٨٩٥)
٣٩) " شذور الذهب لمطران حلب " المطبعة المارونية (١٨٩٦)
٤٠) " رسالة تتعلق بالحول الوصايل وفضائلها وانواعها " محمد علي الجابري . مطبعة ولاية حلب (١٣٢٠ = ١٩٠٢)
٤١) " السحر الحلال في شعر الدلال " جمعه قسطاكي الحمصي . حلب (١٩٠٣)
٤٢) " كتاب المجتنى " الامام العلامة اللغوي ابي بكر محمد بن دريد الازدي . المطبعة العثمانية (١٣٢٧ = ١٩٠٩) .
٤٣) " اسعاف الاخلاق في احكام الاوقاف " تأليف عمر حلمي والشيخ كامل الغزي " مطبعة البهاء " (١٣٢٧ = ١٩٠٩) .
٤٤) " كشف الستار عن عاريخية الاشعار " الشيخ رضا الرفاعي . مطبعة التقدم (١٣٢٨ — ١٩١٠)
٤٥) " صيحة الاحرار في أكلة الاشعار " الشيخ رضا الرفاعي . مطبعة البهاء " (١٣٢٨ = ١٩١٠)
٤٦) " كتاب التصبير في علم التعبير " حجة الاسلام ابي حامد محمد الغزالي الطوسي . مطبعة البهاء " (١٣٢٨ = ١٩١٠) .
٤٧) " جذب القلوب الى مواصلة المحبوب " الشيخ شهاب الدين السهروردي . مطبعة البهاء " (١٣٢٨ — ١٩١٠) .
٤٨) " غرر المثاني وغرر المعاني " عبد الخالق بن عبد الرحيم الاردبيلي . مطبعة البهاء " (١٣٢٨ = ١٩١٠) .
٤٩) " نظام جمعية الاتحاد والترقي العثمانية " مطبعة البهاء " . (١٣٢٨ = ١٩١٠)
٥٠) " الضحية من اطفال فلسطين " عربها نظما ونثرا الخوري جرجس شلحت . المطبعة المارونية (١٩١٠)
٥١) " لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر " ميخائيل صقال . المطبعة المارونية (١٩١١)
٥٢) " الحبر " مخلص ميخائيل الصقال . المطبعة المارونية (١٩١١)
٥٣) " البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث " ابراهيم بن كمال الدين الشهير بابن حمزه الدمشقي مطبعة البهاء " (١٣٢٩ = ١٩١١)
٥٤) " شذور الوجد في صدى الزند " الخواجا الياس كبابه الحلبي . المطبعة المارونية (١٩١٢)
٥٥) " كتاب مفتوح الى سامي بك والي بيروت " تأليف سامي بك الصلح . مطبعة التقدم (١٣٣٢ = ١٩١٣

المصادر والمراجع العربيـــــــة

١ـ أروتين ـ بولس " اهم حوادث حلب في النصف الاول من القرن التاسع عشر " ، نشر الخوري بولس قرألي ، مصر (مش ؟)

٢ـ الاعظمي ـ احمد عزت " القضية العربيـــة " ج ١ ـ بغداد (١٩٣١)

٣) أيوب ـ توما " قرة العين في رواية الى اين " حلب المطبعة المارونيـة (مش ؟)

٤) بروكلمان ـ كارل " تاريخ آداب اللغة العربية " ج ١ برلين (١٨٩٨ـ١٩٠٢) الملحـــق ج ١ (١٩٣٧ ـ ٤٢)

٥) البستاني ـ بطرس " أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث " بيـروت (١٩٣٧)

٦ـ البخاش ـ المعلم نعوم " مذكرات المعلم نعوم بخاش " نشر الاب فردينل اليسوعي في مجلـــة المشرق = ٣٥ (١٩٣٧) ، ٣٦ (١٩٣٨) ، ٣٧ (١٩٣٩)

٧ـ الجابري ـ عبد الحميد " مبدأ في بيان ارتباط التمدن بدين الاسلام " بيروت (١٣٢١ هـ /١٩٠٣

٨ـ الجابري ـ " " " تلقي علم الدين وتصويبا فيه = اصطلاحا وعلاقيه " (حلب (١٣٤٩/ ١٩٣٠

٩ـ " " " " البيان في النحو " ، مخطـــوط

١٠ـ " " " " ماذا يعلمنا التاريخ من شقاء الأمة وسعادتها " ، مخطوط

١١ـ " " " " شرح كتاب المرأة الجديدة لقاسم امين " ، مخطوط

١٢ـ " " " " دعوة المحدثين لتلافي الانشقاق في الدين " ، مخطوط

١٣ـ " " " " كراس في مولد النبي " ، مخطوط

١٤ـ الحمصي ـ نعيم " الرائد في الأدب العربي " ، دمشق (١٩٥٠)

١٥ـ الحمصي ـ قسطاكي " أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر " بيروت (١٩٢٦)

١٦ـ " " " " السحر الحلال في شعر الدلال " ، حلب (١٩٠٣)

١٧ـ " " " " منهل الوراد في علم الانتقاد " ، مصر (١٩٠٧)

١٨ـ حسون ـ رزق الله " النفثات " ، لندن (١٨٦٧)

١٩ـ " " " " اشعر الشعر " ، بيروت (١٨٧٠)

٢٠ـ الحصري ـ ساطع " حولية الثقافة العربية " ، القاهرة (١٩٤٩)

٢١ـ خوري ـ رئيف " الفكر العربي الحديث ، اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي " ، بيروت (١٩٤٣) .

٢٢ـ الخازن ـ فيليب وفريد " تعريب " مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان" ج ١ و ٢ ، جونيه (١٩١٠ـ١٩١١) .

٢٣ـ الدبس ـ يوسف " تاريخ سوريا " ج بيروت (١٩٠٥)

٢٤ـ دلال ـ نصر الله " مباهج العلم " ، حلب (١٨٦٥)

٢٥ـ دلال ـ ميخائيل " النفح العاطر في قصة القس المهاجر " ، بيروت (١٨٨٠)

٢٦ـ " " " احسان الانسان واتسان الاحسان " ، مخطوط

٢٧ـ زيدان ـ جرجي " تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر " ، مصر (١٩٢٢)

٢٨ـ " " " آداب اللغة العربية " ج ٤ ، مصر (١٩١٤)

٢٩ـ سركيس ـ يوسف اليان " معجم المطبوعات العربية والمعربة " ، مصر (١٩٢٨ـ ١٩٣٠)

٣٠ـ شيخو ـ لويس " الآداب العربية في القرن التاسع عشر " ج ١ و٢ ، بيروت (١٩٠٨)

٣١ـ " " " تاريخ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين " ، بيروت (١٩٢٦)

٣٢ـ شلحت ـ الخوراسقف جرجس ـ " النجوى في الصناعة والعلم والدين " ، بيروت (١٩٠٣)

٣٣ـ " " " " " التشبه من امثال فلون " ، حلب (١٩١٠)

٣٤ـ " " " " " قلادة الذهب في فرنسا والعرب " ، مصر (١٩٢٣)

٣٥ـ " " " " " حبك الدراري الموصعة بها حبائك الدرر " ، مصر (١٩٢٠)

٣٦ـ " " " " " الشكوى او محاورة حكيم " ، مصر (١٩١٨)

٣٧ـ " " " " " الشكوى او مناجاة الارواح " ، مصر (١٩١٥)

٣٨ـ " " " " " المكون والمحبة " ، بيروت (١٩٠٧)

٣٩ـ " " " " " الطراز المعلم في مدح البتول مريم " ، بيروت (١٩٠٤)

٤٠ـ صقال ـ ميخائيل " مذكرات ميخائيل صقال " مخطوطة عند ابنه الدكتور انطون صقال في حلب

٤١ـ " " " " كتاب الحبر " ، حلب (١٩١١)

٤٢ـ " " " " طرائف القديم في تاريخ حلب القديم " ، مخطوط

٤٣ـ " " " " لطائف الحديث في تاريخ حلب الحديث " ، مخطوط

٤٤ـ " " " " في علم التشريح " ، مخطوط

٤٥ـ " " " " رسالة طبية في النحل " ، مخطوط

٤٦ـ " " " " لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر ، مصر (١٩٠٧)، حلب (١٩١١)

٤٧ـ " الطباخ ـ راغب " اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء " ، ج ٣ و ٧ ، حلب (١٩٢٣ـ١٩٢٦)

٤٨ـ طرازي ـ فيليب دي " تاريخ الصحافة العربية " ج ١ و ٢ ، بيروت (١٩١٣)
٤٩ـ " " " " خزائن الكتب العربية في الخافقين " ج ١ و ٢ ، بيروت (١٩٤٧)
٥٠ـ عبده ـ ابراهيم " تطور الصحافة المصرية واثرها في (الوطنية) الفنيتين الفكرية والاجتماعية " ، القاهرة (١٩٤٥) .
٥١ـ عطاره ـ قسطاكي الياس " تكوين الصحف في العالم " ، القاهرة (١٩٢٥)
٥٢ـ عازار ـ القس اوغسطين " خلاصة المعرفة في اخص قضايا الفلسفة " ، بيروت (١٨٨٦)
٥٣ـ " " " " الادلة العقلية في وحدة العقل البشرية " ، حلب (١٨٨٦)
٥٤ـ " " " " رواية الفيلسوف " ، مخطوط
٥٥ـ " ـ يولينس " " سر اللباقة في فن الخطابة ، مخطوط
٥٦ـ " " " " الصرح الاخضر في رقة العنصر " ، مخطوط
٥٧ـ الغزي ـ كامل " نهر الذهب في تاريخ حلب " ، ثلاثة اجزاء ، طبع الجزء الثالث في حلب (١٩٢٦) وقسم من مخطوط الجزء الرابع .
٥٨ـ " " " القول الصريح في الادب الصحيح " ، مخطوط
٥٩ـ " " " انتقادات العادات السيئة " ، حلب (١٩٢٠)
٦٠ـ " " " رسالة في الموسيقى " ، مخطوط
٦١ـ " " " ترجمة حياة الشاعر الصنوبري " ، مخطوط
٦٢ـ " " " الروزنامة الدهرية " ، حلب (١٩٢٢) وله ملحق مخطوط
٦٣ـ " " " اصناف الاخلاف في احكام الاوقاف " ، ترجمة ، حلب (١٩٠٩)
٦٤ـ الغزي ـ بشير " حدائق الرشد " ترجمة ترجيع بند " ، مصر (١٨٩٨)
٦٥ـ " " " مطاوية الشمسية في القواعد المنطقية " ، مصر (١٩٠٦)
٦٦ـ فكري ـ علي " سهل النجاح " ج ٢ ، مصر (١٩٢٣)
٦٧ـ كرد علي ـ محمد " مذكرات " ، دمشق ، (١٩٤٨)
٦٨ـ " " " خطط الشام " ج ٣ و ٤ ، دمشق (١٩٢٥ـ١٩٢٨)
٦٩ـ الكواكبي ـ عبد الرحمن " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " ، مصر (متى ؟)
٧٠ـ " " " ام القرى " ، مصر (١٩٣١)

٧١ — الكيالي — سامي " الراحلون " ، مصر (١٩٤٥)
٧٢ — المراش — فرنسيس " الكنوز الفنية في الرموز الميمونية " ، حلب (١٨٧٠)
٧٣ — " " " مرآة الحسناء " ، بيروت (١٨٧٢)
٧٤ — " " " در الصدف في غرائب الصدف " ، بيروت (١٨٧٢)
٧٥ — " " " شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة " (مكان ؟) (ت ؟)
٧٦ — " " " خطبة في تربية المكروب وراحة المتعوب " ، حلب (١٨٦٤)
٧٧ — " " " رحلة باريس " ، بيروت (١٨٦٧)
٧٨ — " " " دليل الحرية الانسانية " ، حلب (١٨٦١)
٧٩ — " " " المرآة الصفية في المبادئ الطبيعية " ، حلب (١٨٦١)
٨٠ — " " " مشهد الاحوال " بيروت (١٨٧٠)
٨١ — " " " غابة الحق " ، حلب (١٨٦٥)
٨٢ — مراش — مريانا " بنت فكر " ، بيروت (١٨٩٣)
٨٣ — المقدسي — انيس الخوري " العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث " ، مصر (١٩٣٩)
٨٤ — مقدسي — انيس زكريا " اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر " ، بيروت (١٩٢٦)
٨٥ — يني — جرجي " تاريخ سوريا " ، بيروت (١٨٨١)
٨٦ — وثائق مخطوطة في المكتبة المارونية في حلب
٨٧ — نشرات المطرانية السريانية في حلب

واعتمدت كذلك على المجلات والجرائد الآتية = وذكرت اعدادها في مواضع استعمالها =

المجـــــــلات

١ — الساعة التركية
٢ — مجلة الشــذور
٣ — مجلة المشــرق
٤ — " المقتطف
٥ — " فوائد
٦ — " الوفـــاء
٧ — " المجمع العربي
٨ — " الجهاد
٩ — " كل شيء والعالم
١٠— " اللطائف المصورة
١١ — " الكلمـــة
١٢ — " الضــاد
١٣ — " الأخبـــار
١٤ — " الأبحاث
١٥ — " الضياء

الجرائـــــــــــد

١ — الفـــرات
٢ — الشهباء
٣ — الاعتدال
٤ — مكيلس
٥ — حلب الشهباء
٦ — صدى الشهباء
٧ — التقدم
٨ — الخطيب
٩ — الشعب
١٠— مسيرة
١١— الشكول
١٢— الاهالي
١٣— لسان الاهالي
١٤— الأماني
١٥— شهرزاد
١٦— الربيع
١٧— النهـــار
١٨— الصدق
١٩— العفريت
٢٠— دنيالا
٢١— الفول
٢٢— تشبث
٢٣— الرقيب
٢٤— الجديد
٢٥— بسام صباح

المصـــادر والمراجع الاجنبيـــــــة

1.- Barker, " Syria and Egypt under the last five sultans of Turkey " London (I876)

2.- Farley, J. Lewis " The resources of Turkey " London (I863)

3.- Heuschling, Xaviar " L'empire de Turquie " Paris, Bruxelles (I860)

4.- Paton, A.A " The modern Syrians " London (I844)

5.- Sauvaget, J "Alep" Paris (I94I)

-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-

-:-:-:-:-m-:-:-:-:-:-:-:-

§§§§§§§§§§§§§§§§§§§§

§§§§§§§§§

§§§

§

T
16A

ملخص

المختصر عن رسالة
الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

بدأت حلب تشاهد بعض التقدم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . تقدماً ساد أكثر مرافق الحياة الادارية والاجتماعية والفكرية . لكن الحلبيين كان قد تضاءل عددهم على وجه الاجمال بسبب من الفقر الناجم عن ركود الحركة التجارية بعد تحول الطريق التجاري الى قناة السويس ، وبسبب من انتشار الامراض الفتاكة التي كان يعمّ بلاؤها نظراً لعدم اتخاذ الحكومة التدابير الوقائية . وعلى كل فقد تراوح عدد السكان بين ثلاث واربعين الفا الى مائة وعشرة آلاف نسمة . هؤلاء السكان قد خالطت لغتهم الفاظ من المفردات الاجنبية يعود سبب تسربها على الاغلب الى المعاطاة التجارية مع اوربا . وتسرب مع هذه الالفاظ الى المجتمع الحلبي بعض العادات الغربية التي كانت تمارسها الجالية الاوربية المقيمة في حلب .

أما صناعة حلب في هذه الفترة فقد كانت نشيطة ، وزراعتها كذلك ، لكن النقود المتداولة كانت دوماً في ارتفاع وهبوط ، وموجات الغلاء تكتسح المدينة كلما انحبس المطر او اشتدّ البرد او داهم الجراد او تلاعب المحتكرون . ولم يكن الولاة المندفعون وراء جشعهم الشخصي ليحاولوا تلافي الامور فقد كانت اقامة هؤلاء لا تطول ، واذا ما طالت ، فليسوا هم عنصر اصلاح في الاعمّ خلا افراد قلائل ، ثم انهم كانوا غير قادرين على ضبط حبل الأمن في حلب فتعددت الثورات وكثرت حوادث " التشليح " .

ولقد تمتع قناصل الدول الاجنبية في حلب بنفوذ كبير كان يتجاوز احياناً حماية الفارين من وجه العدالة او اخراج المساجين ، الى مداخلة فعلية في سياسة الدولة الداخلية . لكن حلب قد شهدت في هذه الفترة تقدماً محسوساً في النواحي الادارية ففصل القضاء لاول مرة عن الشرعية سنة ١٨٧٨ كما اسست عدة دوائر حكومية جديدة كدائرة المعارف التي تشكلت سنة ١٨٨٢ والتي أخذت تقوم بانفاق أموال الاوقاف المعروفة على انشاء مدارس . وتدرجت حلب في خطواتها نحو المدنية فمدت الاسلاك البرقية ، ووسمت الاوزان بطابع البلدية ، وأنيط أمر البريد بالحكومة المحلية بعد أن كان يذهب الى اسكندرون عن طريق قنصل فرنسا . كما نورت البلدية شوارع المدينة بمصابيح لوكس وفرشت ازقتها بالبلاط .

٠٠٠/٥

هذا هو المسرح الحلبي في النصف الثاني من القرن الماضي . ولنأت الآن على ذكر مقومات الحركة الفكرية في حلب مبتدئة بالطباعة . فأقول ان عدد المطابع قد اقتصر على اربعة طيلة نصف قرن . اما انتاجها فقد كان متفاوتا ، اذ كان ينحصر انتاج المطبعة المارونية في الكتب الدينية، ومطبعة الحكومة في الاوراق الرسمية والصحف والسالنامات ، والمطبعة العزيزية في الناحية الادبية ، اما مطبعة الفوائد فقد كانت خاملة الذكر تطبع فيها بعض المجلات . ولكن ما ان اعلن الدستور حتى كثر عدد المطابع في الشهباء* اذ انشىء فيها في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٠٦ و ١٩١٣ ست مطابع ، انشأها اصحاب الصحف لطبع جرائدهم بالاضافة الى المطبوعات التجارية .

ولم تكن الصحافة أكثر انتشارا من المطابع . فقد كان في حلب حتى عام ١٩٠٠ ثلاث صحف فقط هي الفرات ، والشهباء* ، والاعتدال . لكن الفرات كانت قليلة التداول ، ضعيفة الاسلوب ، سخيفة الافكار لا يهتم بمطالعتها سوى رجال الحكومة وارباب المصالح . واما الشهباء* فقد تعطلت بعد مدة فصدرت عوضا عنها الاعتدال التي اخذت على عاتقها فضح سوءات الحكومة وبسط ما تحتاجه البلاد من اصلاحات .

أما بعد سنة ١٩٠٠ فقد ظهر في الميدان تسعة عشر صحيفة اخرى ، كما ظهرت مجلتا فوائد والورقاء* ، وكانت قبلهما مجلة الشذور . وهكذا اخذ الناس كما يبدو يوجهون شيئا من العناية الى صحافتهم اذ اصبحوا يقدرون قيمة الصحف ويدركون مدى فضلها في عالم الانسانية وخدماتها لافراد البشرية جمعا* . وبالرغم من سقامة اسلوبها ، وضعف انشائها وانتهاجها خطة مديح السلطان والحكومة ، فقد ارتفع مستواها قليلا اذ بوبت ابحاثها ودخلها الاختصاص . فكرس بعض أرباب الصحف جرائدهم لتبيين فوائد التمثيل والسينما والموسيقى ، كما اختص بعضها الاخر بالفكاهات والنوادر، ونهج فريق منها منهج كليلة ودمنة في معالجة قصص على السنة الحيوانات . ومالت بعض المجلات الى طرق المواضيع الفلسفية والاقتصادية والتهذيبية والصحية ، ولم يهملوا في ذلك كله جانب المرأة اذ دعوا الى ضرورة تعليمها ورفع مستواها العقلي والروحي ، كما دعوا المعارف الى بذل اهتمامها لتكثير عدد مدارس البنات .

أما المكاتب فقد كانت منتشـــرة في حلب ، بحكم ولع الحلبيين باقتنا الكتب التي أوقفة بعيدة . وفي النصف الثاني من القرن الماضي كان في حلب عدة مكاتب عامة هي مكاتب الاوقـــاف كالأحمدية ، والعثمانيــة ، والخسرويــة ، والقرناصيـة ، والاخلاصيـة الرفاعيـة ، والصديقيــة ، والسكاكينية ، والاسماعيلية ، والبهائيــة ، وخزانة الجامع الاموي الكبيــر التي اوقفها لها السـيد محمود الجــزار ، وخزانة الشيخ ابي بكر ، الا ان اكثرها شـهرة هي المكتبة الاحمديـة والعثمانيـة والخسرويـة ، وهذه المكاتب كانت تفتح ابوابها للجمهور اياما معينة في الاســبوع فيردها من له بصناعة العلم مأرب .

والى جانب هذه المكاتب العامة كان بعض الأفراد يملكون خزائـن كتب خاصـة ترضـي هواياتهم في جميع الكتـب ، وتسـهل الى اصـدقائهم ومعارفهم ســبيل الاطلاع والمعرفـة .

واما المسـيحيون في حلب فكان لكل طائفـة منهم مكتبـة خاصـة . فهناك مكتبـة الموارنـة ، ومكتبـة السـريان الكاثوليك ، والروم الارثوذكـس ، والروم الكاثوليـك . وهذه كلها تحـوى كثيـرا من الكتب العربيـة والسـريانيـة واليونانيـة والفرنجيـة ، ولكن تغلب عليها المسحة الدينيـة كما تغلب المسـحة التقليديـة القديمة على مكاتب الاوقـاف الاسلامية التي كانت تضم نسخا مـن القرآن ، ودراسـات متنوعـة حولـه مع شـروح ، وقراءات ، وتفسـير ، وفقـه ، وتصـوف ، وعلم الحديث والفتـاوى ، وكتب اللغة ، والرياضيـات ، والفلك ، والطبيعة ، والطب والتشـريح ، والتاريخ والسـير وغيرها .

أما التعليم في حلب فكان يجرى في اوائـل نصف القرن وفق الاسـاليب القديمة . وكانت هناك المدارس الدينيـة الابتـدائيــة ، وهي اما كتاتيب خصوصيـة يعلم فيها الصبيان القرآن وعلوم الدين مع بعض مبادئ الخط والحســاب . وأما دور موقوفـة لهذا الغرض يتقاضى موظفوها رواتبهـم من الاوقــاف . والى جانب هذه قامت المدارس الدينيـة العاليــة وهي خاصـة بالكبـار ، تهـدف الى تعليمهم العلوم الدينيـة والشــرعية المختلفـة على بعض العلوم العقليــة كالمنطق ، وفقه اللغـــة ، والفلك ، وما وراء الطبيعة وغيرها من العلوم الآليـــة الموصلة . وهذه المدارس كانت اما ملحقـة بالمساجد اومستقلة عنها ، واشـهرها المدرسـة العثمانيـة والخسرويـة . الا ان خدماتها كانت قليلـة نظـرا لان المجاورة فيها غير محدودة المدة . وفوق هذا فلم يكن هناك رقيبا يتفحصون سـير المجاورين وتقدمهم في العلوم فكان يميل هؤلاء الطـلاب الى صرف ايامهم كلها في غرفهم في المدرسـة ، دون ان يبذلوا من الهمـة في طلب العلم الصحيح ما هوجدير بهم . وبما ان قانون التجنيد العثماني في ايـام

عبد الحميد حفظا على ابنائه اذ استثنى المجاورين من الجندية . فكان يكفي ان يدون اسم الرجل في سجلات المدرسة لكي يعفى من الخدمة حتى ولو لم يداوم او يؤد امتحانا . وهكذا لم ينبغ من مجاوري هذه المدارس احد في حقلي العلوم والفنون كما شهد بذلك احد المعاصرين وهو الغزي .

فليس ان المدارس النظامية بما فيها الأجنبية والوطنية كانت اسعد حظا من سابقاتها فقد كان للارسالية المارازية ، وللاباء الفرنسيسكان ، وللرهبنة اليسوعية ، وللبروتستانت ، ولراهبات مار يوسف مدارس خاصة في حلب ، كما كان للروم الكاثوليك والارثوذكس والموارنة والسريان مدارس خاصة ايضا . ويبدو انه تعذر قليلا التفرقة بين المدارس التبشيرية والوطنية اذ كانت الاولى عند الثانية دوما باساتذة ومعلمين كما كانت ترشدها في اساليب التدريس .

وكانت الحكومة العثمانية قد اخذت منذ مدة تشعر بالحاجة الى نوع جديد من التعليم يستطيع ان يساير روح العصر واتجاهاته . فأخذت تؤسس المكاتب الابتدائية حوالي سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٨٢ ، وكانت قد انشأت قبلها المدرسة المنصورية التي اصبحت اول مدرسة اميرية في حلب . وانشأت كذلك الاعداديات العسكرية ، لتقوم بتزويد الشبيبة في سن مبكر بالمعلومات الضرورية التي تلائم الحياة العسكرية ، كما انشأت الرشدية العسكرية لتؤهلهم وهم في سن اصغر لتلقي العلوم في الاعداديات العسكرية .

وظلت المعاهد الملكية اخيها العسكرية . والملكية انشئت لتكون مدارس اختصاصية تهدف الى تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مصالح الدولة المختلفة .

وبلغ عدد المدارس التي انشأتها الحكومة في هذه الفترة حوالي ٣٤ مدرسة ، وكان للبنات في سنة ١٩٠٧ ، ٢٣ مدرسة فيها من التلميذات نحو ٧٠٠

اما حظ العربية في هذه المدارس فلم يكن وافيا اذ كان التعليم يجرى فيها باللغة التركية على وجه العموم ، على خلاف المدارس التبشيرية والطائفية التي عنيت بتدريس العربية كما عنيت بتدريس لغة الدولة التي تنتسب اليها مع بعض العلوم العصرية .

.../٥

والجمعيات التي هي ركن هام في كل حركة فكرية ، كانت مهملة في حلب . ويبدو هذا أمرا طبيعيا في ظل الحكم الحميدي . ولهذا لم ينشأ قبل الدستور سوى جمعية سرية هي جمعية النشأة التهذيبية ، ووجدت قبلها نواة للجمعية الماسونية . اما الجمعيات التي أسست بعد الدستور والتي بلغت الاربع او الخمس ، فلم تعش طويلا ولهذا لم يكن لها أثر يذكر .

اما مفكرو حلب وأدباؤها ، فقد انقسموا شطرين = فئة تمسّكت بالأساليب التقليدية القديمة وجرت اغراض تآليفها على الطريقة المدرسية . وهذه لم أتناول البحث عنها بالتفصيل بل أكتفيت بنموذج منها وهو بشير الغزي . وفئة اخرى توجهت الى الخارج وارتحلت الى اصقاع مختلفة لأمور تجارية او سياسية ، فاحتكت بالاوربيين وتلقح فكرها بالفكر الاوربي الحديث . فعادت الى موطنها الشهباء تبث ما شاهدته في ديار الغرب من آثار المدنية والاختراع ، والتقدم والعمران ، واخذت تدعو مواطنيها الذين اذلهم الاخلاد الى الراحة والاستكانة عن مجاراة الامم الاوربية في قطف ثمار العلوم النافعة. اقول ، ان هؤلاء الافراد الذين تفتحت عيونهم على مدنية الغرب ، واضوائه قد أخذوا يدعون مواطنيهم الى الاخذ باساليب المدنية الاوربية ، وخاصة النواحي السياسية منها . ولقد شغلت العدالة السياسية والحرية والديموقراطية اذهان البعض من هؤلاء المفكرين فاخذوا يدعون اليها ويؤلفون الكتب او ينشرون المقالات في هذه النواحي التي راقت لهم كمفكرين احرار يرومون خلاص امتهم من عبودية الاتراك . ويتزعم هذه الفئة الكواكبي ، ومراش ، وحسون ، وهلال .

اما النواحي الاجتماعية في مدنية الغرب فلم تكن لتنال حظها من القبول عند هؤلاء المفكرين اذ اجمعوا او كادوا على ضرورة نبذ بعض العادات الاجنبية كعادة الاختلاط ، والرقص ، ومعاشرة الخطيبين وارتداء الازياء الاجنبية وغير ذلك . وساهم في هذا الموضوع ايضا من لم يبرح موطنه حلب بل رأى تسرب بعض هذه العادات الى المجتمع الحلبي فأنكرها وندد بها . ولا يقل تعصب المسيحيين في مكافحة هذه المظاهر عن تعصب اخوانهم المسلمين . اما باقي النواحي فهي الاصلاح الاجتماعي فقد حاولوا ان يحددوه بمكافحة الجهل ورفع مستوى الاخلاق في الفرد والجماعة ، والقاء رداء التخاذل والفتور والنهوض والسير الى الامام .

وعالج فريق من هذه الفئة التي لم تقصر همها على النواحي التقليدية فحسب بل تعدته الى الكتابة في مواضيع مختلفة ، اقول عالج فريق منهم ايضا مشكلة الدين ، وانصرف الى الكتابة فيه نفر من اولئك الذين تعدهم في ذروة النضج الفكري في تلك الايام كالكواكبي ومراش ، والصقال ، والغزي وغيرهم . كما كتب فيه ايضا بعض الرجال الدينيين كميخائيل دلال وايوب ثم سلحت . وان كان هذا يبدو بالنسبة اليهم امرا طبيعيا . ولعل هؤلاء قد هالهم تيار الالحاد الذي اخذ يتسرب الى الافكار فوجهوا عنايتهم الى الدين داعين الى التأمل في الله مبدع المخلوقات ومسير الكائنات . مستدلين عليه من آثاره في الطبيعة والانسان وسائر المخلوقات كالمراش وارنسطين عازار . وهناك فريق نأى بالدين عن البدع والاوهام فأراد العودة به الى مبادئه الصحيحة الاولى باتباع اوامر القرآن وسنن الحديث ، كالجابري والكواكبي . الا ان اكثرهم قد مال الى الاعتقاد ان الاديان لم تخلق الا لسعادة البشر ورفاههم وان التعصب الديني مذموم ، والتحزب فيه ضار . وانه يجدر بالامة التي تريد بعث امجادها ان تبعد عنها الانشقاق في الدين وتنفذ الى الجوهر ، الى الروح حيث لا طقوس ولا شكليات فقط بل لباب صحيحة مفيدة .

ومن القضايا الحيوية التي عالجها اكثر مفكرينا مشكلة المرأة وتعليمها . فقد ادركوا المساوىء التي تجرها المرأة الجاهلة الى نفسها والى زوجها ومجتمعها ، بصفتها تشكل نصف الامة فنادوا بفتح المدارس لها لينال عقلها حظا من التثقيف يؤهلها لتحمل مسئوليتها الكبرى كرعاية بيت الزوجية واتقان تربية الاولاد . الا ان هذه العلوم يجب ان تقتصر على ما ينفعها في حياتها ويساعدها في تأدية رسالتها على الوجه الاكمل .

والعلم عنصر هام في تشييد كيان الامة ، وهو ضروري للرجل ايضا على مدى اوسع وأشمل .

وتناول مفكرونا اللغة العربية بالبحث والتشريح ، ورأوا ان اساليب تعليمها لا زالت معقدة متشابكة فمالوا الى تبسيطها وتسهيلها كما بسطها المستشرقون ومن اصحاب هذا الرأي الكواكبي ، كما مالوا الى التخلص من شروحها الطويلة ، وقواعدها الضيقة والانعتاق من اسار اساليبها وقوانينها .

.../.

وفي ميدان التربية نزع الكواكبي والصقال الى وضع قواعد شبيهة بالاسس العلمية التي تبنى عليها النظريات التربوية اليوم من حيث ملاءمتها للمجتمع وانسجامها مع حاجاته واعداد الفرد لحياة مثلى يكون بها سعيدا في نفسه ، وفعّالا مبدعا في مجتمعه وذلك بتفتيح شخصيته والكشف عن امكانياته وابداعاتها .

اما في التأليف التاريخي الذي عالجه الصقال والغزي فقد تجلت بعض آثار الاساليب العلمية الحديثة الا ان التاريخ لا يزال لا تنقصه تلك النظرة النقادة الحيادية .

ويلي التاريخ وصف الرحلات ، وهذه المحاولة قام بها فرنسيس مراش في كتابه رحلة باريس وبها اصطبغ التاريخ بألوان الرواية الخيالية .

أما مسحات الفكر الاوربي فقد تجلت في الكتابات السياسية التي تحدث فيها المفكرون عن نظام الحكم النيابي ، وحقوق الانسان ، وحرية التأليف والطباعة والنشر ، ومقت الاستبداد والتعدي والاستعباد والمستعبدين .

ويعلل هذا بان أغراض الثورة الفرنسية التي سرت تعاليمها الى رجال الفكر في حلب فتشبعوا بها ودعوا لها . (الكواكبي ومراش) .

والى جانب هذه المسحة السياسية من الفكر الاوربي نعثر على اغراض جديدة انبثقت من المدنية الحديثة وانسابت الى كتابات مفكريها ، هذه الاغراض نتلمسها في الحديث عن السيالات الكهربائية ، والموصلة ، وقوانين النور والعناصر في الفيزياء ، وناموس الاتحادات والتمالح بين المواد الكيماوية ، وجاذبية الارض وكرويتها وغير ذلك . كما فصل المراش . وظهرت ايضا محاولة فريدة قام بها الحمصي لوضع اسس للنقد العلمي الجديد .